مصـــارع العشـــاق

رواها : ابن السراج القارئ

(417 هـ - 500 هـ)

نسّق مساردها الدكتور محمد حسن عبد الله

الناشـــر

دار قـــبـــاء

للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

عبده غريب

اسم الكتاب: مصارع العشاق

اسم المؤلف: د. محمد حسن عبدالله

سنة النشر: 2006م

رقم الإيداع: 23838 / 2005م

الترقيم الدولي: 3 - 512 - 303 - 977

الناشر

دار قباء

للطباعة والنشر والتوزيع

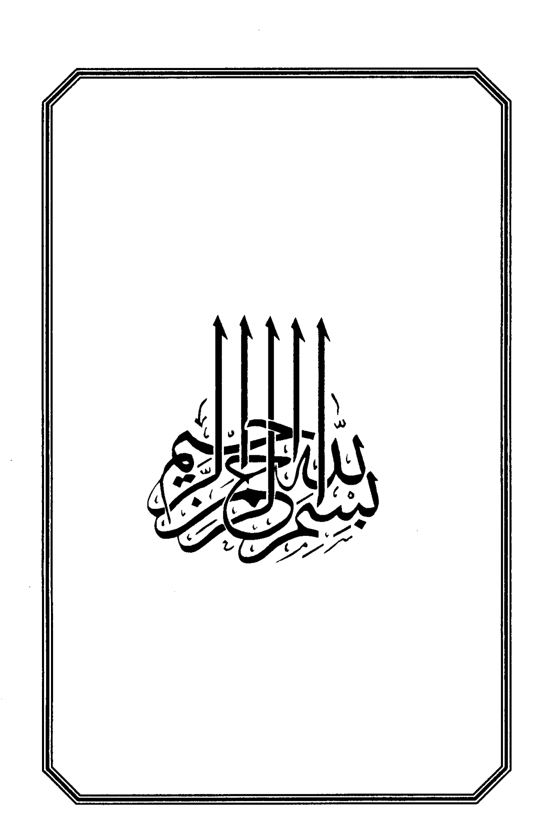
(16) عمارات العبور شارع صلاح سالم - الدور الثالث -
مدينة نصر - القاهرة

تليفاكس: 02/2621365

محمول: 0123171744 - 0123171722 - 0123140315

مصارع العشاق







مقدمات



إلى أى مدى يُعد هذا العمل خدمة وإحياءً متجدداً للتراث الحكائى العربى، أو عكس ذلك ؟

من واجب الضمير الذى نشّئ على تقدير التراث العربى، واقتنع عبر معايشة نصوصه الأدبية أن يقلق إذا امتدت يد إلى هذا التراث تبغى تغيير صورته أو تبديل فكرته؛ لأن "التراث" ملك الماضى الذى صنعه، وقد انتهى إلينا على هيئة تحمل ملامح زمانها، ومن ثم لا يحق لأحد – أيا كان القصد أو الذريعة – أن يتدخل فى صلب نصوصه، وغاية الممكن هنا أن يفسّر أو يتأول أو يعقب، بما لا يلغى أو يؤثر على حق النص (الأصلى) فى الوجود بكامل صورته التى تعنى الحفاظ على تشكيله فى ذاته، وموقعه فى السياق أيضاً.

وقد "اجترأت" على محاولة سابقة مع كتاب من أهم مصادر التراث الحكائى العربى، وهو كتاب "الفرج بعد الشدة" الذى ألفه القاضى التنوخى (المحَسن بن على : 327 – 384 هـ) أحد الذين أسهموا بفنهم القصصى، وفكرهم، فى صناعة ثقافة القرن الرابع الهجرى، الذى يعد أعلى قمة بلغتها الحضارة العربية عبر مسيرتها التى امتدت اثنى عشر قرنا قطعتها فى موجات من المدّ الصاعد أعقبتها موجات من الجذر الهابط حتى التقت بالحضارة الحديثة، (أو الحضارات الحديثة على رغم من مزاعم العولمة). أما هذا الاجتراء الذى وصفت، حيال ذلك الكتاب الذى أشرت، فإننى أذكر دوافعه أو



مســوغاته – كمــا أراها – قبل أن أشرح خُطتى معه، بل لعل حقى فى إيضاح دوافعى ينبــنى علــى إدراك عام يتجاوز العمل فى كتاب إلى العمل فى عصر نصفه بأنه عصر السرعة، وعصر المعلومات، وعصر القرية الكونية التى تشمل العالم (وهذا زعم آخر). والمــتحقق الــذى لا مــراء فيه أن تراثنا الحكائى – وهو الذى يعنينا الآن – يصعب أو يســتحيل أن يقدم لقارئ اليوم، ومن باب أولى قارئ الغد (على افتراض إمكان تصوره) فــى نصوصــه كما انتهت إلينا، بما فيها من عنعنة، ومن تكرار وتداخل بين الحكايات. وفضــلا عــن هذا فإن الأساس الجمالى للإدراك فى الحضارة الحديثة يعطى أهمية بالغة للتشــكيل الفــنى، للتناسق والتناسب، من ثم فإنه يصعب تقبل محتوى كتاب تنتقل فيه من حكايــة إلــى آيــة، ومن آية إلى قطعة شعر، أو إلى نادرة، أو حادثة تاريخية !! بعبارة أخــرى : لــم يعد المحور الفكرى أو وحدة الاهتمام العام مسوغا مقبولا لاستقبال "كتاب" تحدده ضفاف أصبحت ضرورية لإقرار فكرته فى ذاكرة القراءة، ضفاف تشكيلية قبل أن تكون فى الغلاف أو العنوان.

هكــذا عمدنــا إلــى الاســتغناء عن سلاسل الرواة التى أصبحت لا تعنى لقارئ الحكايــات أية درجة من الأهمية، وخلصنا النصوص من التكرار أو التداخل، الذى يؤدى إلى تعطيل عملية التلقى فى أهم جوانبها الجمالية والفكرية، وخلّصنا سياق النصوص من إقحــام ما لا ينسجم مع التكوين الجمالى الذى يعتمد على "الفرج بعد الشدة" أو – بلغة فن القصة القصيرة : الأزمة يعقبها الحلّ.

هــذا ما كان مع كتاب " الفرج بعد الشدة"، وهو ما نصنعه فى هذا الكتاب الثانى : "مصــارع العشــاق"، وقد لا نجد وصفا كاملا لهذا الصنيع تؤديه كلمة واحدة، فهو ليس تحقيقاً للنص، وليس اختياراً، وليس اختصاراً؛ لأن النصّ محقق سبق طبعه ربما أكثر من مــرة، ولأننا لم نحتكم إلى ما نرتضيه من النصوص ونطرح ماعداه فيكون اختياراً، كما أنــنا لــم نحــرص على تمثيل المكونات الأساسية فى تفاصيلها فيكون اختصاراً، فشرط الاختــيار أن يحتكم المختار إلى ذوقه الشخصى وأسس تفضيله، فلا تزال عبارة ابن عبد

ربه التى نسبها إلى أرسطو، وصدر بها "العقد الفريد" صالحة لتحديد وجه الاختيار، وهى أن "اختيار المرء وافد عقله"، أما الاختصار فشرطه الوفاء بكل ما ينطوى عليه النص قبل الاختصار، وهذا لا ينطبق على تدخلنا فى "مصارع العشاق"، فقد استغنينا عن القطع الشعرية الكثيرة التى دفع بها السَّرَّاج كتعقيبات على كثير من قصص مصارع العشاق وأخباره، لقد كانت قدرته على النظم تسعفه بتصوير حالات تناسب ما تروى القصص من أحداث، ولكن القصة ينبغى أن نتلقاها متحررة من هذا القيد المضاف، ومن الأصل ينبغى أن تكون مكتملة بذاتها دون هذا التدخل الملصق بها، المصنوع فى زمان غير زمانها، إلا أن تكون مادة هذا الكتاب خاضعة لدراسة علمية أسلوبية تريد أن تستخرج خصوصية معينة (موافقة أو مفارقة) ندركها بالموازنة بين لغة النص / القصة، ولغة النص/ النظم، وهذا جانب لم نفكر فيه وليس الشعر المنظوم المنسوب إلى السراج كل ما أزحناه عن طريق المتلقى الحديث، فهناك أيضاً تلك الحكم، والنوادر، والأخبار التى لم يتهيأ لها نسيج قصصى مكتمل الأركان، فضلاً عن الأسئلة (النظرية) حول العشق وحالاته، فقد استوفينا أهم ما يقال فيها فى كتاب "الحب فى التراث العربى"، ويمكن أن نجمل الإشارة إليها فى هذه المقدمة.



والسراج القارئ، مؤلف "مصارع العشاق" هو :جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القارئ البغدادى (417 – 500 هـ/1027 – 1106م)، ولد فى بغداد وبها توفى، وسافر إلى مكة، ودمشق، وتوجه إلى ديار مصر، وكانت رواية الحديث النبوى غايته، ولكنه جمع عبر رحلته "أحاديث" من نوع آخر ومصدر مختلف، وقد أثرت فى مؤلفاته التى بدأت تنحو جهة المجتمع والظاهرات النفسية والطبائع المختلفة، من ثم كان كتاب "مصارع العشاق" – وهو الأهم، وكتاب "حكم الصبيان" وكتاب "مناقب السودان"، كما نظم بعض كتب الفقه واللغة والتواريخ، وله شعر مليح، وكانت لـه معرفة بالحديث والأدب،



وكان متدينا، حسن الطريقة مع ظرفه ولطف أخلاقه.

هكـذا تقدمـه المصادر بإيجاز (انظر : المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار البغدادى – تحقيق قيصر أبو فرح) وقد تذكر له بضعة أبيات من الشعر لتدل على مقدرته فى النظم، مثل قوله :

إذا كنـتـم تكتـبـون الحـديـث   ليلا، وفـى صـبحكـم تسـمعونا

وأفنيـتـم فـيه أعمـاركـم   فـأى زمـان بـه تعملونـا

وهـذا بمثابة نقد لاذع لمن يقضى حياته فى طلب العلم، دون أن يتيح لنفسه زمنا يحول فيه ما علمه إلى سلوك وعمل. وفى قطعة أخرى يقول :

بـأن الخلـيـط فـأدمعـى   وجـدا علـيـه تسـتهـلُّ

وحـدا بهـم حـادى الفـرا   ق عـن المـنازل فاسـتقلوا

قـل للـذين تـرحلـوا   عـن ناظـرى والقلـب حلـوا

ودمـى بلا جـرم أتيـ   ـت غـداة بيـنهم اسـتحلوا

مـا ضرهـم لـو أنهلـوا   مـن مـاء وصـلهم وعلـوا

هـذا شعر رقيق، مصنوع من تعابير جاهزة، نجدها عند الشريف الرضى وطبقته من شعراء العصر العباسى الثانى، يجمعون فيه بين العذوبة وسمو المقصد، تعويضاً عن عمـق الفكـرة وقوة العبارة وطرافة التصوير. والسراج فقيه محدث حنبلى المذهب (وقد نظـم كـتاب الخرقى فى فقه الحنابلة) وهو بهذا الانتساب يأخذ مكانه فى قافلة المهتمين بقضايا الحب وأخباره والعشاق وما فعل العشق بهم، من الحنابلة بصفة خاصة.

وقد سجل ناشر "مصارع العشاق" (طبعة صادر) أعقاب مقدمة كرم البستانى اثنتين



وعشــرين مقطوعة شعرية (تقع كل واحدة منها فى ثلاثة أبيات) تصدرت فصول الكتاب الاثنيــن والعشرين. وقد جمعها الناشر فى أعقاب المقدمة فأزالها عن مواقعها فى صدور الفصول، ولم ينص على تمايز هذه الفصول، فكان الأسبق إلى التخلى عن نسق المخطوط الأصــلى للكــتاب، علــى أنـــه لم يقدم المنهج البديل الذى يمكن أن يلبى حاجة القارئ العصرى، والباحث المنهجى كذلك، وهو ما حاولنا الحرص عليه، وبهذا يمكن أن نصف دافعنا بأنه إعادة تشكيل منهجى لمحتوى الكتاب.

مـــن اليسير إدراك الصلة بين عنوان هذا الكتاب، وعنوان كتاب القاضى التنوخى المشــار إلـــيه قبلا، إذ يجتمعان عند حدث محدد، وخاتمة وصل إليها هذا الحدث، فهناك كانت : الشدة يعقبها فرج، وهاهنا : العشق، يبلغ حالة الفناء أو المنتهى. وكما أن العنوان الأول أكثر توسعاً فى الحقل الدلالى الذى تعنيه "الشدة"، و"الفرج" أيضاً، إذ يمكن أن تكون الشــدة – علــى ما هو مبين فى دراستنا للكتاب – عشقا، أو مرضا، أو اضطهادا، أو خوفـــاً، كما قد يأتى الفرج بتدخل إلهى قدرى، أو بفعل إنسان، أو مجرد مصادفة وافقت مطلباً، أما فى "مصارع العشاق" فإن شريحة الاختيار تضيق بأن يكون العشق هو الشعور الدافـــع إلـــى الفعـــل، وأن يكون انمحاء ذات العاشق فى ذات المعشوق، أو بلوغ منتهى العشق هو الختام. ومن الواضح أن المؤلف حاول أن ينوع فى موضوعه المحدد، ويوسع فيه بأن يذكر "عشاقاً" من الشجر ومن الحيوان، وأن يقحم المتصوفة بما حولهم من غلمان فـــى الموضوع، وقد احتفظنا ببعض مما أورد فى هذا المستوى من العشق، مع حرصنا على تنمية الشعور بأن الحب ظاهرة بشرية، وقانون كونى فلسفى فى الوقت نفسه (وهنا نســتعيد ما ذكرنا فى " الحب فى التراث العربى")، ولعل السراج فى هذا الشغف بالحب الــذى يقــتحم مســاحة المستحيل ويجاوز المعقول إلى غير المعقول، وهذا الإسراف فى صـــحبة متصـــوفة الخرق و"مرقعات الدراويش " إنما كان يصور الواقع المتهاوى الذى بدأت الثقافة العربية تنحدر إليه أواخر القرن الخامس الهجرى، وهو ما أهلها لدخول نفق العصور الوسطى، الذى تجاهد الآن فى محاولة التخلص من آثاره، بعد سبعمائة عام من "البيات الشتوى العقلى".





سيكون من الممتع حقا أن نلتمس فى هذا الكتاب أهم ملامح "الطريقة العربية" فى التأليف عن ظاهرة العشق، أو الحب، لا نقصد ذكر أسانيد الرواة تأثراً بالأحاديث النبوية، على غرابة الأمر وقلة جدواه بالنسبة لأخبار العشق وطرائف المحبين، بقدر ما نرمى إلى تعويل مؤلفى هذا الصنف من الكتب على أسماء تاريخية : بعض المشاهير من الملوك والرؤساء والفقهاء والشعراء بعينهم. بعضهم من العصر الجاهلى المتهم بفقدان الحب العفيف، وأكثرهم من العصور التالية، بل إن حوادث الحب وأخباره تكاد تروى بلفظها أو ما يراد فه، بل إن "السراج" يذكر من سابقيه إلى التأليف عن العشاق أولهم وأكثرهم شهرة: محمد بن داود الأصفهانى صاحب الزهرة، فقد ذكره تسع مرات، لذاته، وليس لما جاء بكتابه وحسب، فأورد فتواه (الشعرية) المشهورة، وخبره مع الصيدلانى، وأبياتا شعرية له كذلك، أما الطابع الوعظى فإنه ملازم لقصص الحب وأخبار العشاق، فالمؤلف يرى واجبا عليه، وهو فقيه غالباً أو متفقه – أن ينظر إلى ثورة العواطف على أنها نوع من الاختلال، أو الفوران غير المأمون، لأنه يطغى على الاعتدال وحكم العقل. ولكن إغراء القصة أو الخبر يدفعه إلى إيراده بتمامه، من ثم تضاف عبارات إلى السياق، أو توضع "توصيات" بعد ختام النص واضحة الالتصاق به، ولكن المؤلف يحرص عليها وكأنها نوع من إبراء الذمة وإعلان عن هدف آخر (ليس هو الهدف الجمالى الإنسانى) يحرص على تنبيه القارئ إليه. وقد كانت الأخبار والقصص الوعظية سبيلا إلى ذكر بعض مما يتداوله الأحبار والرهبان فى عظاتهم منسوباً إلى بعض ملوك بنى إسرائيل، وهذا مما لا يدل على امتزاج الثقافات – فيما نرجح – بقدر ما يدل على تقارب أساليب الوعظ، وأنها تلتقى عند مقاومة الهوى والتمسك بالاعتدال ومراقبة الله سبحانه فى السر والعلن، وأن جزاء الخطيئة لا يختلف.



وهكذا سنجد الإسرائيلى بائع القفاف، ويوسف وزليجا، وعيسى بن مريم والأسد، وهذا "العظات" لا تذكر هنا على أنها "تاريخ" أو "أخبار"، وإنما هى حكايات يمكن أن توصف بأنهـــا شـــعبية، من وضع القصاص والمذكرين الذين يتصدون لهداية الناس من خلال المسامرة.

وكما نبهنا إلى أهمية رصد الملامح العربية المتكررة فى مؤلفات الحب، فكذلك ينبغى أن نشير إلى المختلف، وبخاصة مع كتابات السابقين على السراج، مثل الجاحظ والأصـــفهانى وابن حزم خاصة، فهذا التوسع فى ذكر الحكايات ذات المستوى الشعبى دفـــع إلى شرايين الكتاب بمادة "درامية" متميزة، ونشير إلى حكاية "أربع نسوة وأربعة غربان"، وما فيها من توزيع الأدوار، وحركات طقسيه، ومزج بين الغناء بما يثير من شـــجن، وقتل الطائر بما يحرك من خوف أو فزع، وأخيراً الاحتفاظ بمفتاح المشهد إلى خـــتامه بحيـــث يظـــل المتلقى فى حالة من الترقب والطلب حتى آخر لحظة، كل هذه الجوانـــب تجعـــل من الحكاية عملا مسرحياً مكتمل الأركان، بل إن خبر "بشر وهند" يختزل قصة "تاييس" لأناتول فرانس، ويسبقها، بثلاثة عشر قرنا، بل إن الخبر العربى يدعـــم بما يجعله أقوى "درامية" - إن صح الوصف، فبشر هذا كان فى صدر الإسلام، بـــل كـــان يخـــتلف إلى رسول الله I ، وبهذا كان طريق الهداية أمامه مفتوحاً، وكان الـــتزامها مـــتوقعا بغير معاناة، وهكذا كان الشاب، غير أنه كان يمر على منازل قبيلة جهيـــنة، فكـــان أن رأته امرأة فهويته، وكان أن هذه المرأة بارعة الجمال، ومتزوجة، وكـــان أن أرسلت إليه بشعر يغويه بإعلان أن بابها مفتوح لاستقباله فكتب إليها رداً، شعريا، على ذات الوزن والقافية، يدعوها إلى التمسك بالفضيلة: التقوى والصبر! وهكذا تـــرددت الأشعار بين المرأة (الزوجة) الراغبة، والشاب (العفيف) المعتصم بالفضيلة، فلما رأى الشاب أنها ثابتة على ترقب مروره غيرّ طريقه اليومى، فاحتالت المرأة على زوجها حتى انتقلت إلى طريق بشر بحيث تراه ولا يراها، واشتدت علتها حتى صرحت

لعجــوز تــرعاها (وهذه العجوز إحدى أركان قصص العشق الممنوع ربما فى جميع الآداب) لقــد انــتهى الأمر إلى ما يكاد يتفق وما انتهت إليه "تاييس"، إذ حدث نوع من تــبادل المواقع فأصبحت المرأة (هند) ممتنعة زاهدة، فى حين تحول "بشر" إلى مدنف يهده العشق، إلى أن مات بهذا الداء / الدواء وماتت هى بعده. وهذه القصة تجاوزت حد "المســموح" أو المألوف فى هذا النوع من الأخبار الذى يستحيل توثيقه والاطمئنان إلى دقــته، ذلــك لأنها جعلت من الشاب بشر صحابيا، وليس فى هذا خطر، فالعشق ليس محــرما علــى الصحابى، ولا هو محصن ضده، وقد روعيت هذه العلاقة بأن جعلت الشاب لا يسعى إلى الإيقاع بمن كانت تعمل على الإيقاع به، وإنما سعى إلى الزواج بها بعد أن طلقها زوجها ،ولا يكتفى الراوية بتأكيد فراق الزوجين بالطلاق قبل أن يراسلها العاشــق الجديــد، وإنمــا يذكر أنّ هندا"قضت عدتها" قبل أن يبعث بشر إليها يخطبها، فعلاقــة الزوجية كانت قد انقطعت ولا سبيل إلى الرجوع إليها إلاّ بإرادة المرأة .. هذا الحذر "الدينى" لم يمتد إلى حضور شخص الرسول – ﷺ – فى القصة، وذكر كلمات ونسبتها إليه، ولعل هذا بفعل الحماسة للموعظة فى القصة .



إن علاقــة "العشق"بينى وبين هذا الكتاب قديمة، ترجع لنحو ثلاثين عاماً، قرأته مــرات، فلم يتراجع إعجابى بما تفتق مادته وما تثير تشكيلات هذه المادة عند القارئ العصــرى مــن وعــى بفــنون الماضــى، واستكشاف دلالات جديدة، ولهذا اقترحته موضــوعاً لبحث الماجستير الذى قام به الباحث عماد حمدى عبد الله، المعيد – حينها – بجامعــة القاهــرة – فرع الفيوم، وكنت المشرف على البحث، الذى كان عنوانه : مســتوى العشق وآليات السرد فى كتاب مصارع العشاق ". ولقد حصل الباحث على

تقدير "ممتاز"وكان به جديراً، فقد بذل جهداً عظيماً، معتمدا على التحليل المورفولوجى للحكايــة، وكــيف أنهــا تعتمد على شخصية فى مقابل أخرى، وحدث يتطور فيحدث الانقســام والصــراع، وقدم – فيما قدم – نموذجاً تفصيلياً لحكاية "الأشتر وجيداء" من هــذا المنظور نفسه الذى أسسه فلاديمير بروب فى كتابه المهم :"مورفولوجيا الحكاية الخرافــية"، وفى هذا إشارة إلى لعب الخيال وتدخل الأسطورة والاعتماد على طبائع البيــئة فــى تشــكيل هــذه الحكايات حتى وإن نسبت إلى أسماء تاريخية من الخلفاء والشــعراء والأدبــاء. على أن الباحث انتهى إلى رصد بعض المعلومات المهمة، إذ يذكــر أن "مصــارع العشاق" يقوم على ما جملته 174 خبرا وحكاية، وأن 118 منها انتهــت بمــوت العاشــق، و25 انتهت بالجنون، و11 بالإغماء، والعدد الباقى انتهى بالمرض الشديد، أو بالبكاء الشديد، أو بالضرب، أو إهدار الدم، وحتى بالعمى، وحتى بالخصاء !!.

سيكون من المفيد جداً للباحث الأدبى أن يتاح لــه قراءة الدراسة المشار إليها، وينبغى نشرها، ولكننى لم أقدم هذه الصياغة لمصارع العشاق من أجل المسائل الفنية عــن الســارد المشــارك، والســارد الراصــد، والمشارك الراصد، وما إلى ذلك من مصطلحات النقد، إننى أجد كفاية بتقديم نصّ الحكاية، متواشجاً مع عدد من الحكايات الــتى تــنطوى علــى المغزى نفسه (أو المحتوى) ولعلها تتفق أيضاً أو تتقارب على المستوى التشكيلى، وهذه الخطوة – إعادة التقسيم، مع الاستغناء عن السند، وإهمال ما لا يدخل (تشكيليا) فى صيغة الحكاية – تكفى للحفاظ على جوهر الكتاب وكينونته فى الوجــدان العــربى والذاكرة العربية، بل إننى أكاد أجزم بأنه يصعب عليه البقاء فى صــيغته الكاملــة الأصلية بكل ما تحمل من معارف وإضافات دفعت بها ثقافة الكاتب ولم يتطلبها الموضوع، وإذا كان هذا الكتاب، فى موقعه التاريخى (بين القرن الخامس والقــرن الســادس) يمكــن أن يُعــد صورة لفن الكتابة القصصية وهو يغادر عصر

الشــفاهية ليأخذ سمات عصر الكتابة، فلست أظن أن عصرنا الذى تعددت فيه وسائل الاتصال لا يزال على استعداد لقبول النص القديم، والخلاصة فى هذا أننى لم أقدم هذه الصيغة للدارس الأدبى، أو الناقد، إلاّ أن تلفت انتباهه فيعود إلى الأصل، وإنما أقدمها للقارئ العام الذى لا أفضل عليه قارئا آخر، وأقدمها للمبدعين الذين يخاطبون الوسائل الحديــثة من الإذاعة والسينما والتليفزيون، والقديمة مثل المسرح، فضلاً عن المهتمين بالحضارة العربية بوجه عام.

محمد حسن عبد الله

القاهرة – المعادى

2005



الفصل الأول

شعراء عشاق



1 مرقش الأكبر . وأسماء

كــان مــن خبر مرقش الأكبر أنه عشق ابنة عم لــه يقال لها أسماء بنت عوف بن مالك، علقها وهو غلام، فخطبها إلي أبيها، فقال لــه: لا أزوجها حتى تعرف بالناس، وهذا قبل أن تخرج ربيعة[1] من أرض اليمن، فكان يعده فيها المواعيد، ثم انطلق مرقش إلي ملك مــن الملوك، وكان عنده زمانا، ومدحه، فأجازه؛ وأصاب عوفا زمان شديد، فأتاه رجل من مــراد أحد بني عطيف، فأرغبه في المال، فزوجه أسماء على مائة من الإبل، ثم تنحى عن بني سعد بن مالك.

ورجــع مرقش، فقال إخوتها: لا تخبروه إلا أنها ماتت، فذبحوا كبشا، فأكلوا لحمه، ودفنوا عظامه، ولفوها في ملحفة، ودفنوها، فلما قدم مرقش عليهم أخبروه أنها ماتت، وأتوا به موضع القبر، فنظر إليه، وكان بعد ذلك يعتاده، ويزوره.

فبيــنا هو ذات يوم مضطجع، وقد تغطى بثوبه، وابنا أخيه يلعبان بكعاب لهما، إذ اختصــما في كعب، فقال أحدهما: هذا كعبي أعطانيه أبي من الكبش الذي دفنوه، وقالوا: إذا جاء مرقش أخبرناه أنه قبر أسماء.

فكشف مرقش عن رأسه، ودعا الغلام، وقد ضني ضنًى شديداً، فسأله عن الحديث، فأخــبره به، وبتزويج المرادي أسماء، فدعا مرقش وليدة لــه، ولها زوج من غفيلة كان عســيفا[2] لمــرقش، فأمــرها بأن تدعو لــه زوجها، فدعته، وكانت لــه رواحل، فأمره بإحضــارها ليطلــب المرادي، فأحضرها فركبها، ومضى في طلبه، فمرض في الطريق

(1) ربيعة: أراد بها قبيلة ربيعة.

(2) العسيف: الأجير.

حتى صار لا يحمل إلا معروضا.

وإنهمـــا نـــزلا كهفـــا بأسفل نجران، وهي أرض مراد، ومع الغفلي امرأته وليدة مـــرقش، فسمع مرقش زوج الوليدة يقول لها: اتركيه، فقد هلك سقماً، وهلكنا معه جوعا وضـــراً، فجعلت الوليدة تبكي من ذلك، فقال لها زوجها: إن أطعتني، وإلا فإني تاركك، وكان مرقش يكتب، وكان أبوه دفعه وأخاه حرملة، وكانا أحب ولده إليه، إلى نصراني من أهل الحيرة، فعلمهما الخط، فلما سمع مرقش قول الغفلي للوليدة كتب على مؤخر الرحل:

يـــا صـــاحبي تلبـــثا لا تعجـــــلا!	**إن الـــــرواح رهيـــن أن لا تفعـــلا**
فلعـــــل لبـثكمـا يقـــــرب نائـيـا ،	**أو يسبـــق الإســـراع شيئـــا مقبـــلا**
يـــا راكـبا إمـــا عـرضـــت فـبلغا	**أنـــس بـــن ســـعـد إن لقيـت وحرملا[1]**
لله دركمـــــــا ودر أبـــــيكمـــا ،	**إن أفلـــت الغفلـــي حتـــى يقتـــلا**
مـــــن مـــبلـــغ الأقـــوام أن مرقشـــا	**أضـحى علـــى الأصـحاب عبئا مثقـلا**
وكأنمـــا يــــرد الســـباع بشـــلوه ،	**إذ غـــاب جمـــع بنـــي ضــبيعة مـــنهلا[2]**

قـــال: وانطلق الغفلي وامرأته حتى رجعا إلى أهلهما، فقالا: مات المرقش، ونظر حـــرملة إلى الرحل، وجعل يقلبه. فقرأ الأبيات، فدعاهما وخوفهما، وأمرهما أن يصدقاه، ففعلا، فقتلهما، وقد كانا وصفا لـــه الموضع، فركب في طلب المرقش حتى أتى المكان، فســـأل عـــن خبره، فعرف أن مرقشا كان في الكهف ولم يزل فيه حتى إذا هو بغنم تنزو علـــى الغار الذي هو فيه، وأقبل راعيها إليه، فلما بصر به قال: من أنت وما شأنك؟ فقال لـــه مرقش: أنا رجل من مراد فمن أنت؟ قال: راعي فلان، وإذا هو راعي زوج أسماء،

(1) بلغا: أراد بلغن أبدل النون ألفا.

(2) أراد الشلو: الجسم أراد جثته بعد موته.

فقال له مرقش: أتستطيع أن تكلم أسماء امرأة صاحبك؟ قال: لا، ولا أدنو منها، ولكن تأتيني جاريتها كل ليلة فأحلب لها عنزا، فأتيها بلبنها. فقال له: خذ خاتمي هذا، فإذا حلبت فألقه في اللبن فإنها ستعرفه، وإنك مصيب به خيرا لم يصبه راع قط إن أنت فعلت ذلك.

فأخذ الراعي الخاتم، فلما حلبت العنز طرح الخاتم في القدح، فانطلقت به الجارية، وتركته بين يديها، فلما سكنت رغوته، أخذته، فشربته، وكذلك كانت تصنع، فقرع الخاتم ثنيتها، فأخذته، واستضاءت به بالنار، فعرفته، فقالت للجارية: ما هذا؟ فقالت مالي به علم، فأرسلتها إلى مولاها، وهو في شرب [1] بنجران، فأقبل فزعا، فقال لها: لم دعوتني؟ فقالت: ادع عبدك راعي غنمك، فدعاه، فقالت: سله أين وجد هذا الخاتم؟ فقال: وجدته مع رجل في كهف جبار، فقال لي: اطرحه في اللبن الذي تشربه أسماء، فإنك تصيب به خيراً، وما أخبرني من هو، لقد تركته في آخر رمق.

فقال زوجها: وما هذا الخاتم ؟

قالت: هذا خاتم مرقش، فأعجل الساعة في طلبه، فركب فرسه وحملها على فرس وسارا حتى طرقاه من ليلته، فاحتملاه فمات عند أسماء، وقال قبل أن يموت:

سما نحوي خيال من سليمي ، فأرقني، وأصحابي هجود

فبت أدير أمري كل حال، وأذكر أهلها، وهم بعيد

على أن قد سما طرفي لنار ، يشب لها بذي الأرطي وقود [2]

حواليها مها بيض التراقي ، وآرام وغزلان رقود [3]

---

(1) الشرب: الواحد شارب، أراد جماعة يشربون الخمر.

(2) الأرطي: شجرة ثمرها كالعناب، الواحدة أرطأة.

(3) التراقي: الواحدة ترقوة، مقدم الحلق في الصدر الأرام: الواحد رئم،: الغزال الأبيض اللون.

نواعـــــم لا تعـــالـــج بـــؤس عـــيش ، أوانـــــس لا تـــــروح، ولا تــــرود[1]
يرحـــن معـــا بطـــاء المشـــي رودا ، عليهـــن المجاســـــد والـــبـــرود[2]
ســكـن بـبلـدة وســكنت أخـــرى ، فقطعـــت المـــواثق والعهـــود
فمـــا بالـــي أفـــي ويخـــان عهـــدي ، ومـــا بالـــي أصـــاد ولا أصـــيد
ورب أســيلـة الخديـــن بكـــر ، مـــنعمـــة لـــهـــا فـــرع وجيـــد[3]
وذو أشـــر شـــتيت النبـــت عـــذب نقـــي اللـــون بـــراق بـــرود[4]
لهـــوت بهـــا زمانـــا فـــي شـــبابي ، وزارتهـــا النـــجائـــب والقصيـــد
أناســـا كـلما أخـــلقت وصـــلا عنانـــي منهـــم وصـــل جديـــد

فدفن في أرض مراد.

---

(1) ترود: تدور تذهب وتجئ.
(2) الرود: الشابات الحسناوات، الواحدة رأدة، ورؤد ورأد.
المجاسد: الواحد مجسد، القميص الذي يلي البدن.
(3) الفرع: الشعر الجيد العتيق.
(4) ذو أشر: أراد ثغرا فيه أشر وهو تحديد في الأسنان.

2 جـــريـــر وأمـامــة

جرير قال:

وفــدت علـــى الحجـــاج في سفرة تسمى سفرة الأربعين، فأعطاني أربعين راحلة ورعاءهـــا. وحشو حقائبها القطائف[1] والأكسية لعيالي، وأوقرها حنطة، ثم خرجت، فلما شـــددت على راحلتي كورها وأنا أريد المضيّ جاءني خادم فقال: أجب الأمير، فرجعت معـــه، فدخلت على الحجاج، فإذا هو قاعد على كرسي، وإذا جارية قائمة تعممه، فقلت: السلام عليك أيها الأمير. قال: هات، قل في هذه! فقلت: بأبي وأمي تمنعني هيبة الأمير، وإجلالـــه، فأفحمت، فما أدري ما أقول، فقال: بل هات، قل فيها! فقلت: بأبي وأمي، فما اسمها؟ قال: أمامة، فلما قال أمامة فتح علي فقلت:

ودع أمامـــــة حـــــان مـــنـــك رحيـــل ، إن الـــــــوداع لمـــــن تحـــب قليـــل

تلـــك القلـــــوب صـــــــــواديـــا تيمتها ، وأرى الشـــفاء، ومـــــا إلـــيه ســـــبيـــل

فقال: بل إليه سبيل خذ بيدها! فأخذت بيدها، فجبذتها[2]، فتعلقت بالعمامة، وجبذتها حـــتى رأيت عنق الحجاج قد صغت[3]، ومالت مما جبذتها، وتعلق بالعمامة. قال: خطر ببالي بيت شعر، فقلت:

إن كـــــان طـــبكم الــــــدلال، فإنـــــه حســـــن دلالـــك، يـــا أمـــيم، جمـــيل

---

(1) القطائف: الواحدة قطيفة: دثار مخمل يضعه الرجل على كتفه.

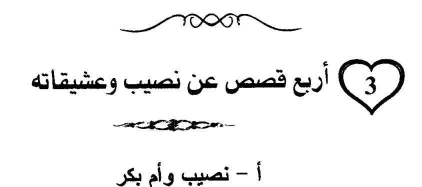
(2) جبذتها: جذبتها.

(3) صغت: مالت.

(4) طبكم: عادتكم وشأنكم.

فقال الحجاج: إنه، والله، ما بها ذاك، ولكن بها بغض وجهك، وهو أهل لذاك. خذ بيدها جرها! فلما سمعت ذلك منه خلت العمامة، وخرجت بها، فكنيتها أم حكيم، وجعلتها تقوم على عمالي وتعطيهم نفقاتهم بقرية يقال لها الفنة، من قرى الوشم.

قال طلحة: فأخبرني الزبير قال: قال محمد بن أيوب: وسمعت حبجيا ابن نوح يقول: كانت والله مباركة.



3 أربع قصص عن نصيب وعشيقاته



أ - نصيب وأم بكر

رأيت رجلا أسود معه امرأة بيضاء، فوقفت أتعجب من شدة سواده مع شدة بياضها، فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا الذي أقول:

ألا ليت شعري ما الذي تحدثن لي ... غدا غربة النأي المفرق والبعد

لدى أم بكر حين تنتشب النوى ... بنا، ثم يخلو الكاشحون بها بعدي

أتصرمني عند الألى فيهم العدى، ... فتشمتهم بي أم تقيم على العهد

فقالت: لا بل ندوم على العهد فسألت عنه فقيل لي هذا نصيب، وسألت عنها فقيل لي عشيقته أم بكر.

* * * *

ب- نصيب وجارية بني مدلج

دخل نصيب على عبد العزيز بن مروان، فقال له: هل عشقت يا نصيب؟ قال: نعم! جعلني الله فداءك، ومن العشق أفلتتني إليك البادية. قال: ومن عشقت؟ قال: جارية لبني مدلج، فأحدق بها الواشون، فكنت لا أقدر على كلامها إلا بعين أو إشارة، فأجلس على الطريق حتى تمر بي فأراها،

ففي ذلك أقول:

جلست لها كيما تمر لعلنى أخالسها التسليم، إن لم تسلم

فلما رأتني والوشاة تحدرت مدامعها خوفا ولم تتكلم

مساكين أهل العشق ما كنت أشتري حياة جميع العاشقين بدرهم

* * * *

جـ- نصيب ... وزينب

خرجت في آخر الحج، فنزلت بخيمة بالأبواء على امرأة، فأعجبني ما رأيت من حسنها، فتمثلت بقول نصيب:

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب وقل إن تملينا فما ملك القلب

وقل في تجنيها لك الذنب : إنما عتابك من عاتبت فيما له عتب[1]

خليلي من كعب ألما، هديتما ، بزينب، لا يفقدكما أبدا كعب

---

(1) تجنيها له الذنب، رميها إياه بذنب لم يفعله.

وقــولا لهـــا: مـــا فـــي البعاد لذي الهوى بعـــاد، ومـــا فـــيه لصـــدع النوى شعب[1]

فمـــن شـــاء رام الوصـــل، أو قـــال ظالما لصاحبـــه ذنـــب، وليس لـــــه ذنـــب

قال: فلما سمعتني أتمثل بالأبيات قالت: يا فتى! أتعرف قائل هذا الشعر؟ قلت: نعم! ذاك نصـــيب. قالت: نعم، هو ذاك، أفتعرف زينب؟ قلت: لا! قالت: أنا والله زينب. قلت فحـــياك الله. قالـــت: أمـــا إن اليوم موعده من عند أمير المؤمنين. خرج إليه عام أول، ووعدني هذا اليوم. ولعلك لا تبرح حتى تراه.

قال: فما برحت من مجلسي، وإذا أنا براكب يزول مع السراب. فقالت: ترى خبب ذاك الراكب؟ إني أحسبه إياه.

ثـــم أقـــبل الراكب حتى أناخ قريبا من الخيمة، فإذا هو نصيب، ثم ثنى رجله عن راحلته، فنزل ثم أقبل، فسلم علي، وجلس ناحية، وسلم عليها، وساءلها وساءلته فأحفيا[2]، ثم ساءلته أن ينشدها ما أحدث من الشعر بعدها، فجعل ينشدها، فقلت في نفسي: عاشقان أطالا التنائي، فلابد أن يكون لأحدهما إلى صاحبه حاجة.

فقمت إلى راحلتي أشد عليها، فقال لي: على رسلك! أنا معك. فجلست حتى نهض، ونهضـــت معه، فتسايرنا ساعة، ثم التفت إلي فقال: قلت في نفسك محبان التقيا بعد طول تـــناء، فلابد أن يكون لأحدهما إلى صاحبه حاجة. قلت: نعم! قد كان ذاك. قال: فلا ورب هـــذه البنية التي إليها نعمد ما جلست منها مجلسا قط أقرب من مجلسي الذي رأيت، ولا كان بيننا مكروه قط.



(1) الصدع: الشق.
شعب: التئام.
(2) أحفيا: رددا المساءلة.

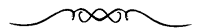
د – نصيب وزينب

كنت حاجا ومعي رجل من القافلة لا أعرفه، ولم أره قبل ذلك، ومعه هودج وأثقال ووضـــينة[1]، وعبيد ومتاع، فنزلنا منزلا، فإذا فرش ممهدة، وبسط قد بسطت، فخرج من أعظمها هودجا امرأة زنجية، فجلست على تلك الفرش الممهدة، ثم جاء زنجي، فجلس إلى جنبها، على الفرش، فبقيت متعجبا منهما، فبينا أنا أنظر إذ مر بنا مار وهو يقود إبلا معه، فجعل يغني ويقول:

بزينـــب ألمـــم قـــبل أن يـــرحل الركب ، وقـــل إن تملينـــا فمـــا ملـــك القلـــب

قـــال: فوثبـــت الزنجية إلى الزنجي، فخبطته وضربته، وهي تقول: شهر تني في الناس شهرك الله.

فقلـــت: مـــن هذا ؟ قالوا لي: نصيب الشاعر، وهذه زينب. وذكر الزبير ضد هذا الخبر.



(1) الوضينة : المنضدة.

4 ذكريات العجوز العاشقة

ليلى الأخيلية ... وتوبة

عن مولى لعنبسة أن سعيد بن العاص قال:

كنت أدخل مع عنبسة بن سعيد إذا دخل على الحجاج، فدخل يوما، فدخلت إليهما، ولـــيس عند الحجاج غير عنبسة، فقعدت فدخل الحجاج بطبق فيه رطب، فأخذ الخادم منه شـــيئا فجاءني به، ثم جئ بطبق، حتى كثرت الأطباق، وجعل لا يؤتون بشيء إلا جاءني مـــنه بشـــيء، حـــتى ظننت أن ما بين يدي أكثر مما عندهم، ثم جاء حاجب فقال: امرأة بالباب، فقال لـــه الحجاج: أدخلها! فدخلت، فلما رآها الحجاج، طأطأ رأسه حتى ظننت أن ذقنه أصاب الأرض، فجاءت حتى قعدت بين يديه، فنظرت إليها فإذا هي امرأة قد أسنت، حســـنة الخلـــق، ومعها جاريتان لها، وإذا هي ليلى الأخيلية، فسألها الحجاج عن نسبها، فانتســـبت له، فقـــال لها: يا ليلى ما أتى بك؟ فقالت: إخلاف النجوم، وقلة الغيوم، وكلب البرد، وشدة الجهد، وكنت لنا بعد الله الرفد.

فقال لها: صفي لنا الفجاج[1].

فقالـــت : الفجـــاج مغـــبرة، والأرض مقشعرة، والمنزل معتل، وذو العيال مختل، والهـــالك المقل، والناس مسنتون[2]، رحمة الله يرجون، وأصابتنا سنون مجحفة مبطلة لم

---

(1) الفجاج، الواحد فج: الطريق الواسع الواضح بين جبلين.
(2) مسنتون، من أسنت: أصابه الجدب والقحط.

تــدع لــنا هــيعا ولا ريعــا، ولا عافطة ولا نافطة[1]، أذهبت الأموال، وفرقت الرجال، وأهلكت العيال. ثم قالت: إني قد قلت في الأمير قولا! قال: هاتي، فأنشأت تقول:

أحجــاج لا يفـــلل ســلاحك إنمــا الـــ ... منايـــا بكف الله حيــث تـــراهـــا

أحجــاج لا تعـــط العصــاة مناهـــم ، ... ولا الله يعطـــي للعصــاة مـــناهـــا

إذا هــبــط الحجــاج أرضـــا مـــريضــة ... تتبـــع أقصـــى دائـــها فشفاهـــا

شــفاها مــن الــداء العضــال الــذي بها ... غـــلام إذا هـــز القناة سقاهـــا

ســقاهــا، فــرواها بشـــرب ســجاله ... دمـــاء رجـــال حيـــث قـــال حماهـــا[2]

إذا ســمـــع الحجـــاج رز كتيـــبة ، ... أعـــد لهـــا قـــبل الـــنزول قـــراها[3]

أعـد لـــهـــا مسمـــومـــة فـــارسيـــة ... بـــأيدي رجـــال يحلـــبــون صــــراها [4]

فمـــا ولـــد الأبكـــار والعـــون مثله ، ... بـــنجـد ولا أرض يجـــف ثــــــراها [5]

قـــال: فلمـــا قالت هذا، قال الحجاج: قاتلها الله! ما أصاب صفتي شاعر مذ دخلت العـــراق غـــيرها، ثم التفت إلى عنبسة بن سعيد فقال: والله إني لأعد للأمر عسى أن لا يكـــون أبـــدا، ثم التفت إليها فقال: حسبك. قالت: إني قد قلت أكثر من هذا، قال: حسبك، ويحـــك حسبك، ثم قال: يا غلام اذهب إلى فلان فقل له اقطع لسانها. قال: فأمر بإحضار

(1) الهيع،لعله جمع الهيعة: سيلان الشيء المصبوب على وجه الأرض فيكون المراد ماء
الريع: الغلة العافطة: النعجة النافطة: العنز

(2) السجال، الواحد سجل: الدلو العظيمة.

(3) الرز: الصوت البعيد.

(4) أرادت بالمسمومة الفارسية: الرماح. الصرى: بقية الشيء.

(5) العون، الواحدة عوان: من كانت في منتصف السن.

الحجـــام، فالتفتت إليه فقالت: ثكلتك أمك! أما سمعت ما قال؟ إنما أمرك أن تقطع لساني بالصلة. فبعث إليه يستثبته، فاستشاط الحجاج غضبا، وهم بقطع لسانه وقال: ارددها، فلما دخلت عليه قالت: كاد، وأمانة الله، يقطع مقولي. ثم أنشأت تقول:

حجـــاج ! أنـت الـــذي مـــا فوقه أحـــد ... إلا الخلـــيفة والمســـتغفر الصـــمد[1]

حجـــاج ! أنـــت شـــهاب الحرب إذ لقحت، ... وأنـــت للـــناس فـــي جـــنح الدجـــى تقد

ثـــم أقبل الحجاج على جلسائه فقال: أتدرون من هذه؟ قالوا: لا والله أيها الأمير إلا أنا لم نر امرأة قط أفصح لسانا ولا أحسن محاورة ولا أملح وجها ولا أرصن شعرا منها.

فقال: هذه ليلى الأخيلية التي مات توبة الخفاجي من حبها، ثم التفت إليها وقال: أنشدينا يا ليلى بعض ما قال فيك توبة. فقالت: نعم أيها الأمير هو الذي يقول:

وهـــل تبكين ليلـــى إذا مـــا بكيتهـــا ... وقـــام علـــى قبـــري النساء النوائـــح[2]

كمـــا لوصـــاب المـــوت لـــيلى بكيـــتها، ... وجـــاد لها دمـــع مـــن العيـــن سافـــح

وأغـــبط مـــن لـــيلى بمـــا لا أناله ، ... بلـــى ! كـــل ما قرت بـــه العين صالح

ولـــو أن لـــيلـــى الأخيلية سلمت ... علـــي، ودوني تربـــة وصفائـــح[3]

لســـلمت تســـليـــم البشاشـــة أو زقـــا ... إلـــيها صـــدى مـــن جانـــب القبر صائح[4]

---

(1) الصمد: من أسماء الله الحسنى ومعناه : الدائم.

(2) قوله: إذا ما بكيتها، هكذا في الأصل ولعل اللفظة محرفة.

(3) الصفائح: الحجارة العراض، الواحدة صفيحة.

(4) زقا: صاح. الصدى: طائر زعمت العرب أنه يخرج من رأس القتيل فلا يزال يصيح عطشان إسقوني إلى أن يؤخذ بثأره.

فقال لها زيدينا يا ليلى من شعره، فقالت هو الذي يقول:

حمامة بطن الواديين ترنمي سقاك من الغر الغوادي مطيرها[1]

أبيني لنا، لا زل ريشك ناعما ، ولا زلت في خضراء غض نضيرها

وأشرف بالقوز اليفاع لعلني أرى نار ليلى أو يراني بصيرها[2]

وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت ، فقد رابني منها الغداة سفورها

يقول رجال: لا يضيرك نأيها ! بلى ! كل ما شف النفوس يضيرها

بلى ! قد يضير العين أن تكثر البكى ، ويمنع منها نومها وسرورها

وقد زعمت ليلى بأني فاجر ، لنفسي تقاها،أو عليها فجورها

فقال لها الحجاج: يا ليلى ما رابه من سفورك؟ فقالت: أيها الأمير، كان يلم بي كثيرا، فأرسل إلي يوما أني آتيك، وفطن الحي، فأرصدوا له، فلما أتاني سفرت، فعلم أن ذلك لشر، فلم يزد على التسليم والرجوع. فقال: لله درك، فهل رأيت منه شيئا تكرهينه؟ فقالت لا والذي أسأله أن يصلحك غير أنه قال لي مرة قولا ظننت أنه قد خضع لبعض الأمر، فقلت له:

وذي حاجة قلنا له : لا تبح بها فليس إليها ما حييت سبيل

لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه ، وأنت لأخرى فارغ وحليل[3]

---

(1) الغر: البيض، أي السحائب البيض. الغوادي، واحده غادية: السحابة التي تمر غدوة.

(2) القوز: الكثيب من الرمل اليفاع: المشرف البصير: المجاور للنار وأراد ليلى.

(3) الفارغ، إما من الفراغ، قلق: أوانه متفرغ لها الحليل: الزوج.

فلا والذي أسأله أن يصلحك ما رأيت منه شيئا. حتى فرق الموت بيني وبينه. قال: ثم ماذا؟ قالت: لم يلبث أن خرج في غزاة له فأوصى ابن عمه:إذا أتيت الحاضرة من بني عبادة، فناد بأعلى صوتك :

عفا الله عنهـا ! هــل أبيتن ليلـــــة مـــن الــــدهر لا يسري إلى خيالها

فخرجت وأنا أقول:

وعنـــه عفا ربـــي، وأحسن حاله ، فعـــــز علينا حاجـــــــة لا ينلها

قـــال: ثم ماذا؟ قالت: لم يلبث أن مات، فأتاني نعيه. قال: فأنشدينا بعض مراثيك، فأنشدت:

لتبـــك عليـــه مـــن خفاجة نســـوة ، بمـــاء شـــؤون العبـرة المتحدر[1]

قال: فأنشدينا:

كــــأن فتــــى الفتيان توبــة لـــم ينخ قلائـــص يفحصـــن الحصـــا بالكراكــر[2]

فلمـــا فرغت من القصيدة قال محصن الفقعسي، وكان من جلساء الحجاج: من هذا الـــذي تقول هذه هذا فيه؟ فوالله إني لأظنها كاذبة. فنظرت إليه، ثم قالت: أيها الأمير! إن هـــذا القـــائل لـــو رأى توبة لسره أن لا يكون في داره عذراء إلا وهي حامل منه. فقال الحجاج: هذا وأبيك الجواب، وقد كنت عنه غنيا.

---

(1) خفاجة: رهط توبة.

(2) يفحصن: يحفرن الكراكر، واحدتها كركرة: صدر البعير.

ثـم قـال لها: سلي يا ليلى تعطي. قالت: أعط فمثلك أعطى فأجزل. قال: لك عشرون. قالـت: زد فمـثلك زاد فأجمل. قال: لك أربعون قالت: زد فمثلك زاد فأفضل. قال: لك ستون. قالـت: زد فمثلك زاد فأكمل. قال: لك ثمانون قالت: زد فمثلك زاد فأتم. قال: لك مائة، واعلمي يـا ليلى أنها غنم، قالت: معاذ الله أيها الأمير، أنت أجود جودا وأمجد مجدا وأورى زندا من أن تجعلهـا غـنما. قال: فما هي ويحك يا ليلى؟ قالت: مائة ناقة يدعى بها. فأمر بها ثم قال: ألك حاجـة بعدهـا؟ قالـت: تدفـع إلى النابغة الجعدي في قرن. قال: قد فعلت. وقد كانت تهجوه ويهجوهـا، فبلغ النابغة ذلك، فخرج هاربا عائذا بعبد الملك، فاتبعته إلى الشام، فهرب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان، فأتبعته، على البريد، بكتاب الحجاج إلى قتيبة، فمات بقومس، ويقال بحلوان.



5 عشر قصص عن قيس وأحواله

أ - قيس بن الملوح .. وليلى

لمـا خولط قيس بن الملوح وزال عقله وامتنع من الأكل والشرب صارت أمه إلى لـيلى فقالـت لهـا: إن ابنـي جـن من أجلك، وذهب حبك بعقله، وقد امتنع من الطعام والشـراب، فإن رأيت أن تصيري معي إليه فلعله، إذا رآك، يسكن بعض ما يجد. فقالت لهـا: أما نهارا فما يمكنني ذلك، وإن علم أهل الماء لم آمنهم على نفسي، ولكن سأصير إليه في الليل. فلما كان الليل صارت إليه، وهو مطرق يهذي، فقالت له: يا قيس! إن أمك تـزعم أنـك جننت على رأسي، وأصابك ما أصابك؟ قال: فرفع رأسه فنظر إليها وتنفس الصعداء، وأنشأ يقول:

قالـت جننـت علـى رأسي، فقلت لها : الحـب أعظـم ممـا بالمجانيـن

الحب ليس يفيق الدهر صاحبه ، وإنما يصرع المجنون في الحين

* * * *

ب- ليلى والمجنون

كان في بني عامر من بني الحريش جارية من أجمل النساء وأحسنهن، لها عقل وأدب، يقال لها ليلى ابنة مهدي بن ربيعة بن الحريش، فبلغ المجنون خبرها، وما هي عليه من الجمال والعقل، وكان صبا بمحادثة النساء، فعمد إلى أحسن ثيابه، فلبسها وتهيأ بأحسن هيئة، وركب ناقة له كريمة، وأتاها، فلما جلس إليها، وتحدث بين يديها أعجبته، ووقعت بقلبه، فظل يومه يحدثها وتحدثه، حتى أمسى وانصرف إلى أهله، فبات بأطول ليلة، حتى إذا أصبح مضى إليها فلم يزل عندها حتى أمسى، ثم انصرف، فبات بأطول ليلة من ليلته الأولى، وجهد أن يغمض، فلم يقدر على ذلك، وأنشأ يقول:

نهاري نهار الناس، حتى إذا بدا لي الليل هزتني إليك المضاجع

أقضي نهاري بالحديث وبالمنى ، ويجمعني والهم بالليل جامع

وأدام زيارتها، وترك إتيان كل من كان يأتيه فيتحدث إليه بغيرها، وكان يأتيها كل يوم، فلا يزال عندها نهاره أجمع،حتى إذا أمسى انصرف، وإنه خرج ذات يوم، يريد زيارتها، فلما قرب من منزلها لقيته جارية حاسرة عسراء، فتطير من لقائها، فأنشأ يقول:

وكيف ترجى وصل ليلى، وقد جرى بجدُ القُوَى من ليلَ أعسرُ حاسر

صديع العصا جدب الزمان إذا انتحى لوصل امرئ لم يقض منه الأواصر



ثم صار إليها في غد، فلم يزل عندها، فلما رأت ليلى ذلك منه، وقع في قلبها مثل الذي وقع لها في قلبه، فجاءها يوما كما كان يجيء، فأقبل يحدثها وجعلت هي تعرض عنه بوجهها، وتقبل على غيره تريد أن تمتحنه، وتعلم ما لها في قلبه، فلما رأى ذلك منها اشتد عليه وجزع، حتى عرف ذلك فيه، فلما خافت عليه أقبلت عليه كالمشيرة إليه فقالت:

كلانـــا مظهـــر للـــناس بغضـــا، و كــل عــند صـــاحبه مكيـــن

فســري عنه، علم ما في قلبها، وقالت له: إنما أردت أن أمتحنك، والذي لك عندي أكثر من الذي لي عندك، وأنا معطية الله عهدا إن أنا جالست بعد يومي هذا رجلا سواك حتى أذوق الموت، إلا أن أكره على ذلك.

قال: فانصرف في عشيته وهو أسر الناس بما سمع منها، فأنشأ يقول:

أظـــن هواهــا تاركـــي بمضـــلة مـــن الأرض لا مـــال لـــدي ولا أهـــل

ولا أحـــد أفضـــي إلـــيه وصـــيتي، ولا وارث إلا المطـــية والـــرحل

محـــا حـــبها حـــب الأولـــى كـــن قـــبلها وحلـــت مكانــا لــم يكــن حــل مــن قبل

جـ - قيــس .. وليلــى

قــال أبــو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي إن قيس بن الملوح، وهو مجنون، لما نسب بليلى وشهر بحبها، اجتمع إليه أهلها، فمنعوه من محادثتها وزيارتها وتهددوه بالقتل، وكــان يأتــي امرأة من بني هلال ناكحا في بني الحريش، وكان زوجها قد مات، وخلف علــيها صبية صغارا، فكان المجنون إذا أراد زيارة ليلى جاء إلى هذه المرأة فأقام عندها وبعــث بهــا إلى ليلى، فعرفت له خبرها وعرفتها خبره، فعلم أهل ليلى بذلك فنهوها أن يدخــل قــيس إلــيها، فجاء قيس كعادته، فأخبرته المرأة الخبر وقالت: يا قيس! أنا امرأة



غريـــبة من القوم ومعي صبية، وقد نهوني أن أؤويك، وأنا خائفة أن ألقي منهم مكروها، فأحب أن لا تجئ إلى هاهنا، فأنشأ يقول:

أجارتـــــنا إنــــا غريـــبان هاهـــنا، وكـــل غريـــب للغريـــب نســـيب

فـــلا تزجرينـــي عـــنك خـــيفة جـــاهل إذا قـــال شـــرا أو أخـــيف لبيـــب

قـــال: وترك الجلوس إلى الهلالية، وكان يترقب غفلات الحي في الليل، فلما كثر ذلـــك منه خرج أبو ليلى، ومعه نفر من قومه، إلى مروان بن الحكم، فشكوا إليه ما نالهم مـــن قـــيس، ومـــا قد شهرهم به، وسألوه الكتاب إلى عامله عليهم بمنعه من كلام ليلى، وبخطبه إليهم، فكتب لهم مروان كتابا إلى عامله يأمره فيه أن يحضر قيسا ويتقدم إليه في ترك زيارة ليلى، فإن أصابه أهلها عندهم، فقد أهدر دمه.

فلما ورد الكتاب على عامله بعث إلى قيس وأبيه، وأهل بيته، فجمعهم، وقرأ عليهم كـــتاب مروان، وقال لقيس: اتق الله في نفسك، لا يذهب دمك هدرا، فانصرف قيس وهو يقول:

ألا حجبـــت لـــيلى، وآلـــى أمـــيرها علـــى يميـــنا جـــاهدا لا أزورهـــا

وأوعدنـــي فـــيهم رجـــال، أبوهـــم أبـــي وأبوهـــا، خشـــنت لـــي صـــدورها

علـــى غـــير شـــيء غـــير أنـــي أحـــبها، وأن فـــؤادي عـــند لـــيلى أســـيرها

فلمـــا أيس منها، وعلم أن لا سبيل إليها، صار شبيها بالتائه العقل، وأحب الخلوة، وحديـــث الـــنفس، وتـــزايد الأمر به، حتى ذهب عقله، ولعب بالحصا والتراب، ولم يكن يعـــرف شيئا إلا ذكرها وقول الشعر فيها، وبلغها هي ما صار إليه قيس، فجزعت أيضا لفراقه وضنيت ضنا شديدا.

وإن أهل ليلى خرجوا حجاجا، وهي معهم، حتى إذا كانوا بالطواف رآها رجل من ثقـيف وكان غنيا كثير المال، فأعجب بها، على تغيرها وسقمها، فسأل عنها، فأخبر من هـي، فـأتى أباها، فخطبها إليه وأرغبه في المهر، فزوجه إياها، وبلغ الخبر قيسا، فأنشأ يقول:

ألا تلـك لـيلـى العامـريـة أصبحت   تقطـع إلا مـن ثـقيف وصـالها

هـم حبسـوها محـبس الـبدن وابتغى   بهـا المـال أقـوام تسـاحف مالهـا[1]

إذا التفتـت والعـيس صُـعْرٌ مـن البُرَي   بنخلة خلـى عبـرة العين حالـهـا

* * * *

---

(1) تساحف مالها: أراد ذهب مالها.

د – قيس بن معاذ ... المجنون

ولـــي نوفـــل بن مساحق صدقات كعب بن ربيعة فنزل بمجمع من تلك المجامع، فرأى قيس بن معاذ المجنون، وهو يلعب بالتراب، فدنا منه، فكلمه وجعل يجيبه بخلاف ما يســـأله عنه، فقال له رجل من أهله: إن أردت أن يكلمك كلاما صحيحا، فاذكر لـــه ليلى، فقال له نوفل: أتحب ليلى؟ قال: نعم، قال: فحدثني حديثك معها! قال: فجعل ينشده شعره فيها، ويقول:

وشـــغلت عـــن فهـــم الحديـــث ســـوى ... مـــا كـــان فـــيك، وأنـــتم شـــغلي

وأديـــم نحـــو محدثـــي لـــيرى ... أن قـــد فهمـــت، وعـــندكم عقلـــي

وأنشد أيضا:

ســرت فــي ســواد القلب حتى إذا انتهى ... بهــا الســير وارتــادت حمــى القلب حلت

فللعيـــن تهمـــال إذا القلـــب ملهـــا، ... و للقلـــب وســـواس إذا العيـــن ملـــت

ووالله مـــا فـــي القلـــب شـــيء من الهوى ... لأخـــرى ســـواها أكـــثرت أم أقلـــت

وأنشد أيضا:

ذكـــرت عشـــية الصـــدفين لـــيلى، ... و كـــل الدهـــر ذكـــراها جديـــد

علـــيَّ ألـــية إن كنـــت أدري ... أيـــنقص حـــب لـــيلى أم يـــزيد[1]

---

(1) الألية: القسم.

فلمـــا رأى نوفـــل ذلـــك منه أدخله بيتا، وقيده، وقال: أعالجه، فأكل لحم ذراعيه وكفــيه، فحله، وأخرجه، فكان يأوي مع الوحوش، وكانت لـــه داية ربته صغيرا فكان لا يـــألف غيرها، ولا يقرب منه أحد سواها، فكانت تخرج في طلبه في البادية وتحمل لـــه الخبز والماء، فربما أكل بعضه، وربما لا يأكل، فلم يزل على ذلك حتى مات.

* * * *

هـ - قيـــس .... والوالـــي

استعمل مروان بن الحكم رجلا من قريش يقال لـــه: محمد بن عبد الرحمن، على صدقات كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، فسمع بخبر المجنون، فأمر أن يؤتى به، فسأله عن حاله، فأخبره، وأنشده شعره، فأعجب به، وقال لـــه: الزمني، ووعده أن يعمل لـــه في أمر ليلى، فكان يأتيه في بعض الأوقات، فيتحدث عنده.

وكان لبني عامر مجتمع يجتمعون إليه في كل سنة مرة، فيأكلون ويشربون يومهم، وكـــان الوالـــي يخرج إليهم، فيكون معهم في ذلك المجتمع لئلا يكون بينهم شر أو قتل، فحضر ذلك اليوم،فقال المجنون للوالي أتأذن لي في الخروج معك إلى هذا المجتمع؟ فقال له: نعم. فقيل لـــه: إنما سألك أن يخرج معك ليرى ليلى، وقد استعدى أهلها عليه، فأهدر الســـلطان دمـــه إن أتاهم، فلما سمع ذلك منعه من الخروج معه، وأمر لـــه بقلائص من قلائص الصدقة فأبى أن يقبلها وقال:

ردت قـــلائص القرشـــــــــى لمـــا أتـــــاتى الـــــنقض مـــــنه للعهـــــود

وراحـــــوا مقصـــريـــــن وخلفونـــــي إلـــــى حــــزن، أعالجـــه، شديـــــد[1]

* * * *

(1) مقصرين: من أقصر عن الأمر تركه مع القدرة عليه.

و- قيس أمام الكعبة

عن ابن دأب عن رياح، حدثني بعض المشايخ قال:

خرجت حاجا حتى إذا كنت بمنى إذا جماعة على جبل من تلك الجبال، فصعدت إليهم، فإذا معهم فتى أبيض حسن الوجه، وقد علاه اصفرار، وبدنه ناحل، وهم يمسكونه. قال: فسألتهم عنه، فقالوا: هذا قيس الذي يقال له المجنون، خرج به أبوه لما بلى به، يستجير له ببيت الله الحرام، وقبر محمد، عليه الصلاة والسلام، فلعل الله يعافيه. قلت لهم: فما بالكم تمسكونه؟ قالوا: نخاف أن يجني على نفسه جناية تتلفه. قال: وهو يقول: دعوني أتنسم صبا نجد. فقال لي بعضهم: ليس يعرفك، فلو شئت دنوت منه، فأخبرته أنك قدمت من نجد وأخبرته عنها، قلت: نعم، أفعل، فدنوت منه. فقالوا له: يا قيس، هذا الرجل قدم من نجد. قال: فتنفس حتى ظننت أن كبده قد تصدعت، ثم جعل يسائلني عن موضع فموضع وواد فواد، وأنا أخبره وهو يبكي، ثم أنشأ يقول:

ألا حبذا نجد وطيب ترابه ... وأرواحه إن كان نجد على العهد

ألا ليت شعري! هل عوارضتيْ قنا ... بطول الليالي قد تغيرتا بعدي[1]

وعن جارتينا بالنثيل إلى الحمى، ... على عهدنا أم لم تدوما على العهد[2]

وعن علويات الرياح إذا جرت ... بريح الخزامي هل تهب على نجد

وعن أقحوان الرمل ما هو صانع ... إذا هو أثرى ليلة بثرى جعد[3]

* * * *

(1) عوارضتي قنا : موضع بعينه.
(2) النثيل : موضع.
(3) أثرى : كثر، من الثروة.

ز- ختـــام رحـــلة الشامـــي

أن رجـــلا مـــن أهل الشام كان لـــه أدب، وأنه ذكر لـــه المجنون، وأخبر بخبره، فأحب أن يراه، وأن يسمع شعره، فخرج يريده، حتى إذا صار إلى حيه سأل عنه، فأخبر أنـــه لا يـــأوي إلى مكان، وأنه يكون مع الوحش، قال: فكيف لي بالنظر إليه؟ قيل إنه لا يقف لأحد حتى يكلمه إلا لداية لـــه هي التي كانت ربته، فكلم دايته وسألها، فخرجت معه تطلـــبه في مظانه التي يكون فيها في البرية، فطلبوه يومه ذلك، فلم يقدروا عليه، ثم غدوا في اليوم الثاني يطلبونه، فبينا هم كذلك إذ أشرفوا على واد كثير الحجارة، وإذا به في ذلك الـــوادي ميـــت، فاحـــتمله الرجل ودايته حتى أتيا به الحي، فغسلوه وكفنوه ودفنوه، فقال الـــرجل: قد كنت أقدر أن أسمع منه شيئا من شعره ففاتني ذلك فأنشدوني من شعره شيئاً نصرف به، فأنشدوه أشياء كتبها، وانصرف.

* * * *

ح- المجنـــون أمـــام الكعبـــة

قال أبو عمر الشيباني: لما ظهر ورأى قومه ما ابتلي به، اجتمعوا إلى أبيه وقالوا: يا هذا! قد ترى ما ابتلي به ابنك، فلو خرجت به إلى مكة فعاذ ببيت الله الحرام، وزار قبر رســـول الله، صـــلى الله عليه وآله، ودعا الله تعالى، رجونا أن يرجع عقله، ويعافيه الله، فخرج أبوه حتى أتى به مكة، فجعل يطوف به ويدعو الله، عز وجل، لـــه بالعافية. وهو يقول:

دعـــا المحرمـــون الله يستغفرونه ، بمكـــة، وهـــنًا، أن تُمَحَّـــى ذنوبُهـــا

ونـــــاديـــت أن يـــا رب أول سؤلتي لنفســـي لـــيلى ثـــم أنت حسيبها



فإن أعط ليلى في حياتي لا يتب إلى الله خلق توبة لا أتوبها

حتى إذا كان بمنى نادى مناد من بعض تلك الخيام: يا ليلى، فخر قيس مغشيا عليه، واجتمع الناس حوله، ونضحوا على وجهه الماء، وأبوه يبكي عند رأسه، ثم أفاق وهو يقول:

وداع دعا، إذ نحن بالخيف من منى، فهيج أشواق الفؤاد ولم يدر

دعا باسم ليلى غيرها، فكأنما أطار بليلى طائرا كان في صدري



ط - ليلى المشؤومة .... عليه!

حدثنا عثمان بن عمارة عن أشياخهم من بني مرة قال:

رحل رجل منا إلى ناحية الشام مما يلي تيماء والشراه في طلب بغية له،فإذا هو بخيمة قد رفعت له، وقد أصابه مطر، فعدل إليها، فتنحنح، فإذا امرأة قد كلمته، فقالت له : انزل، فنزل وراحت إبلهم وغنمهم فإذا أمر عظيم، وإذا رعاء كثير، فقالت لبعض العبيد: سلوا هذا الرجل من أين أقبل؟ فقلت: من ناحية اليمامة ونجد. فقالت: أي بلاد نجد وطئت؟ قلت: كلها. قالت: بمن نزلت هناك؟ قلت: ببني عامر، فتنفست الصعداء، وقالت: بأي بني عامر؟ فقلت: ببني الحريش. فاستعبرت. ثم قالت: هل سمعت بذكر فتى يقال له قيس ويلقب بالمجنون؟ فقلت: إي والله، ونزلت بأبيه، وأتيته حتى نظرت إليه، يهيم في تلك الفيافي، ويكون مع الوحش لا يعقل ولا يفهم إلا أن تذكر ليلى فيبكي، وينشد أشعارا يقولها فيها.

قال: فرفعت الستر بيني وبينها، فإذا شقة قمر لم تر عيني مثلها، فبكت وانتحبت حتى ظننت، والله، أن قلبها قد انصدع، فقلت لها: أيتها المرأة! اتقي الله، فوالله ما قلت بأسا. فمكثت طويلا على تلك الحال من البكى والنحيب ثم قالت:

ألا ليــت شـــعــري، والخطــوب كثــيرة ... مــتى رحــل قــيس مســتقل فــراجع[1]

بنفســـــي مــــن لا يستقــل بـــرحله ، ... ومــــن هــو،إن لــم يحفــظ الله، ضائـــع

ثم بكت حتى غشي عليها، فلما أفاقت قلت : من أنت، بالله؟ قالت: أنا ليلى المشؤومة عليه، غير المساعدة لـــه. فما رأيت مثل حزنها ووجدها، فمضيت وتركتها.

* * * *

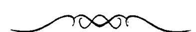
ى- عـــلامـــة الذهـــول

قـــال أبـــو عبيدة: وكان المجنون يجلس في نادي قومه، وهم يتحدثون، فيقبل عليه بعـــض القوم، فيحدثه وهو باهت ينظر إليه ولا يفهم ما يحدثه، ثم يثوب عقله، فيسأل عن الحديث، فلا يعرفه، فحدثه مرة بعض أهله بحديث، ثم سأله عنه في غد، فلم يعرفه، فقال: إنك لمجنون! فقال:

إنـــي لأجلـــس فـــي الـــنادي أحدثهـــم، ... فأســـتفيق، وقـــــد غالتنـــي الغـــول

يهـــوي بقلبـــي حديـــث الـــنفس نحوكـــم ... حـــتى يقـــول جليســـي : أنـــت مخـــبول

قـــال أبـــو عبيدة: فتزايد الأمر حتى فقد عقله، وكان لا يقر في موضع ولا يأنس بـــرجل، ولا يعلوه ثوب إلا مزقه، وصار لا يفهم شيئا مما يكلم به إلا أن تذكر ليلى، فإذا ذكرت أتى بالبدائه ورجع عقله.



(1) مستقل: من استقل القوم، ارتحلوا.

6 ثلاث قصص عن جميل

أ - جميل ... وبثينة

قال هشام بن محمد سمعت رجلا من بنى عذرة يحدث قال :

لما علق جميل بثينة وجعل ينسب بها استعدى عليه أهلها ربعى بن دجاجة، وهو يومئذ أمير تيماء، قال: فخرج جميل هارباً حتى انتهى إلى رجل من عذرة، بأقصى بلادهم، وكان سيداً، فاستجار به، وكان للرجل سبع بنات، فلما رأى جميلاً رغب فيه، وأراد أن يزوجه ليسلو عن بثينة، فقال لبناته: البسن أحسن ثيابكن وتحلين بأحسن حليكن، وتعرضن له، فلعل عينه أن تقع على إحداكن فأزوجه.

قال : وكان جميل، إذا أراد الحاجة، أبعد فى المذهب، فإذا أقبل رفعن جانب الخباء، فإذا رآهن صرف وجهه، قال: ففعلن ذلك مراراً، فعرف جميل ما أراد به الشيخ، فأنشأ يقول:

حلفت لكيما تعلمينى صادقاً، وللصدق خير فى الأمور وأنجح

لتكليم يوم واحد من بثينة ورؤيتها عندى ألذ وأملح

من لدهر لو أخلو بكن، وإنما أعالج قلبا طامحا حيث يطمح

فقال الشيخ: أرخين عليكن الخباء، فوالله لا يفلح هذا أبداً.

* * * *

ب - براءة جميل

عن سهل بن سعد الساعدى قال:

بينا أنا بالشام إذ لقينى رجل من أصحابى فقال: هل لك فى جميل تعوده، فإنه ثقيل بالمرض؟ قلت: نعم! فدخلنا عليه، وهو يجود بنفسه، وما يخيل إلى إلا أن الموت علق به، فنظر إلى وقال: يا ابن سعد! ما تقول فى رجل لم يزن قط، ولم يشرب خمراً قط، ولم يسفك دماً حراماً قط، يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، منذ خمسين سنة؟

قال : قلت: من هذا الرجل؟ فإنى أظنه، والله، قد نجا، لأن الله تعالى يقول: إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما.

قال : أنا. قال: فقلت: والله ما رأيت كاليوم أعجب من هذا، وأنت تشبب ببثينة منذ عشرين سنة.

قال: أنا فى آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من الآخرة، فلا نالتنى شفاعة محمد إن كنت وضعت يدى عليها لريبة قط، وإن كان أكثر ما كان منى إليها أنى كنت آخذ يدها أضعها على قلبى، فأستريح إليها.

قال: ثم أغمى عليه، ثم أفاق، فقال:

صدع النعى وما كنى بجميل، وثوى بمصر ثواء غير قفول

ولقد أجر الذيل فى وادى القرى، نشوان بين مزارع ونخيل

قومى بثينة، فاندبى بعويل وابكى خليلك دون كل خليل

ثم أغمى عليه فمات.

* * * *



ج - شـــاعران عـــاشقـــان

خــرج عمــر بــن أبى ربيعة إلى الجباب[1]، حتى إذا كان بالجباب لقيه جميل بن معمر، فاستنشده عمر بن أبى ربيعة، فأنشده كلمته التى يقول فيها:

خلــيلى فــى مــا عشــتما هــل رأيــتما قتــيلا بكــى مــن حــب قاتلــه قــبلى

ثم استنشده جميل، فأنشده قافيته التى أولها:

عرفت مصيف الحى والمتربعا

حتى بلغ إلى قوله:

وقــــــربن أسباب الهـــــــوى لمتيـــم يقــيس ذراعـــاً كلمــا قســن إصــبعا

فصاح جميل واستحيا، وقال: لا والله ما أحسن أن أقول مثل هذا. فقال لــه عمر: اذهــب بنا إلى بثينة لنتحدث عندها! فقال لــه: إن الأمير قد أهدر دمى متى جئتها، قال: دلــنى علــى أبياتها! فدله، ومضى حتى وقف على الأبيات، وتأنس، وتعرف، ثم قال: يا جارية أنا عمر بن أبى ربيعة، فأعلمى بثينة مكانى! فأعلمتها، فخرجت إليه فقالت: لا والله يــا عمــر! ما أنا من نسائك اللاتى تزعم أن قد قتلهن الوجد بك. قال: وإذا امرأة طوالة أدماء حسناء، فقال لها عمر: فأين قول جميل:

---

(1) الجباب : موضع.

وهمـــا قالـــتا لـــو أن جمـــيلاً : عـــرض الـــيوم نظـــرة فـــرآنا

نظـــرت نحـــو تـــربها ثـــم قالـــت : قـــد أتانـــا، ومـــا علمـــنا، مـــنانا

بيـــنما ذاك مـــنهما رأتـــانى أعمـــل الـــنص ســـيرة زفـــيانا [1]

فقالـــت له: لو استمد جميل منك ما أفلح، وقد قيل: اشدد البعير مع الفرس إن تعلم جرأته وإلا تعلم من خلقه.

(1) النص: السير الجد الرفيع، يستخرج فيه أقصى ما عند الناقة من السير. زفيانا: طرًا سريعا.

7 عاشقان : كثير - وقيس

دخل كثير عزة على عبد الملك بن مروان، فجعل ينشده شعره فى عزة، وعيناه تذرفان، فقال له عبد الملك: قاتلك الله يا كثير! هل رأيت أحداً أعشق منك؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، خرجت مرة أسير فى البادية على بعير لى، فبينما أنا أسير إذ رفع إلى شخص، فأممته فإذا رجل قد نصب شركاً للظباء، وقعد بعيداً منه، فسلمت عليه، فرد السلام، فقلت: ما أجلسك هاهنا؟ قال: نصبت شركاً للظباء، فأنا أرصدها. قلت: إن قمت له لديك فصدت أتطعمنى؟ قال: إى والله.

قال: فنزلت فعقلت ناقتى، وجلست أحدثه فإذا هو أحسن خلق الله حديثا، وأرقه وأغزله. قال: فما لبثنا أن وقعت ظبية فى الشرك، فوثب ووثبت معه فخلصها من الحبال، ثم نظر فى وجهها ملياً، ثم أطلقها، وأنشأ يقول:

أيا شبه ليلى لن تراعى، فإننى ... لك اليوم من بين الوحوش صديق

ويا شبه ليلى لن تزالى بروضة ... عليك سحاب دائم وبروق

فما أنا إذ شبهتها ثم لم تؤب ... سليما عليها، فى الحياة، شفيق

فديتك من أسر دهاك لحبها ، ... فأنت لليلى ما حييت طليق

ثم أصلح شركه، وعدونا إلى موضعنا، فقلت: والله لا أبرح حتى أعرف أمر هذا الرجل. فأقمنا باقى يومنا فلم يقع شئ، فلما أمسينا قام إلى غار قريب من الموضع الذى كنا فيه وقمت معه فبتنا به، فلما أصبح غدا فنصب شركه، فلم يلبث أن وقعت ظبية شبيهة

بأختها بالأمس، فوثب إليها ووثبت معه، فاستخرجها من الشرك ونظر فى وجهها مليا ثم أطلقها، فمرت، وأنشأ يقول:

اذهـبى فـى كـلاءة الرحمـن، ... أنـت منـى فـى ذمـة وأمـان

ترهبيـنى؟ والجـيد منـك كلـيلى، ... والحشـا والـبغام والعيـنان

لا تخافـى بـأن تفاجـئ بسـوء ... ما تغنى الحمام فى الأغصان [1]

ثـم عدنـا إلى موضعنا فلم يقع يومنا ذلك شئ، فلما أمسينا صرنا إلى الغار، فبتنا فـيه، فلما أصبحنا عدل إلى شركه، وغدوت معه، فنصبه، وقعدنا نتحدث وقد شغلنى، يا أمـير المؤمنيـن، حسن حديثه عما أنا فيه من الجوع، فبتنا نتحدث إذ وقعت فى الشرك ظبـية، فوثـب إلـيها ووثبت معه، فاستخرجها من الشرك، ثم نظر فى وجهها وأراد أن يطلقهـا فقبضت على يده وقلت: ماذا تريد أن تعمل؟ أقمت ثلاثاً كلما صدت شيئاً أطلقته. قال: فنظر فى وجهى وعيناه تذرفان وأنشأ يقول:

أتلحـى محـباً هـائم القلـب أن رأى ... شـبيهاً لمـن يهـواه فـى الحـبل موثقًا

فلـما دنـا منـه تذكـر شجوه ، ... ونكـره مـن قـد نأى فتشـوقا

قال أبو بكر: وبيت آخر ذهب على، فرحمته والله، يا أمير المؤمنين، فبكيت لبكائه ونسبته، فإذا هو قيس بن معاذ المجنون، فذاك والله أعشق منى يا أمير المؤمنين.



(1) تفاجى : مسهل تفاجئ.

8 قصتان عن كثير

أ- عزة وكثير

محمد بن سلام الجمحى قال:

أرادت عـزة أن تعـرف ما لها عند كثير فتنكرت لـه، وقامت به متعرضة، فقام فاتبعها، فكلمها، فقالت له: فأين حبك عزة؟ فقال: أنا الفداء لك، لو أن عزة أمة لى لوهبتها لك. قالت: ويحك! لا تفعل، فقد بلغنى أنها لك فى صدق المودة، ومحض المحبة والهوى على حسب الذى كنت تبدى لها من ذلك وأكثر، وبعد، فأين قولك:

إذا وصـلتنا خلـة كـى نـزيلها أبيـنا، وقلـنا: الحاجبـية أول

فقال كثير: بأبى أنت وأمى! أقصرى عن ذكرها، واسمعى ما أقول، ثم قال:

مـا وصـل عـزة إلا وصـل غانيـة فـى وصـل غانـية مـن وصـلها خلـف

ثم قال: هل لك فى المخالة[1]؟ فقالت له: كيف بما قلت فى عزة وسيرته لها؟ فقال: أقلـبه فيـتحول إلـيك، ويصير لك. قال: فسفرت عن وجهها، عند ذلك، وقالت: أغدراً وانتكاثاً يا فاسق؟ وإنك لهاهنا؟ يا عدو الله! فبهت وأبلس[2] ولم ينطق، وتحير وخجل، ثم إنهـا عرفـته أمرها ونكثه وغدره بها، وأعلمته سوء فعاله، وقلة حفاظه، ونقضه للعهد والميثاق، ثم قالت: قاتل الله جميلاً حيث يقول:

---

(1) المخالة: المصادقة.

(2) أبلس: تحير.



لحــى الله مــن لا يــنفع الــود عــنده، ومــن حــبله إن مــد غــير متيــن
ومــــن هـــو ذو وجهــين ليس بدائم علـــى العهـــد حـــلاف بكـل يـمين

قـــال: فأنشأ كثير يقول بانخزال وحصر وانكسار، يعتذر إليها، ويتنصل مما كان منه، ويحتال فى دفع زلته، متمثلا بقول جميل، ويقال: بل سرقه من جميل وانتحله لنفسه فقال:

ألا ليتــنى قــبل الــذى قلــت شــيب لــى مــن المذعــف القاضــى ســمام الذر ارح[1]
فمـــت ولـــم تعلـــم علـــى خـــيانة، ألا رب بـــاغى الـــربح لـــيس بـــرابح
فـــلا تحملـــيها واجعلـــيها خـــيانة، تروحـــت مـــنها فـــى مـــياحة مـــائح[2]
أبـــوء بذنبـــــى أننــــى قـــد ظلمتها، وإنـــى بـــباقى ســـرها غـــير بـــائح (3)

* * * *

(1) شيب: مزج وخلط. المذعف: القاتل بسرعة. القاضى، من قضى عليه: قتله، سمام : جمع سم، الذرا رح: ضرب من السموم.
(2) مياحة: شفاعة، مائح: شافع.
(3) ابوء : أرجع.

ب - على قبر عزة

خرج كثير يريد عبد العزيز بن مروان فأكرمه، ورفع منزلته، وأحسن جائزته، وقال : سلني ما شئت من الحوائج، قال: نعم، أحب أن تنظر لى من يعرف قبر عزة، فيوقفني عليه. فقال رجل من القوم: إنى لعارف به. فوثب كثير فقال لعبد العزيز : هى حاجتى أصلحك الله. فانطلق به الرجل حتى انتهى به إلى موضع قبرها فوضع يده عليه، ودمعه يجرى، وهو يقول:

وقفت على ربع لعزة ناقتى،   وفى البرد رشاش من الدمع يسفح

فيا عز أنت البدر قد حال دونه   رجيع التراب والصفيح المضرح[1]

وقد كنت أبكى من فراقك حقبة،   فأنت لعمرى اليوم أنأى وأنزح

فهلا فداك الموت من أنت زينه،   ومن هو أسوا منك حالا وأقبح

ألا لا أرى بعد ابنة النضر لذة   لشئ، ولا ملحاً لمن يتملح

فلا زال وادى رمس عزة سائلا   به نعمة من رحمة الله تسفح

فإن التى أحببت قد حال دونها   طوال الليالى والضريح المصفح

أرب بعينى البكا، كل ليلة،   فقد كاد مجرى دمع عينى يقرح[2]

إذا لم يكن ماء تحلبتا دما،   وشر لبكاء لمستعد لممنحَ (3)

---

(1) الصفيح: الحجارة العريضة. المضرح: أراد أعينى ضريحا، قبراً.
(2) أرب بالمكان: أقام فيه ولزمه، أراد لزم البكاء عينيه.
(3) الممنح: أراد غير المنقطع.

9 أبـو دهـبـل معشـوقـا

خـــرج أبو دهبل الجمحى يرد الغزو وكان رجلا جميلاً صالحاً، فلما كان بجيرون جاءتـــه امرأة فأعطته كتاباً، فقالت لـــه: اقرأ هذا فقرأه لها، ثم ذهبت، فدخلت قصراً، ثم خرجـــت إليه، فقالت له: لو بلغت معى إلى هذا القصر فقرأت الكتاب على امرأة فيه كان لك أجر، إن شاء الله. فبلغ معها القصر، فلما دخل، إذا فيه جوار كثيرة، فأغلقن عليه باب القصـــر، فإذا امرأة جميلة قد أتته فدعته إلى نفسها، فأبى، فأمرت به فحبس فى بيت من القصـــر، وأطعم وسقى قليلا حتى ضعف وكاد يموت، ثم دعته إلى نفسها، فقال: أما فى الحـــرام فلا يكون ذلك أبداً، ولكن أتزوجك. قالت: نعم، فتزوجها، وأمرت به فأحسن إليه حتى رجعت نفسه إليه، فأقام معها زماناً طويلاً لم تدعه يخرج من القصر، حتى يئس منه أهله وولده، وزوج أولاده بناته واقتسموا ميراثه.

وأقامـــت زوجـــته تـــبكى، ولم تقاسمهم ماله، ولا أخذت من ميراثه شيئاً، وجاءها الخطاب، فأبت وأقامت على الحزن والبكاء عليه، قال: فقال أبو دهبل لامرأته يوماً: إنك قـــد أثمت فى وفى ولدى، فأذنى لى أن أخرج إليهم، وأرجع إليك. فأخذت عليه أيماناً ألا يقـــيم إلا سنة حتى يعود إليها، وأعطته مالا كثيراً، فخرج من عندها بذلك المال حتى قدم علـــى أهله، فرأى زوجته، وما صارت إليه من الحزن، ونظر إلى ولده ممن اقتسم ماله، وجـــاؤوه فقال: ما بينى وبينكم عمل أنتم ورثتمونى وأنا حى، فهو حظكم، والله لا يشرك زوجـــتى أحد فى ما قدمت به. وقال لزوجته: شأنك بهذا المال فهو كله لك، ولست أجهل ما كان من وفائك، وأقام معها وقال فى الشامية:



صـــاح حـــى الإلـــه حـــياً ودوداً   عـــند أصـــل القـــناة مـــن جـــيرون[1]

فبـــتلك اغتربـــت بالشـــام حـــتى   ظـــن أهلـــى مـــرجمات الظـــنون[2]

وهـــى زهـــراء مثـــل لـــؤلؤة الغو   اص ميـــزت مـــن لـــؤلـــؤ مـــكنـــون

وفى هذه القصيدة يقول أبو دهبل:

ثـــم فارقـــتها علـــى خـــير مـــا كـــا   ن قريـــن مقارنـــاً لقريـــن

وبكـــت خشـــية الـــتفرق والبـــيـ   ن بكـــاء الحزيـــن نحـــو الحزيـــن

فاســألـــى عـــن تذكـــرى واكتئابـــى   جـــل أهلـــى إذا هـــم عذلـــونـــى

وقد روى هذا الشعر لعبد الرحمن بن حسان، وليس بصحيح. قال: فلما جاء الأجل أراد الخروج إليها ففاجأه موتها، فأقام.

---

(1) جيرون: دمشق، أو بابها الذى بقرب الجامع.

(2) المرجمات: مالا يوقف على حقيقتها.

(10) خمس قصص عن عروة

أ - عروة ... وعفراء

حدثنا إسحاق ابن إبراهيم الموصلي، أخبرني لقيط بن بكر المحاربي.

أن عروة بن حزام وعفراء ابنة مالك العذريين، وهما بطن من عذرة، يقال لهم بنو هـند بـن حزام بن ضبة بن عبد بكير بن عذرة، نشآ جميعاً فعلقها علاقة الصبي، وكان عروة يتيماً في حجر عمه، حتى بلغ، فكان يسأل عمه أن يزوجه عفراء فيسوفه، إلى أن خرجـت عير لأهله إلى الشام، وخرج عروة إليها، ووفد على عمه ابن عم له من البلقاء يريد الحج، فخطبها، فزوجها إياه.

وأقبل عروة في عيره حتى إذا كان بتبوك نظر إلى رفقة مقبلة من نحو المدينة فيها امرأة على جمل أحمر، فقال لأصحابه: والله، إنها شمائل عفراء، فقالوا : ويحك، ما تترك ذكر عفراء لشئ؟ قال: وجاء القوم، فلما دنوا منه وتبين الأمر يبس وبقي قائما لا يتحرك، ولا يحير كلاماً، ولا يرجع جواباً، حتى بعد القوم، فذلك حيث يقول:

وإنـــي لـــتعروني لذكـــراك رعـــدة ، لهـــا بيـــن جلـــدي والعظـــام دبيـــبُ

فمـــا هـــو إلا أن أراهـــا فجـــاءةً فأبهـــت حـــتى مـــا أكـــاد أجيـــبُ

فقلـــت لعـــراف الـــيمامة : داونـــي، فـــإنك إن أبرأتـــني لطبيـــب

فمـــا بـــي مـــن حمـــى ولا مـــس جـــنة ، ولكـــن عمـــي الحمـــيريَ كـــذوبُ



قال أبو بكر: وعراف اليمامة هذا الذى ذكره عروة وغيره من الشعراء، هو رياح بـــن راشـــد ويكنى أبا كحيلة، وهو عبد لبنى يشكر، تزوج مولاه امرأة من بنى الأعرج، فساقه فى مهرها ثم ادعى بعد نساً فى بنى الأعرج.

ثم إن عروة انصرف إلى أهله وأخذه البكاء والهلاس حتى نحل، فلم يبق منه شئ، فقـــال بعض الناس: هو مسحور، وقال قوم: بل به جنة، وقال آخرون: بل هو موسوس، وإن بالحاضر من اليمامة لطبيباً يداوى من الجن، وهو أطب الناس، فلو أتيتموه، فلعل الله يشفيه، فساروا إليه من أرض بنى عذرة حتى داواه، فجعل يسقيه السلوان [1]، وهو يزداد سقما، فقال لـــه عروة: يا هناه، هل عندك للحب دواء أو رقية؟ فقال: لا والله. فانصرفوا حـــتى مـــروا بطبيـــب بحجر، فعالجه وصنع به مثل ذلك، فقال له عروة: والله ما دائى ودوائى إلا شخص بالبلقاء مقيم، فهو دائى، وعنده دوائى.

وفـــى غير هذه الرواية: شخص بالبلقاء مقيم هو ورانى، أى أمرضنى، وهزلنى، والورى داء يكون فى الجوف مثل القرحة والسل.

قال سحيم عبد بنى الحسحاس:

وراهـــن ربـــى مـــثل مـــا قـــد ورينـــنى، وأحمـــى علـــى أكبادهـــن المكاويـــا

رجع الحديث قال : فانصرفوا به، فأنشأ يقول عند انصرافهم به:

جعلـــت لعـــراف الـــيمامة حكمـــه وعـــراف حجـــر إن همـــا شـــفيانى [2]

فقـــالا: نعـــم، نشـــفى مـــن الـــداء كلـــه، وقامـــا مـــع العـــواد يبـــتدران

(1) السلوان: خرزة كان العرب يضعونها فى الماء ويسقون المجنون أو المريض فيشفى فى زعمهم.
(2) وفى رواية أخرى: وعراف نجد.

فمــا تــركا مـن رقـية يعلمانهــا ... ولا ســلوة إلا وقــد ســقيانى

فقــالا : شفــاك الله، والله مــا لــنــا ... بمــا ضــمنت مـنك الضلــوع يــدان

قال: فلما قدم على أهله، وكان لــه أخوات أربع ووالدة وخالة، فمرض دهراً، فقال لهــن يومــاً: اعلمن أنى لو نظرت إلى عفراء نظرة ذهب وجعى، فذهبن به حتى نزلوا البلقاء مستخفين، فكان لا يزال يلم بعفراء، وينظر إليها، وكانت عند رجل كريم سيد كثير المال والغاشية.

فبينا عروة يوماً بسوق البلقاء، إذ لقيه رجل من بنى عذرة فسأله عن حاله ومقدمه، فأخــبره. قال: والله لقد سمعت أنك مريض، وأراك قد صححت. فلما أمسى الرجل دخل على زوج عفراء فقال: متى قدم عليكم هذا الكلب الذى قد فضحكم؟ فقال زوج عفراء: أى كلــب هــو؟ قال: عروة، قال: أوقد قدم؟ قال: نعم، قال: أنت والله أولى بها منه أن تكون كلبا، ما علمت بقدومه، ولو علمت لضممته إلى.

فلما أصبح غدا يستدل عليه حتى جاءه، فقال قدمت هذا البلد، ولم تنزل بنا، ولم تر أن تعلمــنا بمكــانك فيكون منزلكم عندنا وعلى، إن كان لكم منزل إلا عندى. قال: نعم، نــتحول إليك الليلة، أو فى غد. فلما ولى قال عروة لأهله: قد كان ما ترون، وإن أنتم لم تخرجوا معى لأركبن رأسي ولألحقن بقومكم، فليس على بأس. فارتحلوا وركبوا طريقهم، ونكس عروة ولم يزل مدنفاً، حتى نزلوا وادى القرى.

وروى العمــرى عن هشام بن محمد بن السائب الكلبى عن أبى مسكين أن عفراء لما بلغها وفاة عروة قالت لزوجها: يا هناه، قد كان من أمر هذا الرجل ما بلغك، ووالله ما كان ذلك إلا على الحسن الجميل، وإنه قد بلغنى أنه مات فى أرض غربة، فإن رأيت أن تــأذن لــى فأخــرج فى نسوة من قومى فيندبنه ويبكين عليه. فقال: إذا شئت، فأذن لها، فخرجت، وقالت ترثيه:

ألا أيهـــا الركـــب المخـــبون ويحكـــم بحـــق نعيـــتم عـــروة بـــن حـــزام

فـــلا هـــنيء الفتـــيان بعـــدك غـــارة، ولا رجعـــوا مـــن غيـــبة بســـلام

فقـــل للحبالـــى لا تـــرجين غـــائبـــا، ولا فـــرحات بعـــــــده بغـــلام

قـــال: ولم تزل تردد هذه الأبيات وتبكى حتى ماتت، فدفنت إلى جانبه، فبلغ الخبر معاوية، فقال: لو علمت بهذين الشريفين لجمعت بينهما.

وقد روى مثل هذا الكلام عن عمر بن الخطاب، ﷺ .

وحدثنا أبو عبد الله محمد بن زكريا، حدثنا العيشى عن أبيه قال: لما زوجت عفراء جعـل عروة يضع صدره فى أعطان[1] إبلها، وحيث كانت تجلس، فقيل له: اتق الله، فإن هذا غير نافعك، فأنشأ يقول:

بـــى الـيأس، أو داء الهيـــام سقيته ، فإيـــاك عـنـــى لا يكـن بـك مـــا بيا

* * * *

ب - عـروة .. وعـروة.. وعـفـراء

قال عروة بن الزبير:

مـــررت بوادى القرى فقيل لى : هل لك فى عروة بن حزام؟ فقلت: الذى يلقى من الحب ما يلقى؟ قالوا: نعم، فخرجت حتى جئته، فإذا هو فى بيت منفرد عن البيوت، وإذا، والله، حوله أخوات لـــه أمثال التماثيل، وأمه وخالته. قال: فقلت لـــه: أنت عروة ؟ قال : نعم، قلت: صاحب عفراء ؟ قال: صاحب عفراء، ثم استوى قاعداً فقال: وأنا الذى أقول:

(1) الاعطان، الواحد عطن: مبرك الإبل.

وعيـــنان مـــا أوفيـــت نشـــزا فتـــنظرا　　بمـــــا فـــــيهما إلا همـــــا تكفـــــان [1]

ألا فـاحملانـــي، بـــــارك الله فيكمـــا،　　إلـــى حاضـــر الـــبلقاء ثـــم ذرانـــي [2]

ثم التفت إلى أخواته فقال:

مـــن كـــان فـــي أمهـــاتي باكـــياً أبـــداً،　　فالـــيوم إنـــي أراك الـــيوم مقبوضـــا [3]

مـــن كان يلحو فإنـــي غيـــر سامعـــه ،　　إذا علـــــوت رقـــاب القـــوم معروضـــا

قـــال عروة بن الزبير: فلما سمعن قوله برزن والله يضربن حر الوجوه، ويشققن جيوبهن. قال عروة: فقمت، فما وصلت إلى منزلي حتى لحقني رجل فقال: قد مات.

* * * *

ج - النعمان بن بشير بن سعد الأنصارى قال:

وليت صدقات بنى عذرة، قال: فدفعت إلى فتى تحت ثوب، فكشفت عنه، فإذا رجل لم يبق منه إلا رأسه، فقلت: ما بك؟ فقال:

كـــأن قطـــاة علقـــت بجـــناحها،　　علـــى كـــبدى مـــن شـــدة الخفقـــان

جعلـــت لعـــراف اليمامـــة حكمـــه،　　وعـــراف نجـــد إن همـــا شفياني [4]

(1) النشز : المكان المرتفع. تكفان: ترسلان الدمع.
(2) البلقاء: موضع. ذراني: اتركاني.
(3) أراك: أظنك. مقبوضًا، من قبض : مات.
(4) عراف اليمامة: هو رياح بن عجلة. وعراف نجد: هو الأبلق الاسدى. ولفظة عراف تعنى الذى يدعى المعرفة بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها، وتطلق أيضا على الطبيب وهو المراد هنا.

ثـــم تـــنفس حتى ملأ منه الثوب الذى كان فيه، ثم خمد فإذا هو قد مات، فأصلح من شأنه، وصليت عليه، فقيل لى : أتدرى من هذا ؟ هذا عروة ابن حزام.

* * * *

د – قبـــر تعبيـــرى

معاذ بن يحيى الصنعانى قال:

خرجـــت من مكة إلى صنعاء، فلما كان بيننا وبين صنعاء خمس ساعات رأيت الناس يـــنزلون عـــن محاملهم ويركبون دوابهم، فقلت: أين تريدون؟ قالوا: نريد أن ننظر إلى قبر عفـــراء وعـــروة، فنزلـــت عن محملى وركبت حمارى، واتصلت بهم، فانتهيت إلى قبرين متلاصقين، قد خرج من كلا القبرين ساق شجرة، حتى إذا صارا على قامة التفا، فكان الناس يقولون: تآلفا فى الحياة وفى الممات.

* * * *

هـ – عـــروة أمـــام الكعبـــة

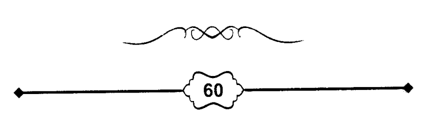
عن سليمان بن عبد العزيز قال:

حدثـــنى خارجة المكى قال: حدثنى من رأى عروة بن حزام يطاف به حول البيت قال: فدنوت منه، فقلت: من أنت قال: أنا الذى أقول :

أفـــى كـــل يـــوم أنـــت رام بلادهـــا بعينيـــــن إنســـــاناهما غـــــرقان

ألا فـــاحملانـــى، بـــارك الله فـــيكما، إلـــى حاضـــر الـــروحاء ثـــم ذرانـــى

قلت: زدنى. قال: لا والله ولا حرفاً واحداً.



11 قصتان عن ذى الرمة

أ - ذو الرمـــة... ومـــىّ

ذكـــر ذو الـــرمة فى مجلس فيه عدة من الأعراب، فقال عصمة بن مالك الفزارى شـــيخ منهم، بلغ مائة وعشرين سنة: إياى فسلوا عنه، كان حلو العينين، حسن المضحك، بـــراق الثـــنايا، خفيف العارضين، إذا نازعك الكلام لا تسأم حديثه، وإذا أنشد أبر وحسن صوته.

جمعنى وإياه مربع مرة، فأتانى فقال: هيا عصمة إن مياً منقرية، ومنقر أخبث حى وأقوفـــه [1] لأثـــر، وأثبـــته فى نظر، وأعلمه ببصر، وقد عرفوا آثار إبلى، فهل من ناقة نـــزدار عليها مياً؟ قال: إى والله، الجؤذر بنت يمانية. قال: فعلينا بها، فجئت بها، فركب ورد فـــته، ثم انطلقنا حتى نهبط على مى، وإذا الحى خلوف، فلما رأتنا النسوة عرفن ذا الرمة، فتقوضن من بيوتهن حتى اجتمعن، وأنخنا قريباً، وجئناهن، وجلسنا، فقالت ظريفة منهن: أنشدنا يا ذا الرمة، فقال لى: أنشدهن، فأنشدت قوله:

وقفـــت علـــى ربـــع لمـــية ناقـــتى ، فمـــا زلـــت أبكـــى عـــنده، وأخاطـــبه

فلما انتهيت إلى قوله:

نظـــرت إلـــى أظعـــان مـــى كأنهـــا ذرى الـــنخل، أو أثـــل تمـــيل ذوائـــبه [2]

---

(1) قاف الأثر: تتبعه.

(2) الأثل: شجر، ذوائبه: أراد أغصانه.

فأسبلت العينان والقلب كاتم ... بمغرورق نمت على سواكبه

بكى وامق، جاء الفراق، ولم يجل ... جوائلها، أسراره أو معاتبه [1]

قالت الظريفة: لكن اليوم فليجل، ثم مضيت. فلما انتهيت إلى قوله:

وقد حلفت بالله مية ما الذى ... أحادثها إلا الذى أنا كاذبه

إذن، فرمانى الله من حيث لا أرى، ... ولا زال فى أرضى عدو أحاربه

قالت ميّ: ويحك يا ذا الرمة خف عواقب الله، عز وجل، ثم مضيت حتى انتهيت إلى قوله:

إذا سرحت من حب مى سوارح ... على القلب آتته جميعا عوازبه [2]

فقالت الظريفة: قتلته قتلك الله، فقالت مية: ما أصحه وهنيئا له. قال: فتنفس ذو الرمة تنفسة كاد حرها يطير بلحيته، ثم مضيت حتى انتهيت إلى قوله:

إذا نازعتك القول مية أو بدا ... لك الوجه منها أو نضا الدرع سالبه [3]

فيا لك من خد أسيل ومنطق ... رخيم ومن خلق تعلل جانبه

فقالت الظريفة: هذا الوجه قد بدا، وهذا القول قد تنوزع فمن لنا بأن ينضو الدرع سالبه؟ فالتفتت إليها مى فقالت: ما لك، قاتلك الله، ماذا تجنين به؟ فتضاحكت النسوة، فقالت الظريفة: إن لهذين لشأنا، فقم بنا عنهما، فقمن، وقمت فصرت إلى بيت قريب منهما أراهما، ولا أسمع كلامهما إلا الحرف بعد الحرف، فوالله ما رأيته برح مكانه، ولا

---

(1) لم يجل جوائلها: أى أن أسراره ومعاتبه لم تنل مرادها.

(2) عوازبه: أى ذكرياته الماضية.

(3) نضا: خلع، الدرع: ثوب المرأة.

تحـــرك. وسمعتها تقول: كذبت والله، فوالله ما أدرى ما الذى كذبته فيه، فتحدثنا ساعة، ثم جاءنى ومعه قويريرة فيها دهن طيب، فقال: هذه دهنة أتحفتنا بها مى، فشأنك بها. وهذه قلائد زودتناها للجؤذر، فلا والله لا قلدتهن بعيراً أبداً. ثم عقدهن فى ذؤابة سيفه.

قال: فانصرفنا، فلم نزل نختلف إليها، مربعنا، حتى انقضى ثم جاءنى يوماً فقال: يا عصـــمة، قـــد ظعنـــت مى، فلم يبق إلا الديار، والنظر فى الآثار، فانهض بنا ننظر إلى آثارها، فخرجنا حتى وقفنا على ديارها، فجعل ينظر ثم قال:

ألا، فاســلمى يـــا دار مـــى علـــى الـــبلى، ولا زال مـــنهلا بجـــرعائك القطـــر [1]

فـــإن لـــم تكونـــى غيـــر شام بقفرة، يجـــــر بـــها الأذيال صيفية كـــــدر [2]

ثم انتضحت عيناه بعبرة، فقلت: مهًا! فقال: إنى لجلد، وإن كان منى ما ترى، فما رأيـــت صـــبابة قط، ولا تجلداً أحسن من صبابته وتجلده يومئذ، ثم انصرفنا، فكان آخر العهد به.

* * * *

ب – ذو الرمة يضع سجلا لأسرته بالشعر

سمعت ذا الرمة يقول: بلغت نصف عمر الهرم أربعين سنة، وقال ذو الرمة:

علـــى حيـــن راهقـــت الثلاثيـــن، وارعوت لداتـــى، وكـــاد الحلـــم بـــالجهل يرجـــح

إذا خطـــرت مـــن ذكـــر مـــية خطـــرة علـــى القلـــب كـــادت فـــى فـــؤادك تجرح

---

(1) الجرعاء: رملة مستوية لا تنبت شيئًا.

(2) الشام، الواحدة شامة: الخال، نكته سوداء فى الوجه. شبه دار مية بها. الصيفية الكدر: السحابة التى تطلع فى الصيف، منكدرة. أراد سحائب صيفية كدر.

تصـــرف أهـــواء القلـــوب، ولا أرى ... نصـــيبك مـــن قلـــبى لغـــيرك يمـــنح

فـبعض الهـوى بالهجر يمحى، فينمحى، ... وحـــبك عـــندى يســـتجد ويـــربح

ولمـــا شـــكوت الحـــب كـــيما تثيبـــنى ... بوجـــدى، قالـــت: إنمـــا أنـــت تمـــزح

بعــــاداً وإدلالاً علــــى، وقــــد رأت ... ضــمير الهــوى بالجســم كــاد يــبرح

لئــن كانــت الدنــيا علــى كمــا أرى ... تــباريح مـــن ذكــراك، فالموت أروح

قـــال القاضى المعافى: وهذه من قصائد ذى الرمة الطوال المشهورة المستحسنة، وأولها:

أمنزلـــتى مـــى ســـلام علـــيكما، ... علـــى الـــنأى، والـــنائى يـــود وينصـــح

ومنها :

ذكـــرتك أن مـــرت بـــنا أم شـــادن ... أمـــام المطايـــا تشـــرئب وتســـنح

مـــن المؤلفـــات الـــرمل أدمـــاء حـــرة، ... شـــعاع الضـــحى فـــى متـــنها يتوضـــح

رأتـــنا كأنـــا عـــامدون لصـــيدها، ... ضـــحى، فهـــى تنـــبو تـــارة وتزحـــزح

هـــى الشبـــه أعطافـــاً وجيـــداً ومقلةً ، ... ومـــية أبهـــى بـــعـــد منهـــا وأملـــح

فهذه من أحسن الحائيات على هذا الروى، ونظيرها كلمة ابن مقبل التى أولها:

هـل القلـب مـن دهمـاء سال فمسمح، ... وزاجـرة عـنها الخـيال المـبرح[1]

(1) قوله: وزاجرة عنها الخيال المبرح، هكذا فى الأصل ولم نعثر على هذه القصيدة لنصححه.

وقول جرير :

صـــحا القلــب عن سلمى، وقد برحت به، ومـــا كـــان يلقـــى مـــن تماضـــر أبـــرح

ومثله:

لقــد كـــان لـــى فـــى ضـــرتين عدمتـــنى ومـــا كنـــت ألقـــى مــــن رزينة أبرح

وذكر فى خبر ذى الرمة بهذا الإسناد، اخوة ذى الرمة، فقيل منهم: مسعود وهمام وخرواش، فأما مسعود فمن مشهورى اخوته، وإياه عنى ذو الرمة بقوله:

أقـــــول لمســــــعود بجــــــرعاء مــــالك وقـــد هـــم دمعـــى أن يســـح أوائلـــه

ومـــنهم هشـــام وهو الذى استشهد سيبوبه فى الإضمار فى ليس بقوله ،فقال: قال هشام بن عقبة أخو ذى الرمة:

هـــى الشـــفاء لدائـــى لـــو ظفـــرت بهـــا، ولـــيس مـــنها شـــفاء الـــداء مـــبذول

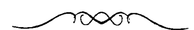
ومنهم أوفى، وهو الذى عناه بعض إخوته فى شعر رثى فيه ذا الرمة أخاهما:

تعزيـــت عـــن أوفـــى بغـــيلان بعـــده، عـــزاء، وجفـــن العيـــن مـــلآن مترع

ولـــم ينســـنى أوفـــى المصائب بعده، ولكن نكء القـــرح بالقـــرح أوجـــع

وذكره ذو الرمة فقال:

أقـــــول لأوفـــى حيـــن أبصر باللـــــوى صـــحيفة وجهـــى قـــد تغيـــر حالها





12 تجهيل ديك الجن

كان رجل من العرب تحته ابنة عم له، وكان لها عاشقاً، وكانت امرأة جميلة، وكان من عشقه لها أنه كان يقعد فى دهليزه مع ندمائه، ثم يدخل ساعة بعد ساعة ينظر إليها، ثم يرجع إلى أصحابه عشقا لها، فطبن لها [1] ابن عم لها، فاكترى داراً إلى جنبه، ثم لم يزل يراسلها حتى أجابته إلى ما أراد، فاحتالت، فنزلت إليه، ودخل الزوج كعادته لينظر إليها، فلم يرها، فقال لامرأة: أين فلانة؟ قالت: تقضى حاجة، فطلبها فى الموضع، فلم يجدها، فإذا هى قد نزلت، وهو ينظر إليها، فقال لها: ما وراءك؟ فوالله لتصدقنى. قالت: والله لأصدقنك، من الأمر كيت وكيت، فأقرت له، فسل السيف فضرب عنقها، وقتل أمها، وهرب، وأنشأ يقول [2]:

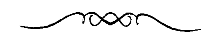
يا طلعة طلع الحمام عليها	فجنى لها ثمر الردى بيديها
رويت من دمها الثرى، ولطالما	روى الهوى شفتى من شفتيها
حكمت سيفى فى مجال خناقها،	ومدامعى تجرى على خديها
ما كان قتليها لأنى لم أكن	أخشى إذا سقط الغبار عليها
لكن بخلت على العيون بحسنها،	وأنفت من نظر العيون إليها

(1) طبن لها: فطن لها.

(2) هذه الأبيات تروى لديك الجن (161 - 235 هـ) وله حادثة مشابهة من بعض الأوجه.

قال : وزادني غير أبي عبد الله: وكان لها أخت شاعرة فقالت تجيبه :

لـــو كنـــت تشـــفق أو تـــرق علـــيها	لرفعــت حــد السـيف عــن ودجــيها [1]
ورحمــــت عــــبرتها وطـــول حنيـــنها،	وجزعـــت مــــن ســـوء يصـــير إلـــيها
مــن كــان يفعــل مــا فعلــت بمــثلها،	إذ طاوعــــتك، وخالفـــت أبويهـــا
فتــركتها فــــى خـــدرها مقتــــولة،	ظلمـــا، وتـــبكــــى، يــــا شقى،



(1) تشفق: تخاف وتحاذر. ودجيها مثنى ودج: عرق فى العنق ينتفخ عند الغضب.



الفصل الثاني

خلفاء عشاق



قصتان عن عبدالله بن جعفر

أ - حرب القيان

كانـــت عـــند عـــبد الله بن جعفر جارية مغنية يقال لها عمارة، وكان يجد بها وجدا شـــديدا، وكـــان لهـــا منه مكان لم يكن لأحد من جواريه، فلما وفد عبد الله بن جعفر على معاوية خرج بها معه فزاره يزيد، ذات يوم، فأخرجها إليه، فلما نظر إليها، وسمع غناءها، وقعت في نفسه، فأخذه عليها ما لا يملكه، وجعل لا يمنعه من أن يبوح بما يجد بها إلا مكان أبيه مع يأسه من الظفر بها، فلم يزل يكاتم الناس أمرها إلى إن مات معاوية، وأفضي الأمر إلـــيه، فاستشـــار بعض من قدم عليه من أهل المدينة وعامة من يثق به في أمرها، وكيف الحيلة فيها، فقيل له إن أمر عبد الله بن جعفر لا يرام، ومنزلته من الخاصة و العامة ومنك مـــا قد علمت، وأنت لا تستجيز إكراهه، وهو لا يبيعها بشيء أبدا، وليس يغني في هذا إلا الحيلة.

فقال: انظروا لي رجلا عراقيا له أدب وظرف ومعرفة، فطلبوه، فأتوه به، فلما دخل رأى بيانا وحلاوة وفهما، فقال يزيد: إني دعوتك لأمر إن ظفرت به فهو حظك آخر الدهر ويـــد أكافئك عليها إن شاء الله،ثم أخبره بأمره، فقال له: عبد الله بن جعفر ليس يرام ما في قلبه إلا بالخديعة، ولن يقدر أحد على ما سألت، فأرجو أن أكونه، والقوة بالله، فأعني بالمال. قال: خذ ما أحببت.

فأخذ من طرف الشام وثياب مصر، واشترى متاعا للتجارة من رقيق ودواب وغير ذلك،ثـــم شخص إلى المدينة، فأناخ بعرصه عبد الله بن جعفر، واكترى منزلا إلى جانبه، ثم

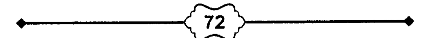


توسل إليه وقال: إني رجل من أهل العراق قدمت بتجارة وأحببت أن أكون في عز جوارك وكـنفك إلـى أن أبـيع ما جئت به، فبعث عبد الله بن جعفر إلى قهرمانه أن أكرم الرجل، ووسع عليه في نزوله.

فلمـا اطمأن العراقي سلم عليه أياما وعرفه نفسه، وهيأ له بغلة فارهة، وثيابا من ثـياب العـراق وألطافا، فبعث بها إليه، وكتب معها: يا سيدي! إني رجل تاجر، ونعمة الله علـى سابغة، وقد بعثت إليك بشيء من تحف وكذا من الثياب والعطر، وبعثت ببغلة خفيفة العـنان، وطيئة الظهر، فاتخذها لرجلك، فأنا أسألك بقرابتك من رسول الله، صلى الله عليه وآلـه، ألا قبلت ولم توحشني بردها، إني أدين الله تعالى بحبك وحب أهل بيتك، وإن أعظم أملي في سفرتي هذه أن أستفيد الأنس بك والتحرم بمواصلتك.

فأمر عبد الله بقبض هديته، وخرج إلى الصلاة، فلما رجع مر بالعراقي في منزلـه، فقـام إليه، وقبل يده، واستكثر منه، فرأى أدبا وظرفا وفصاحة، فأعجب به وسر بنزولـه علـيه، فجعل العراقي في كل يوم يبعث إلى عبد الله بلطف تطرفه، فقال عبد الله: جزى الله ضيفنا هذا خيرا، فقد ملأنا شكرا، وما نقدر على مكافأته.

فإنـه كذلك إلى أن دعاه عبد الله، ودعا بعمارة في جواريه، فلما طاب لهما المجلس، وسـمع غناء عمارة، تعجب، وجعل يزيد في عجبه، فلما رأى ذلك عبد الله سر به إلى أن قال له: هل رأيت مثل عمارة! قال: لا والله يا سيدي ما رأيت مثلها، وما تصلح إلا لك، وما ظننـت أن يكـون في الدنيا مثل هذه الجارية، حسن وجه، وحسن عمل، قال: فكم تساوي عـندك؟ قال: ما لها ثمن إلا الخلافة. قال: تقول هذا لتزين لي رأيا فيها وتجتلب سروري. قـال له: يا سيدي، والله، إني لأحب سرورك، وما قلت لك إلا الجد، وبعد فإني تاجر أجمع الدرهـم إلـى الدرهم، طلبا للربح، ولو أعطيتها بعشرة آلاف دينار لأخذتها. فقال لـه عبد الله: عشرة آلاف؟ قال: نعم! ولم يكن في ذلك الزمان جارية تعرف بهذا الثمن. فقال له عبد الله: إنـا أبيعكها بعشرة آلاف. قال: قد أخذتها. قال هي لك، قال: قد وجب البيع، وانصرف العراقي.



فلمـــا أصبح عبد الله لم يشعر إلا بالمال قد جيء به، فقيل لعبد الله: قد بعث العراقي بعشرة آلاف دينار، وقال: هذا ثمن عمارة، فردها، وكتب إليه: إنما كنت أمزح معك، ومما أعلمــك أن مثلـــي لا يبيع مثلها. فقال لـــه: جعلت فداءك! إن الجد والهزل في البيع سواء. فقـــال له عبد الله: ويحك! ما أعلم جارية تساوي ما بذلت، ولو كنت بائعها من أحد لآثرتك، ولكنـــي كنت مازحا، وما أبيعها بملك الدنيا لحرمتها بي وموضعها من قلبي. فقال العراقي: إن كنـــت مازحـــا، فإنـــي كنت جادا، وما اطلعت على ما في نفسك و قد ملكت الجارية، وبعثـــت إلـــيك بثمنها، وليست تحل لك، وما لي من أخذها من بد. فمانعه إياها، فقال لـــه: ليست لي بينة، ولكني أستحلفك عند قبر رسول الله، صلى الله عليه وآله، ومنبره. فلما رأى عـــبد الله الجد قال: بئس الضيف أنت، ما طرقنا طارق، ولا نزل بنا نازل أعظم بلية منك، أتحلفني فيقول الناس: اضطهد عبد الله ضيفه وقهره وألجأه إلى أن استحلفه؟ أما والله ليعلمن الله، عز وجل، أني سأبليه، في هذا الأمر، الصبر وحسن العزاء.

ثـــم أمر قهرمانه بقبض المال منه، و بتجهيز الجارية بما يشبهها من الخدم والثياب والطيـــب، فجهـــزت بنحو ثلاثة آلاف دينار، وقال: هذا لك ولك عوضها مما ألطفتنا، والله المستعان.

فقـــبض العراقـــي الجارية وخرج بها، فلما برز من المدينة قال لها: يا عمارة! إني، والله ، مـــا ملكتك قط، ولا أنت لي، ولا مثلي يشتري جارية بعشرة آلاف دينار، وما كنت أقـــدم على ابن عم رسول الله، صلى الله عليه وآله، فأسلبه أحب الناس إليه لنفسي، ولكني دســـيس مـــن يزيد بن معاوية، وأنت لـــه وفي طلبك بعث بي فاستتري مني، وإن داخلني الشيطان في أمرك، أو تاقت إليك نفسي فامتنعي.

ثـــم مضى بها حتى ورد دمشق، فتلقاه الناس بجنازة يزيد، وقد استخلف ابنه معاوية بن يزيد، فأقام الرجل أياما، ثم تلطف للدخول عليه، فشرح لـــه القصة، ويروي أنه لم يكن من بني أمية يعدل بمعاويه بن يزيد في زمانه نبلا ونسكا، فلما أخبره قال: هي لك وكل ما دفعه إليك من أمرها فهو لك، وارحل من يومك، فلا أسمع بخبرك في شئ من بلاد الشام.

فــرحل العراقــي ثم قال للجارية إني قلت لك ما قلت حين خرجت بك من المدينة، فأخبرتك أنك ليزيد، و قد صرت لي، وأنا أشهد الله أنك لعبد الله بن جعفر، وإني قد رددتك عليه ، فاستترى منى.

ثم خرج بها حتى قدم المدينة، فنزل قريبا من عبد الله، فدخل عليه بعض خدمه فقال لــــه: هذا العراقي ضيفك الذي صنع بنا ما صنع، وقد نزل العرصة، لاحياه الله. فقال عبد الله : مه! أنزلوا الرجل وأكرموه.

فلمــا اســتقر بعــث إلــى عبد الله: جعلت فداءك! إن رأيت أن تأذن لي أذنة خفيفة لأشــافهك بشــيء فعلت. فأذن له، فلما دخل سلم عليه، وقبل يده، فقربه عبد الله، ثم اقتص علــيه القصة، حتى إذا فرغ قال: قد والله وهبتها لك قبل أن أراها، وأضع يدي عليها، فهي لــك، ومــردودة علــيك، وقد علم الله تعالى أني ما رأيت لها وجها إلا عندك. فبعث إليها فجــاءت وجــاء بما جهزها به موفرا، فلما نظرت إلى عبد الله خرت مغشيا عليها، وأهوى إليها عبد الله فضمها إليه.

وخــرج العراقي وتصايح أهل الدار: عمارة عمارة، فجعل عبد الله يقول، ودموعه تجــري: أحلم هذا ، أحق هذا ؟ ما أصدق بهذا. فقال لــه العراقي: جعلت فداءك! قد ردها علــيك إيثارك الوفاء وصبرك على الحق وانقيادك لــه. فقال عبد الله: الحمد لله، اللهم إنك تعلم أني تصبرت عنها، وآثرت الوفاء،وأسلمت لأمرك، فرددتها علي بمنك، فلك الحمد! ثم قال: يا أخا العراق ما في الأرض أعظم منة منك، وسيجازيك الله تعالى.

وأقام العراقي أياما، وباع عبد الله غنما لــه بثلاثة عشر ألف دينار، وقال لقهرمانه: احملهــا إليه، وقل لــه: اعذر، واعلم أني لو وصلتك بكل ما أملك لرأيتك أهلا لأكثر منه، فرحل العراقي محمودا وافر العرض والمال.

* * * *



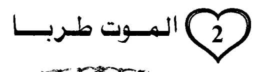
ب- عبد الله بن جعفر بين كرمه و عشقه

نظـــر عبد الله بن جعفر إلى جارية لـــه كان يحبها حبا شديدا وهي تلاحظ مولاه فســـألها: بـــالله هل تحبين فلانًا؟ فقالت: أعيذك بالله يا سيدي! قال فسألها: بالله لا تكتميني ذلـــك! فســـكتت فأعتقها و دعاه فزوجها إياه. قال: ثم إن نفسه تتبعتها فدعا مولاه فقال: أتنزل عنها ولك عشرة آلاف درهم؟ قال لا والله، ولا مائة ألف درهم. قال: بارك الله لك فيها! قال فأعرض عنها، قال: فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيرا حتى مات مولاه وتزوجها ابن جعفر بعد ذلك. قال ابن حسين: فذكرت هذا الحديث لأبي ياسين الرقي فحدثني عن بعض أصحابه أن عبد الله بن جعفر لما دخلت عليه أنشأ يقول:

رضـــيت بحكـــم الله فـــي كـــل أمـــره،	وســـلمت أمـــر الله فـــي كمـــا مضـــى
بلائـــــي وأبلائـــــي بحـــــب دنـــــية،	وصـــبرني حـــتى امحـــى الحـــب فانقضى
لعمــــري! مـــا حبـــي بحـــب ملالـــة،	ولا كــــــان ودي زائــــــلا فتنقضـــــا[1]
ولكــــن حبـــــي معــــــه دل يزيــــــنه،	ويعـــرض أحـــيانا إذا الحـــب أعرضـــا[2]

(1) تنفض: انحل.
(2) الحب، بكسر الحاء: الحبيب.

2 المــوت طـربـــا



كـــان عـــبد الملك يجلس في كل أسبوع يومين جلوسا عاما، فبينا هو جالس في مستشرف له، وقد أدخلت عليه القصص، إذ وقع في يده قصة غير مترجمة، فيها: إن رأى أمـــير المؤمنيـــن أن يأمر جاريته فلانة تغنيني ثلاثة أصوات ثم ينفذ في ما شاء من حكمه. فاستشـــاط من ذلك غضبا، وقال يا رباح[1] علي بصاحب هذه القصة. فخرج الناس جميعا، وأدخـــل عليه غلام من أجمل الفتيان وأحسنهم، فقال لـــه عبد الملك: يا غلام! أهذه قصتك؟ قـــال: نعـــم يـــا أمير المؤمنين! قال: وما الذى غرك مني؟ والله لأمثلن بك، ولأردعن بك نظـــراءك من أهل الخسارة. علي بالجارية! فجيء بها كأنها فلقة قمر، وبيدها عود، فطرح لها الكرسي، فجلست، فقال عبد الملك: مرها يا غلام! فقال لها: غنيني يا جارية بشعر قيس بن ذريح:

لقـد كنـت حسـب الـنفس لو دام ودنا، ولكـــنما الدنـــيا مـــتاع غـــرور

وكـــنا جمـــيعا قـــبل أن يظهـــر الهـــوى بـــأنعم حالـــي غـــبطة وســـرور

فمـــا بـــرح الواشـــون حـــتى بـــدت لـــنا بطـــون الهـــوى مقلوبـــة لظهـــور

فغنـــت، فخرج الغلام بجميع ما كان عليه من الثياب تخريقا، ثم قال لـــه عبد الملك: مرها تغنك الصوت الثاني! فقال: غنيني بشعر جميل:

---

(1) رباح: أحد غلمان الخليفة.

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بوادي القرى إني إذا لسعيد

إذا قلت ما بي يا بثينة قاتلي ... من الحب قالت: ثابت و يزيد

وإن قلت ردي بعض عقلي أعش به ... مع الناس قالت: ذاك منك بعيد

فلا أنا مردود بما جئت طالبا، ... ولا حبها فيما يبيد يبيد

يموت الهوى مني إذا ما لقيتها، ... ويحيا إذا فارقتها، فيعود

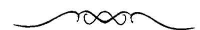
قال: فغنته الجارية، فسقط الغلام مغشيا عليه ساعة، ثم أفاق، فقال له عبد الملك: مرها فلتغنك الصوت الثالث! فقال: يا جارية غنيني بشعر قيس بن الملوح المجنون:

وفي الجيرة الغادين من بطن وجرة ... غزال غضيض المقلتين ربيب

فلا تحسبي أن الغريب الذي نأى ... ولكن من تنأين عنه غريب

فغنته الجارية، فطرح الغلام نفسه من المستشرف فلم يصل إلى الأرض حتى تقطع، فقال عبد الملك: ويحه لقد عجل على نفسه، ولقد كان تقديري فيه غير الذي فعل. وأمر، فأخرجت الجارية من قصره، ثم سأل عن الغلام، فقالوا: غريب لا يعرف إلا منذ ثلاث ينادي في الأسواق و يده على رأسه:

غدا يكثر الباكون منا ومنكم، ... وتزداد داري من دياركم بعدا



3 أربع قصص عن يزيد بن عبد الملك

أ - ســر الصنـــدوق



حدثـــنا محمـــد بـــن حيان بن صدقة عن محمد بن أبى السري عن هشام بن محمد السائب قال:

كانـــت عـــند يزيد بن عبد الملك بن مروان أم البنين بنت فلان، وكان لها من قلبه موضع، فقدم عليه من ناحية مصر بجوهر لـــه قدر وقيمة، فدعا خصيا له، فقال: اذهب بهـــذا إلى أم البنين وقل لها: أتيت به الساعة، فبعثت به إليك. فأتاها الخادم، فوجد عندها وضـــاح اليمن، وكان من أجمل العرب، وأحسنه وجها، فعشقته أم البنين، فأدخلته عليها، فكـــان يكون عندها، فإذا أحست بدخول يزيد بن عبد الملك عليها أدخلته في صندوق من صـــناديقها، فلما رأت الغلام قد أقبل أدخلته الصندوق، فرآه الغلام، ورأى الصندوق الذي دخـــل فيه، فوضع الجوهر بين يديها، وأبلغها رسالة يزيد، ثم قال: يا سيدتي هبي لي منه لؤلـــؤة! قالت: لا ولا كرامة، فغضب وجاء إلى مولاه، فقال: يا أمير المؤمنين إني دخلت عليها و عندها رجل، فلما رأتني أدخلته صندوقا، وهو في الصندوق الذي من صفته كذا وكـــذا، وهو الثالث أو الرابع. فقال لـــه يزيد: كذبت، يا عدو الله! جئوا عنقه، فوجئ في عنقه، ونحوه عنه.

قـــال: فـــأمهل قلـــيلا، ثـــم قام، فلبس نعله، ودخل على أم البنين، وهي تمتشط في خزانتها، فجاء وجلس على الصندوق الذي وصف له الخادم فقال لها: يا أم البنين! ما أحب إلـــيك هـــذا البيت؟ قالت: يا أمير المؤمنين ادخله لحاجتي و فيه خزانتي فما أردت من شئ أخـــذت من قرب. قال: فما في هذه الصناديق التي أراها؟ قالت: حليي، وأثاثي. قال: فهبي

لـــي منها صندوقا. قالت: كلها يا أمير المؤمنين لك. قال: لا أريد إلا واحدا، و لك على أن أعطـــيك زنـــته وزنة ما فيه ذهبا. قالت: فخذ ما شئت. قال:هذا الذي تحتي. قالت: يا أمير المؤمنين عد عن هذا، وخذ غيره، فإن لي فيه شيئا يقع بمحبتي. قال: ما أريد غيره. قالت: هو لك.

قـــال: فـــأخذه ودعا الفراشين فحملوا الصندوق، فمضى به إلى مجلسه، فجلس، ولم يفتحه، ولم ينظر ما فيه، فلما جنه الليل دعا غلاما له أعجميا فقال له: استاجر أجراء غرباء ليسوا من أهل المصر.

قـــال: فجاءه بهم و أمرهم، فحفروا لـــه حفيرة في مجلسه، حتى بلغوا الماء، ثم قال: قدموا لي الصندوق. فألقى في الحفيرة، ثم وضع فمه على شفيره، فقال: يا هذا! قد بلغنا عنك خبر، فإن يك حقا فقد قطعنا أثره، وإن يك باطلا، فإنما دفنا خشبا.

ثـــم أهـــالوا عليه التراب حتى استوى، قال: فلم ير وضاح اليمن حتى الساعة. قال: فلا، والله، ما بان لها في وجهه ولا في خلائقه شئ حتى فرق الموت بينهما

* * * *



ب - يـــزيـــد و حبـــابـــة

لمـــا مات عمر بن العزيز قال يزيد[1]: والله ما عمر بأحوج إلى الله مني. قال: فأقام أربعيـــن ليلة يسير بسيرة عمر، فقالت حبابة لخصي لـــه كان صاحب أمره: ويحك قم بي حيث يسمع كلامي ولك على عشرة آلاف درهم، فلما مر يزيد بها قالت:

بكيـــت الصـــبا جهـــلا فمـــن شـــاء لامني   ومـــن شـــاء آســـى فـــي الـــبكاء واسعدا

(1) هو يزيد بن عبد الملك.

ألا لا تلمــــه الــــيوم أن يتلـــــبدا فقـــد مـــنع المحـــزون أن يـــتجلدا

ومـــا العـــيش إلا مـــا تلـــذ وتشـــتهي وإن لام فـــيه ذو الشـــنان وفـــندا[1]

إذا كنـــت عـــزهاة عـــن اللهـــو والصـــبا فكـــن حجـــرا مـــن يابس الصخر جلمدا[2]

قال أبو موسى: وهذا الشعر للأحوص، فلما سمعها قال للخصي: ويحك! قل لصاحب الشـــرط يصلي بالناس. و قال يوما: والله إني لأستحي أن أخلو بها، ولا أرى أحدا غيرها، وأمر ببستان، وأمر بحاجبه أن لا يعلمه بأحد.

قـــال: فبينما هو معها أسر الناس بها، إذ حذفها بحبه رمان، أو بعنبة، وهي تضحك، فوقعـــت فـــي فيها فشرقت فماتت، فأقامت عنده في البيت حتى جيفت، أو كادت تجيف، ثم خرج فدفنها، وأقام أياما، ثم خرج، وعليه الهم باديا، حتى وقف على قبرها فقال:

فـــإن تســـل عـــنك الـــنفس أو تدع الصبا فباليـــيأس أســـلو عـــنك لا بالـــتجلد

وكـــل خلـــيل لامنـــي فهـــو قـــائل مـــن اجلـــك هـــذا هامـــة الـــيوم أو غد[3]

ثم رجع فما خرج من منزله حتى خرج بنعشه.

* * * *

(1) ذو الشنان: المبغض فند: لام.

(2) العزهاة: الزاهد في اللهو و النساء الجلمد: الصلب القاسي.

(3) الهامة: الجثة.

ج – أهــل الفــن

كانت بالمدينة جارية لآل أبي رُماثة، أو لآل أبي تفاحة، يقال لها: سلامة. قال: فكتب فــيها يزيد بن عبد الملك لتشتري لــه، فاشتريت بعشرين ألف دينار، فقال أهلها: لا تخرج حتى نصلح من شأنها، فقالت الرسل: لا حاجة لكم بذاك! معنا ما يصلحها. قال: فخرج بها حــتى أتــى بها سقاية سليمان، قال: فأنزلها رسله فقالت: لا والله لا أخرج حتى يأتيني قوم كــانوا يدخلــون علــي فأسلم عليهم، قال: فامتلأ ذلك الموضع من الناس، قال: ثم خرجت فوقفت بين الناس، وهي تقول:

فارقونـــــي وقـــــد علمـــــت يقيـــــنا ... مـــا لمـــن ذاق فـــرقة مـــن إيـــاب

إن أهـــل الحصـــاب قـــد تركونـــي ... فـــي ولـــوع يذكـــو بـــأهل الحصـــاب

ســكنوا الجــزع وهــو جــزع أبــي مــو ... ســى إلــى الــنخل مــن صــفي الشــباب

أهـــل بيـــت تـــتابعوا للمـــنايا، ... مــا علــى الدهــر بعدهــم مــن عــتاب

قــال: فمــا زالت على ذلك تبكي ويبكون حتى راحت، ثم أرسلت إليهم بثلاثة آلاف درهم.

* * * *

د– طــرب الخليفــة

حدثــنا عمــر بن شبة عن أبي إسحاق قال: بلغني أن جارية غنت بين يدي يزيد بن عبد الملك:

وإنـــي لأهواهـــا وأهـــوى لقاءهـــا ... كمـــا يشـــتهي الصـــادي الشـــراب المبردا

فراسلتها سلامة فغنت:

علاقة حب كان في سنن الصبا فأبلى، وما يزداد إلا تجددا[1]

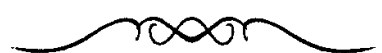
فغنت حبابة:

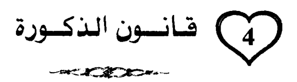
كريم قريش حين ينسب والذي أقر له بالفضل، كهلا وأمردا

فراسلتها سلامة فغنت:

تروي بمجد من أبيه وجده وقد أورثا بنيان مجد مشيدا

فطرب يزيد وشق حلة كانت عليه حتى سقطت في الأرض ثم قال: أفتأذنان لي أن أطير؟ قالت له حبابة: على من تدع الأمة؟ قال: عليك.





4 قانون الذكورة

خرج سليمان بن عبد الملك يريد بيت المقدس، وكان أغير قريش وأسرعها طيرة، فنزل منزلا من غور البلقاء بدير لبعض الرهبان، فحف بالدير أهل العسكر، وكان في من خرج معه رجل من كلب، يقال له سنان، وكان فارسا ومغنيا محسنا، وشجاعا، وبغيرة سليمان بن عبد الملك عارفا، ولم يك يسمع له صوت في عسكره، فزاره في تلك الليلة

(1) سنن الصبا: نهجه وطريقه.

فتية من أهله، فعشاهم، وسقاهم، فأخذ فيهم الشراب، فقالوا: يا سنان! ما أكرمتنا بشئ أن لم تسمعنا صوتك. فترنم فغناهم، فقال:

محجوبـــة سمعــت صوتـــي فــأرقــهــا ... مــــن آخـــر الليــل لما بلـــهـــا السحر

تثنـــي علـــي فخذهـــا مثنى معصفرة ... والحلـــي مـــنها علـــى لـــباتها حصر[1]

لـــم يحجـــب الصـــوت أحـــراس ولا غلق ... فدمعهـــا لطـــــروق الصـــوت منحدر

فـــي لـــيلة النصـــف مـــا يدري مضاجعها ... أوجههـــا عـــنـــده أبهـــى أم القمـــر[2]

لـــو خليت لمشت نحوي علـــى قـــدم ... تكـــاد مـــن رقـــة للمشـــي تنفطر[3]

فلما سمع سليمان الصوت قام فزعا يتفهم ما سمع، وكان معه جاريته عوان، ولم يكن لهـــا نظـــير فـــي زمانها في الجمال والتمام والحذق بالغناء، وكان يحبها، فلما فهم الصوت ارتعـــدت فرائصـــه غيرة، ثم أقبل نحو عوان، وهي خلف ستر، فكشف الستر رويدا لينظر أنائمة هي أم مستيقظة،فوجدها مستيقظة، وهي صفة الأبيات: عليها معصفرة، وحليها على لـــباتها، فلما أحست به، وعلمت بأن قد علم بأنها مستيقظة قالت: يا أمير المؤمنين! قاتل الله الشاعر حيث يقول:

ألا رب صـــوت جاءنـــي مـــن مشـــوه ... قبـــيح المحـــيا واضـــع الأب والجـــد

قصـــير نجـــاد الســـيف جعـــد بـــنانه ... إلـــى أمـــة يعـــزى معـــا وإلـــى عـــبد

---

(1) الحصر: الضيق.

(2) النصف: أي نصف الشهر، ليلة الإبدار.

(3) تنفطر: تنشق.

فســكن مــن غضــبه قليلا، ثم قال لها: فقد راعك صوته على ذلك؟ فقالت: يا أمير المؤمنيــن صادف مني استيقاظا، فقال: ويحك يا عوان!كأنه، والله، يراك وينعتك في غنائه فـــي هذه الليلة، والله لأقطعنه أطباقا كائنا ما كان. ثم بعث في طلبه فبعثت عوان خادما إليه ســرا، وقالت له: إن أدركته فحذرته، فأنت حر، ولك ديته. فخرج سليمان حتى وقف على بــاب الدير، فسبقت رسل سليمان، فأتوا به إلى سليمان مربوطا حتى وقفوه بين يديه، فقال لـــه: من أنت؟ قال: أنا سنان الكلبي فارسك يا أمير المؤمنين. فأنشأ سليمان يقول:

تـــثكل فـــي الـــثكلى ســـنانا أمـــه　　كـــان لهــــا ريحانــــة تشـــــمه

وخالـــــه يـــــثكله و عمــــــه　　ذو ســـــفه هـــــناته تعمـــــه

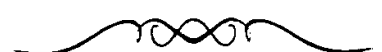
فقال سنان يا أمير المؤمنين:

إســـتبقني إلـــي الصـــباح أعـــتذر　　إن لســـاني بالشـــراب منكســـر

فارســـك الكلبـــي فـــي يـــوم نكـــر،　　فـــإن يكـــن أذنـــب ذنـــبا أو عـــثر

فالســـيد العافـــي أحـــق مـــن غفـــر

فقال سليمان: أعلي تجترئ يا سنان! أما إني لا أقتلك، ولكني سأنكل بك نكالا يؤنبك من تفحلك. فأمر به فخصي، فسمي ذلك الدير دير الخصيان.





5 عبث الوليد

العتبي قال:

نظــر الوليد بن يزيد إلى جارية نصرانية من أهيأ النساء يقال لها سفرى، فجن بها، وجعل يراسلها، وهي تأبى، حتى بلغه أن عيدا للنصارى قد قرب، وأنها ستخرج فيه.

وكــان فــي موضع العيد بستان حسن، وكانت النساء يدخلنه، فصانع الوليد صاحب البستان أن يدخله فينظر إليها. فتابعه، وحضر الوليد وقد تقشف وغير حليته، ودخلت سُفرى البســتان، فجعلــت تمشي حتى انتهت إليه، فقالت لصاحب البستان: من هذا ؟ فقال: رجل مصــاب. فجعلت تمازحه وتضاحكه، حتى اشتفى من النظر إليها، ومن حديثها، فقيل لها: ويلــك أتدرين من ذاك الرجل؟ قالت: لا! فقيل لها: الوليد بن يزيد وإنما تقشف حتى ينظر إليك، فجنت به بعد ذلك، وكانت عليه أحرص منه عليها. فقال الوليد في ذلك:

أضحــــى فــؤادك ، يا وليد ، عميدا … صــبــا كلــيمـا للحسـان صيــودا

مــن حب واضحـة العوارض طفلة … بـرزت لـنا نحـو الكنيسـة عـــيدا

مــا زالــت أرمقهـا بعينـي … حـتى بصـرت بهـا تقـبل عـــودا

عـود الصـليب، فويـح نفسـي من رأى … مـنكـم صـــليبا مـثله معبـــودا

فســألت ربـــي أن أكـــون … وأكـــون فـي لهــب الجحــيم وقـــودا

قال القاضي أبو الفرج المعافي: لم يبلغ مدرك الشيباني هذا الحد من الخلاعة، إذ قال في عمرو النصراني:

يـــــا ليتنـــــــــي كنت لـــــــــه صـــــــليبا، فكنـــــت منـــــه أبـــــدا قـــريبا

أبصـــــر حسنـــــا، وأشـــــــــم طيبـــا، لا واشـــيا أخشـــــى ولا رقيبـــا

فلما ظهر أمره وعلمه الناس قال:

ألا حـــــبذا سُـــــفرى، وإن قـــــيل إنـــــنى كلفـــت بنصـــرانية تشـــرب الخمـــرا

يهـــون علينـــا أن نظـــل نـــهـارنــــــا إلـــى الليـل لا أولـــى نصـــلي ولا عصرا

6 عـاشـق هـجـيـن

الحسن الوصيف حاجب المهدي قال:

كنا بزيالة، وإذا أعرابي يقول: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداءك! إني عاشق. قال: وكان يحب ذكر العشاق والعشق، فدعا بالأعرابي، فلما دخل عليه قال: سلام عليك، يا أمير المؤمنيـــن، ورحمة الله وبركاته، ثم قعد. فقال لـــه: ما اسمك؟ فقال: أبو مياس. قال: يا أبا مياس! من عشيقتك؟ قال: ابنة عمي، وقد أبى أبوها أن يزوجنيها. قال: لعله أكثر منك مالا؟ قال: لا! قال: فما القصة؟ قال: أدن مني رأسك.

قال: فجعل المهدي يضحك وأصغى إليه رأسه، فقال: إني هجين. قال: ليس يضرك ذاك، إخوة أمير المؤمنين وولده أكثرهم هجن. يا غلام علي بعمه.



قال: فأتى به، فإذا أشبه خلق الله بأبي مياس كأنهما باقلاه فلقت. فقال المهدي: ما لك لا تزوج أبا مياس وله هذا اللسان و الأدب وقرابته منك؟ قال: إنه هجين. قال: فإخوة أمير المؤمنيـــن وولده أكثرهم هجن، فليس هذا مما ينقصه، زوجها منه، فقد أصدقتها عنه عشرة آلاف درهم، قال: قد فعلت. فأمر له بعشرين ألف درهم، فخرج أبو مياس، وهو يقول:

ابتعـــت خـــودا بـــالغلاء، وإنمـــا يعطـــي الغـــلاء بمـــثلها أمثالـــي

وتركـــت أســـواق القـــباح لأهلهـــا، إن القـــباح وإن رخصـــن غـــوال



7 قصتان عن الرشيد

أ – الرشيد .. والجارية السيدة

أخبرنـــي أبـــو العـــباس أحمد النيسابوري: أن هارون الرشيد كتب هذه الأبيات إلى جارية يحبها، وكانت تبغضه:

إن التـــي عذبـــت نفســـي بمـــا قـــدرت كـــل العـــذاب، فمـــا أبقـــت ولا تركـــت

مازحـــتها فبكـــت، واســـتعبرت جـــزعا عنـــي، فلمـــا رأتنـــي باكـــيا ضـــحكت

فعـــدت أضـــحك مســـرورا بضـــحكتها، حـــتى إذا مـــا رأتنـــي ضـــاحكا، فبكـــت

تبغـــي خلافـــي كمـــا خبـــت براكـــبها، يومـــا قلـــوص، فلمـــا حـــثها بركـــت

ووجدت له في هذه القطعة بيتا أول وبيتا أخيرا، فأما الأول فهو:

أليس من عجب بل زادني عجبا ... مملوكة ملكت من بعد ما ملكت

وأما البيت الأخير فهو:

كأنها درة قد كنت أدخرها، ... ليوم عسر، فلما رمتها هلكت

* * * *

ب – مراسلة بالقبل

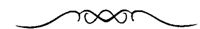
قال منصور البرمكي وكان أديبا: كانت لهارون الرشيد جارية غلامية، تصب على يده، وتقف على رأسه، وكان المأمون يعجب بها، وهو أمرد، فبينا هي تصب على هارون من إبريق معها، و المأمون مع هارون قد قابل بوجهه وجه الجارية، إذ أشار إليها بقبلة، فزبرته بحاجبها وأبطأت عن الصب في مهلة ما بين ذلك، فنظر إليها هارون فقال: ما هذا؟ فتلكأت عليه، فقال: ضعي ما معك! علي كذا إن لم تخبريني لأقتلنك. فقالت: أشار إلي عبد الله بقبلة. فالتفت إليه، وإذا هو قد نزل به الحياء والرعب ما رحمه منه، فاعتنقه، وقال: أتحبها؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، فقال: قم فاخل بها في تلك القبة، فقام ففعل، فقال له هارون: قل في هذا شعرا، فأنشأ يقول:

ظبي كنيت بطرفي ... عن الضمير إليه

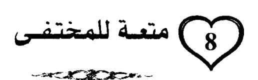
قبلته من بعيد ... فاعتل من شفتيه

ورد أخبث رد ... بالكسر من حاجبيه

فما برحت مكاني ... حتى قدرت عليه





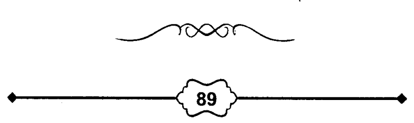


8 متعة للمختفى

اختفى إبراهيم بن المهدي زمن المأمون عند بنت عصمة بنت أبي جعفر عند هربه من المــأمون لشــدة طلبه لــه، وكانت تكرمه غاية الكرامة، وتلطفه بالطرائف، وتتفقده في أوقاته، ووكلــت به جارية يقال لها ملك، وكانت قد أدبتها، وأنفقت عليها الأموال، وكانت مغنية حاذقة، راويـــة للأشعار، بارعة الجمال، حسنة القد، عاقلة، وقد كانت طلبت منها بخمسين ومائة ألف درهم، فكانت تلي خدمة إبراهيم، وتقوم على رأسه، وتتفقد أموره، فهويها، وكره أن يطلبها من عمــته، وأن يفجعها بها، وتذمم من ذلك، فلما اشتد وجده بها، وغلب حبها عليه، وسكر فهيجه السكر أيضا، أخذ عودا وغنى بشعر لــه فيها، وهي واقفة على رأسه والغناء له:

يـــا غــــزالاً لـــــي إلـــــيه	شـــــافع مـــــن مقلتـــــيه
والــــــذي أجللـــــت خديـــــــ	ـــــه فقبلـــــت يديـــــــه
بأبــــي وجهـــــك مـــــا أكـــــ	ـــــثر حســـــادي علـــــيه
أنـــا ضـــيف، وجـــزاء الضـــ	ـــيف إحســـــان إلـــــيه

فســمعت الجارية الشعر، وفطنت لمعناه لرقتها وظرفها، وكانت مولاتها تسألها عن حالهــا وحالــه في كل يوم، فأخبرتها في ذلك اليوم بما في قلبه منها، وبما سمعت منه من الشــعر والغــناء، فقالــت لها مولاتها: اذهبي فقد وهبتك لــه! فعادت إليه، فلما رآها أعاد الصــوت، فأكبت عليه الجارية فقبلت رأسه، فقال لها: كفى! فقالت: قد وهبتني مولاتي لك، وأنا الرسول، فقال: أما الآن فنعم.



9 عاشق مسافر

الحسن بن محمد بن إسماعيل بن موسى قال:

رأيت في كتاب الأخبار لأبي أن المأمون لما خرج إلى خراسان كان في بعض الليل جالسا في ليلة مقمرة إذ سمع مغنيا يغني من خيمة له:

قالوا: خراسان أقصى ما تحاوله، ودون ذاك، فقد جزنا خراسانا

ما أقدر الله أن يدني بعزته سكان دجلة من سكان جيحانا[1]

عينا أظن أصابتنا، فلا نظرت، وعذبت بصنوف الهجر ألوانا

متى يكون الذي أرجو وآمله، أما الذي كنت أخشاه فقد كانا

فخرج المأمون من موضعه حتى وقف على الخيمة، وعلمها، فلما كان من الغد وجه فأحضر صاحب الخيمة، وهو شاب، فسأله عن اسمه، فقال: العباس بن الأحنف. قال: أنت الذي كنت تقول:

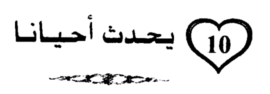
متى يكون الذي أرجو وآمله، أما الذي كنت أخشاه فقد كانا

قال: نعم. قال: ما شأنك؟ قال: يا أمير المؤمنين تزوجت ابنة عم لي، فنادى مناديك يوم أسبوعي في الرحيل إلى خراسان، فخرجت، فأعطاه رزق سنة، ورده إلى بغداد، وقال: أقم إلى أن تنفقها، فإذا نفدت رجعت.



---

(1) جيحانا: نهر في العواصم.



يحدث أحيانا

قال إسماعيل بن جامع:

كـــان أبي يعظني في الغناء، ويضيق، فهربت منه إلى أخوالي باليمن، فأنزلني خالي غــرفة لـــــه مشرفة على نهر في بستان، فإني لمشرف منها، إذ طلعت سوداء معها قربة، فنزلت إلى المشرعة، فجلست فوضعت قربتها وغنت:

إلـــــى الله أشـــــكو بخلهـــا وســـــماحتي، لهـــا عســـل منـــي، وتـــبذل علقمـــا

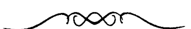
فـــردي مصـــاب القلـــب أنـــت قتلـــته ولا تتركـــيه هـــائم القلـــب مغـــرما

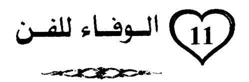
وذرفــت عيـــناها، فاستفزني ما لا قوام لي به، ورجوت أن ترده، فلم تفعل، وملأت القـــربة، ونهضت، فنزلت أعدو وراءها، وقلت: يا جارية! بأبي أنت وأمي ردي الصوت! قالت ما اشغلني عنك! قلت: بماذا؟ قالت: علي خراج كل يوم درهمان. فأعطيتها درهمين، فتغنــت وجلســت حتى أخذته، وانصرفت، ولهوت يومي ذلك وكرهت أن أتغني الصوت، فأصـــبحت وما أذكر منه حرفا واحدا، وإذا أنا بالسوداء قد طلعت، ففعلت كفعلها الأول، إلا أنها غنت غير ذلك الصوت، فنهضت وعدوت في إثرها. فقلت: الصوت قد ذهب علي منه نغمـــة، قالت: مثلك لا يذهب عليه نغمة، فتبين بعضه ببعض، وأبت أن تعيده إلا بدرهمين، فأعطيـــتها ذلك، فأعادته فتذكرته، فقلت: حسبك! قالت: كأنك تكاثر فيه بأربعة دراهم، كأني والله بك، وقد أصبت به أربعة آلاف دينار.

قال ابن جامع: فبينا أنا أغني الرشيد يوما، وبين يديه أكياس في كل كيس ألف دينار، إذ قـــال: من أطربني، فله كيس، فغن لي الصوت، فغنيته، فرمى لي بكيس، ثم قال: أعد!



فـأعدت، فـرمى لـي بكـيس، وقال: أعد، فأعدت، فرمى لي بكيس، فتبسمت، فقال: ما يضحكك؟ قلت: يا أمير المؤمنين، لهذا الصوت حديث أعجب منه، فحدثته الحديث فضحك، ورمى لي الكيس الرابع، وقال:لا تكذب قول السوداء، فرجعت بأربعة آلاف دينار.





11 الـوفـاء للفـن



إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن أبيه قال:

قال لي زلزل، وكان اسمه منصورا: عندي جارية من حالها ومن صفتها، قد علمتها الغـناء. فكنـت أشـتهي أن أراهـا فأستحيي أن أسأله، فلما توفي زلزل بلغني أن ورثته يعرضـون الجارية، فصرت إليهم فأخرجوها، فإذا جارية كاد الغزال أن يكونها لولا ما تم منها ونقص منه، قال: قلت لها: غني صوتا! فجئ بالعود فوضع في حجرها، فاندفعت تغني و تقول، وعيناها تذرفان:

أقفـر مـن أوتـاره العـود	فـالعود للإقفـار معمـود
وأوحـش المـزمار مـن صـوته	فمـا لـه بعـدك تغـريد
مـن للمزامـير وسـماعها	وعامـر اللـذات مفقـود
والخمـر تبكـي فـي أباريقهـا	والقيـنة الخمصـانة الـرود

ثـم شهقت شهقة ظننت أن نفسها قد خرجت، فركبت من ساعتي، فدخلت على أمير المؤمنيـن فأخبرته بخبر الجارية، وما سمعت منها، فأمر بإحضارها، فلما دخلت عليه قال لهـا: غنـي الصوت الذي غنيت به إبراهيم! فغنت وجعلت تريد البكاء فيمنعها إجلال أمير المؤمنيـن، فرحمها وأعجب بها، فقال: أتحبين أن أشتريك؟ فقالت: يا سيدى أما إذ خيرتني فقـد وجب نصحك علي، والله لا يشتريني أحد بعد زلزل فينتفع بي. فقال: يا إبراهيم! أتعلم بالعـراق جارية جمعت ما جمعت هذه؟ إن وجدت فاشترها بشطر مالي! فقلت: لا والله يا أمير المؤمنين ولا على وجه الأرض. فأمر بشرائها وأعتقها وأجرى عليها رزقا.



(12) تقـاليـد فارسيـة



اليمان بن عمرو مولى ذي الرئاستين قال:

كان ذو الرئاستين يبعثنى ويبعث أحداثا من أحداث أهله إلى شيخ بخراسان، له أدب وحسـن معرفة بالأمور، ويقول لنا: تعلموا منه الحكمة، فإنه حكيم، فكنا نأتيه، فإذا انصرفنا من عنده، سألنا ذو الرئاستين واعترض ما حفظناه، فنخبره به، فقصدنا ذات يوم إلى الشيخ فقال: أنتم أدباء، وقد سمعتم ولكم جدات، ونعم[1]، فهل فيكم عاشق؟ فقلنا: لا! فقال: اعشقوا، فـإن العشـق يطلق اللسان العيي ويفتح حيلة البليد والمخبل، ويبعث على التنظف وتحسن اللـباس، وتطييـب المطعم، ويدعو إلى الحركة والذكاء، وتشرف الهمة، وإياكم والحرام! فانصـرفنا مـن عنده إلى ذى الرئاستين، فسألنا عما أخذنا في يومنا ذلك، فهبنا أن نخبره،

(1) الجدات، الواحدة جدة: الغني والمقدرة. النعم، الواحدة نعمة: الصنيعة والمنة.

فعــزم علينا، فقلنا: إنه أمرنا بكذا وكذا. قال:صدق والله، تعلمون من أين أخذ هذا؟ قلنا :لا! قال: إن بهرام جور كان لـــه ابن، وكان قد رشحه للأمر من بعده، فنشأ الفتى ناقص الهمة ساقط المروءة خامل النفس، سئ الأدب، فغمه ذلك، ووكل به المؤدبين والمنجمين والحكماء ومن يلازمه ويعلمه، وكان يسألهم عنه، فيحكون لـــه ما يغمه من سوء فهمه وقلة أدبه، إلى أن ســـأل بعض مؤدبيه يوما، فقال له المؤدب: قد كنا نخاف سوء أدبه، فحدث من أمره ما صــيرنا إلـــى اليأس من فلاحه. قال: وما ذاك الذي حدث؟ قال: رأى ابنة فلان المرزبان، فعشـــقها حتى غلبت عليه، فهو لا يهذي إلا بها، ولا يتشاغل إلا بذكرها. فقال بهرام: الآن رجوت فلاحه.

ثـــم دعـــا بأبي الجارية. فقال له: إني مسر إليك سرا، فلا يعدونك، فضمن له ستره، وأعلمـــه أن ابـــنه قد عشق ابنته، وانه يريد أن ينكحها إياه، وأمره أن يأمرها بإطماعه في نفســـها، ومراسلته من غير أن يراها وتقع عينه عليها، فإذا استحكم طمعه فيها، تجنت عليه وهجـــرته، فإن استعتبها أعلمته أنها لا تصلح إلا لملك ومن همته همة ملك، وأنها تمنع من مواصلتها من لا يصلح للملك. ثم ليعلمه خبرها وخبره. ولا يطلعها على ما أسر إليه، فقبل أبوها ذلك منه، ثم قال للمؤدب الموكل بولده: شجعه على مراسلة المرأة، ففعل ذلك، وفعلت المرأة ما أمرها به أبوها.

فلمـــا انتهـــت إلى التجني عليه، وعلم الفتى السبب الذي كرهته لـــه أخذ في الأدب وطلـــب الحكمة والعلم والفروسية والرماية وضرب الصوالجة، حتى مهر في ذلك. ثم رفع إلـــى أبيه أنه محتاج إلى الدواب والآلات والمطاعم والملابس والندماء إلى فوق ما تقدم له، فسر الملك بذلك، وأمر له به. ثم دعا مؤدبه فقال: إن الموضع الذي وضع به ابني نفسه من حيث هذه المرأة لا يزري به، فتقدم إليه أن يرفع إلي أمرها ويسألني أن أزوجه إياها. ففعل، فرفع الفتى ذلك إلى أبيه، فدعا بأبيها فزوجها إياه، وأمر بتعجيلها إليه، وقال: إذا اجتمعا فلا تحدث شيئا حتى أصير إليك.

فلمـــا اجتمعا صار إليه فقال: يا بني لا يضعن منها عندك مراسلتها إياك وليست في



حـــبالك، فإني أنا أمرتها بذلك. وهي أعظم الناس منة عليك،بما دعتك إليه من طلب الحكمة والـــتخلق بـــأخلاق الملـــوك حتى بلغت الحد الذي تصلح معه للملك من بعدي. وزدها من التشريف والإكرام بقدر ما تستحق منك.

ففعـــل الفتى ذلك وعاش مسرورا بالجارية، وعاش أبوه مسرورا به، وأحسن ثواب أبـــيها، ورفع مرتبته وشرفه بصيانته سره وطاعته. وأحسن جائزة المؤدب بامتثاله ما أمره وعقد لابنه على الملك بعده.

قال اليماني مولى ذي الرئاستين، ثم قال لنا ذو الرئاستين: سلوا الشيخ الآن لم حملكم على العشق؟ فسألناه، فحدثنا بحديث بهرام جور وابنه.



(13) حكاية شعبية عن خيانة النساء

عبد الله بن مسلم بن قتيبة قال:

قرأت في سير العجم أن أردشير لما استوثق له أمره وأقر بالطاعة ملوك الطوائف، حاصـــر ملـــك السريانية، وكان متحصنا في مدينة يقال لها الحضر، بإزاء مسكن من برية الـــثرثار، وهي برية سنجار، والعرب تسمى ذلك الملك الشاطرون، فحاصره فلم يقدر على فـــتحها، حـــتى رقت بنت الملك على الحصن يوما، فرأت أردشير، فهويته، فنزلت وأخذت نشـــابة، وكتبت عليها: إن أنت ضمنت لي أن تتزوجني، دللتك على موضع تفتح به المدينة بأيســـر الحـــيلة وأخف المؤونة، ثم رمت بالنشابة نحو أردشير، فقرأها، وأخذ نشابة، فكتب إلـــيها: لـــك الوفاء بما سألتني، ثم ألقاها إليها، فدلته على الموضع، فأرسل إليها، فافتتحها، فدخل، وأهل المدينة غارون لا يشعرون، فقتل الملك، وأكثر القتل فيها، وتزوجها.

فبيـــنما هي، ذات ليلة، على فراشه أنكرت مكانها، حتى سهرت أكثر ليلها، فقال لها: ما لك؟ قالت: أنكرت فراشي، فنظروا تحت الفراش، فإذا تحت المجلس طاقة آس قد أثرت في جلدها، فتعجب من رقة بشرتها، فقال لها: ما كان أبوك يغذوك؟ قالت: كان أكثر غذائي عنده الشهد والمخ والزبد. فقال لها: ما أحد بالغ بك في الحباء والكرامة مبلغ أبيك، وإذا كان جزاؤه عندك على جهد إحسانه مع لطف قرابته، وعظم حقه، اساءتك إليه، فما أنا بآمن مثل ذلـــك منك، ثم أمر بأن تعقد قرونها بذنب فرس شديد الجري، جموح، ثم يجري. ففعل ذلك بها حتى تساقطت عضوا عضوا، وهو الذي يقول فيه أبو داود الايادي:

وأرى المـــوت قـــد تدلـــى مـــن الحصـــ ـــــن علـــــى رب أهلـــه الشـــاطرون



14 عريب .. والصاحب المستحيل



قـــال علويه: أمرني المأمون وأصحابي أن نغدو إليه لنصطبح. فغدوت، فلقيني عبد الله بـــن إسماعيل صاحب المراكب، فقال: بأيها الرجل الظالم المتعدي! أما ترحم، ولا ترق ولا تستحي من عريب؟ هي هائمة بك.

قـــال علويـــة: وكانت عريب أحسن الناس وجها، وأظرف الناس وأحسن غناء مني ومـــن صـــاحبي مخـــارق. فقلت له: مر حتى أجئ معك. فحين دخلنا قلت له: استوثق من الأبـــواب، فإني أعرف الناس بفضول الحجاب، فأمر بالأبواب فأغلقت ودخلت، فإذا عريب جالســـة علـــى كرســـي، وبيـــن يديها ثلاث قدور زجاج، فلما رأتني قامت إلي، فعانقتني، وقبلتني، وأدخلت لسانها في فمي.

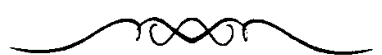
قالـــت: ما تشتهي تأكل؟ قلت: قدرا من هذه القدور، فأفرغت قدرا منها بيني وبينها. ثم دعت بالنبيذ، فصبت رطلا، فشربت نصفه، وسقتني نصفه، فما زلنا نشرب حتى سكرنا، ثـــم قالـــت: يا أبا الحسن! أخرجت البارحة شعرا لأبي العتاهيه فاخترت منه شيئا. قلت: ما هو؟ قالت:

وإنـــــي لمشتاق إلـــــى ظـــــل صـــاحب يـــــــرق ويصفـــــو إن كـــــــدرت عليه

عذيـــري مـــــن الإنســـان! لا إن جفوتـــه صـــفا لـــــــي، ولا إن كنــت طـــوع يديه

فصـــيرناه مجلســـنا.فقالت: بقي فيه شئ، فأصلحه! قلت: ما فيه شئ. قالت بلى، في موضـــع كـــذا. فقلـــت: أنـــت أعلـــم، فصححناه جميعا، ثم جاء الحجاب، وكسروا الباب، واســـتخرجت، فأدخلـــت على المأمون، فأقبلت أرقص من أقصى الصحن، وأصفق بيدي، وأغنـــي الصـــوت، فسمع وسمعوا ما لم يعرفوه، فاستطرفوه، فقال المأمون: ادن يا علوية! فدنـــوت، فقـــال: رد الصوت! فرددته سبع مرات، فقال: أنت الذي تشتاق إلى ظل صاحب يـــروق ويصفو إن كدرت عليه؟ فقلت: نعم! فقال: خذ مني الخلافة، واعطني هذا الصاحب بدلها.

وسألني عن خبري، فأخبرته، فقال: قاتلها الله، فهي أجل أبزار من أبازير الدنيا [1].



(1) أبزار، جمع: توابل – أبازير جمع الجمع.





الفصل الثالث

المعقول من قصص العشاق

1 الحسناء والقبيح



خـرج رجـل من بني أسد في نشدان إبل لـه قد أضلها، حتى إذا كان ببعض بلاد قضـاعة، أمسـى في عشية باردة، وقد رفعت له بيوت، فتفرس أيها أرجى أن يكون أمثل قـرى، قـال: فرأيت مظلة روحاء فأممتها، فإذا أنا بامرأة من أكمل النساء حسنا، وأصلهن عقـلا، فسلمت فردت ورحبت ثم قالت: ادخل من القر، وادن من الصلاء، فدخلت فلم ألبث أن أتيت بعشاء كثير، فأكلت وهي تحدثني، حتى إذا راحت الإبل إذا هنئ قد أقبل إليها كأنه بعـرة دمامة وضؤولة شخص، وقد كان في حجرها ابن لها كأطيب الولدان وأحسنهم، فلما رأى ذلـك الإنسان مقبلا هش إليه، وعدا في لقائه، فأخذ الصبي، فاحتمله ثم أقبل به يلثم فاه مـرة وعيـنه أخرى، ويفديه، فقلت في نفسي: أظنه عبدا لهم، حتى جاء فجلس إلى جانبها، وقال من ضيفكم هذا؟ فأخبرته، فعرفت أنه زوجها وأن الصبي ولده منها، فطفقت انظر إليه تـارة وإليها أخرى وأتعجب لاختلافهما، كأنها الشمس حسنا وكأنه قرد قبحا، ففطن لنظري إلـيها وإليه، فقال: يا أخا بني أسد! ترى عجبا؟ قلت: أجل، وأبيك، إني لأرى عجبا معجبا. قـال: صدقت! تقول: أحسن الناس وآدم الناس. قلت: نعم، فليت شعري كيف أودم بينكما! قال: أخبرك كيف كان ذلك.

كنـت سـابع سبعة إخوة كلهم لو رأيتني معهم ظننتني عبدا لهم، وكان أبي وإخوتي يطرحونـي، وكنت لكل عمل دنئ: للرواية مرة، ولرعاية الغنم أخرى، وكانت أخوتي هم أصحاب الإبل والخيل. فبينا أنا أرعى الإبل في عام جدب أشهب إذ ضل بعير منها، فقالوا لأبي: ابعث فلانا يبغيه! فدعاني فقال: اذهب فاطلب هذا البعير! فقلت: ما تنصفني أنت ولا بـنوك. أما إذا الإبل درت ألبانها وطاب ركوبها، فهم أصحابها، وأما إذا ندت ضلالها، فأنا

باغيها. فقال: يا لكع اذهب! أما والله إني لأظنه آخر أيامك من ضرب وجيع.

قــال: وظننت أني مضروب، فعدت مضطهدا محقورا خلق الثياب جائعا مقرورا، فطفت ليلة في بسابس ليس بها غريب، فبت، ثم أصبحت فغدوت حافيا، حتى دفعت مساء اللــيلة إلــى مظلة، فإذا عجوز وسيمة خليقة للخير والسؤدد، في عشية باردة ذات صر، ومعها هذه عدية نفسها، وهي ابنتها، فأدخلتني العجوز، وأتتني بتمر وعلقتني هذه سخريا، وهــزؤوا بي، وقالت: ما رأينا كالعشية قط فتى أجمل منك، ولا أكمل خلقا. فقلت: يا هذه جنبيني نفسك، فإني عن الباطل وأهله في شغل.

قالــت: ويحك! هل لك أن تدخل هذا الستر علي، إذا نام الحي، فنتحدث وتمثلنا من أماثــيلك هذه ؟ فإنا نراها ملاحا. فغرني إبليس، لما شبعت من القرى، ودفئت من الصلى، وجــاء أبوهــا وإخوتها مثل السباع، واضطجعوا أمام الخيمة، وأنا فيها، فلم يزل بي القدر المحــتوم حتى نهضت لألج عليها الستر، فإذا هي نائمة، فهمزتها برجلي، فانتبهت وقالت: من هذا ؟ قلت: الضيف. قالت: إياك، فلا حياك الله.

قــال الأســدي: وهي والله تصدف حياء من حديث زوجها صدوف المهرة العربية سمعت صلاصل لجامها. ثم قالت: لا حسن خبرك، اخرج لعنك الله!

قــال: فسقط في يدي، وعرفت أني لست في شئ، فخرجت لأهرب فزعا مذعورا، فهاجنــي كليــب لهم، مثل الفارس لا يطاف مرتبضه، وأراد أكلي، فأرهبته عني، ثم قالت: اذهب لا صحبك الله. فلما رجعت عاد الكلب إلي فرهقني، فجعلت أمشي القهقري، وأرهبه بعصــية معــي، وهو يركبني بأجرامه، حتى شد علي شدة، فتعلقت أظفاره وأنيابه في مقدم مدرعة صوف علي، وأهويت من قبل عقبي في بئر، وهوى معي، فإذا أنا وهو في قرارها، وقدر الله تعالى أنه لم يكن فيها ماء، فسمعت المرأة الوجبة، فأقبلت ومعها حبل حتى أشرفت علي، ثم أدلت الحبل فقالت: ارتق، لعنك الله! فلولا أن يقص أثري معك، غدوة، لوددت أنها قبرك.



قال: فتعلقت بالحبل وارتقيت حتى إذا كدت أتناول يدها تهور بها ما تحت قدميها من البــئر، وبئر أيما بئر، إنما هي بئر حفر لا طي لها، فإذا أنا وهي والكلب في قرارها، ينبح في ناحية، وهي تبكي في ناحية، وتدعو بالثبور والفضيحة، وأنا منقبض في ناحية، فقر برد جلــدي على القتل، حتى إذا أصبحت أمها تتفقدها عند الصلاة فأتت أباها، فقالت: أتعلم أن ابنـــتك ليســت ههنا؟ فقام، وكان قائفا عالما بالآثار، فتحدى أثري وأثرها، حتى تطلع فى البئر، فإذا نحن فيها، فرجع سريعا، فقال لبنيه، أختكم وكلبكم وضيفكم في البئر.

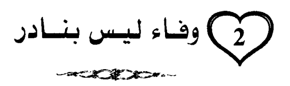
قـــال: فتواثـــبوا فمن آخذ حجرا، ومن آخذ سيفا، ومن آخذ عصا، وهم يريدون أن يجعلـــوا البـــئر قبري وقبرها. فقال أبوها: مه! فإن ابنتي ليست بحيث تظنون. قال: فنزل أحدهــم، فأخرجها وأخرج الكلب ثم أخرجوني، فقال أبوهم: إنكم إن قتلتم هذا الرجل طلبتم، وإن خليـــتموه افتضــــحتم، وقد رأيت أن أزوجه إياها، فلعمري! انه ما يطعن في نسبه،وانه لكفؤ، ثم أقبل علي، فقال: هل فيك خير؟

فلمـــا وجدت ريح الحياة، كأنما كان على قلبي غطاء فانكشف، قلت: وأين الخير إلا عندي؟ قال: خمسين بكرة وعبدا وأمة قلت: لك ما سألت، وإن شئت فازدد. قال: قد ملكتها، فانصرفت حتى أتى أبي، فلما رآني قال: لا مرحبا ولا أهلا، فأين البعير؟ قلت: أربع عليك أيها الرجل تسمع الخبر، فإنما أنت محدث: كان من الأمر كيت وكيت، قال: وريت بك زناد أبيك، إذا والله لا تسلم ولا تخذل، علي بالإبل.

فلمـــا جاءت قال: اعتد حاجتك، فاعتددت منهن خمسين بكرة كأنهن العذارى، ودفع إلـــي عـــبدا وأمـــة مولديـــن، ثم ساق معي الإبل حتى أتيناهم، فدفعنا إليهم حقهم، واحتملنا صاحبتنا، وها هي هذه، جهدها أن تقول كذبت، فاعجب لذلك فعل دهر، أي أكثر العجب.







وفاء ليس بنادر

كـان عند خالد بن عبد الله فقهاء من أهل الكوفة، فيهم أبو حمزة الثمالي، فقال خالد: حدثونا بحديث عشق ليس فيه فحش! فقال أبو حمزة الثمالي: أصلح الله الأمير! زعموا أنه ذكـر عند هشام بن عبد الله غدر النساء وسرعة تزويجهن. فقال هشام: إنه ليبلغني من ذلك العجب. فقال بعض جلسائه: أنا أحدثك عما بلغني من ذلك.

بلغني أن رجلا من بني يشكر يقال له غسان بن مهضم من العذافر، كانت تحته ابنة عم لـه يقال لها أم عقبة بنت عمرو بن الأبجر، وكان لها محبا، وكانت هي له كذلك، فلما حضـره الموت، وظن أنه مفارق الدنيا، قال ثلاثة أبيات. ثم قال لها: يا أم عقبة! اسمعي ما أقول، وأجيبيني بحق، فقد تاقت نفسي إلى مسألتك عن نفسك، بعدما يواريني التراب. فقالت: قل، فوالله لا أجيبك بكذب ولأجعلنه آخر خطاب مني. فقال، وهو يبكي بكاء منعه الكلام:

أخبريـني بمـا تـريدين بعـدي، والـذي تضمـرين يـا أم عقبـه

تحفظيـني مـن بعـد موتـي لمـا قد كـان منـي مـن حسـن خلـق وصحبه

أم تـريديـن ذا جمـال ومـال، وأنـا فـي الـتراب فـي سحق غربه

فأجابته ببكاء وانتحاب:

قـد سـمعنـا الـذي تقـول ومـا قـد خفته يـا خليـل مـن أم عقبـه

أنـا مـن أحفظ الأنـام وأرعـا هـم لمـا قـد أوليـت من حسن صحبـه



سـوف أبكـيـك مــا حييت بشجـو ومــراث أقولهــا وبــندبه

قال: فلما قالت ذلك طابت نفسه، وفي النفس ما فيها، فقال:

أنـا والله واثـق منـك لكـن ربمـا خفـت مـنك غـير النسـاء

بعـد مـوت الأزواج يـا خـير مـن عـو شـر فارعـي حقـي بحسن الوفاء

إنـي قـد رجـوت أن تحفظـي العهـد، فكونـي إن مـت عـند الـرجاء

قال: ثم اعتقل لسانه، فلم ينطق حتى مات. فلم تلبث بعده حتى خطبت من كل جانب، ورغبـت فـيها الأزواج لاجتماع الخصال الفاضلة فيها من العقل والجمال والعفاف، فقالت مجيبة لهم:

سـأحفظ غسانـا علـى بعـد داره وأرعـاه حـتـى نلتقـي يـوم نحشر

وإنـي لفـي شـغل عـن الناس كلهم فكفـوا! فمـا مثلـي بمـن مات يغدر

سـأبكي عليـه مـا حييت بعبـرة تجـول علـى الخديـن مـنـى وتحدر

فـأيس الناس منها حينا، فلما مرت بها الأيام نسيت عهده وقالت: من مات فقد فات، فأجابـت بعض خطابها، فتزوجها، فلما كانت الليلة التي أراد الدخول بها جاءها غسان في النوم، وقد أغفت، فقال:

غـدرت، ولـم ترعـي لـبعلك حرمة، ولـم تعرفـي حقـا، ولـم تحفظـي عهدا

ولـم تصـبري حـولا حفاظـا لصـاحب، حلفـت لـه يومـا ولم تنجزي وعـدا

غـدرت بـه لما ثوى فـي ضريحه، كذلـك ينسـى كـل مـن سكن اللحدا

قـال: فلما سمعت هذه الأبيات انتبهت مرتاعة مستحية منه كأنه بات معها في جانب

البيت، وأنكر ذلك منها من حضرها من نسائها، فقلن: مالك، وما حالك، وما دهاك؟ فقالت: مـــا تـــرك غسان لي في الحياة أربا، ولا بعده في سرور رغبة. أتاني في منامي الساعة، فأنشـــدني هـــذه الأبيات، ثم أنشدتها وهي تبكي بدمع غزير وانتحاب شديد، فلما سمعن ذلك منها أخذن بها في حديث آخر لتنسى ما هي فيه، فغافلتهن وقامت، فلم يدركنها حتى ذبحت نفســـها حياء مما كادت أن تركب بعده من الغدر به والنسيان لعهده. فقالت امرأة منهن: قد بلغنا أن امرأة أتاها زوجها في المنام فلامها في مثل هذا، فقتلت نفسها. فما سمعنا به.[1]

قال: وكانت المرأة القائلة هذا الكلام صاحبة شعر ورجز فقالت:

مــــــاذا صــــــنعت ومــــــاذا   لقيـــــــت مـــــــن غســـــــان

قلـــــت نفســـــك حــــــزنا   يـــــا خـــــيرة النســـــوان

قتلـــت مـــن بعـــد مـــا قـــد   همـمــــــــت بالعصـــــــيان

إن الوفــــــاء مـــــن اللـــــــ   ــــــه، لـــم يـــزل بمكـــان

قـــال: فلما بلغ زوجها، وكان يقال لـــه المقدام بن حبيش، وكان قد أعجب بها، أنها قالـــت: مـــا كان لي مستمتع بعد غسان، قال: هكذا فلتكن النساء في الوفاء، وقل من تحفظ ميتا، إنما هي أيام قلائل حتى ينسى وعنه يسلى.

(1) قولها: فماسمعنا به، هكذا في الأصل وربما سقط شئ من الكلام في النقل أو الطبع.

3 شهيد العشق



حدثنا سويد بن سعيد أبو محمد قال:

سـمعت علي بن عاصم يقول: قال لي رجل من أهل الكوفة من بعض إخواني: ألا أريك فتى عاشقا ؟ قال: بلى، والله، فإني أسمع الناس ينكرون العشق وذهاب العقل فيه، وإني لأحب رؤيته، فعدني يوما أجئ معك فيه.

قال: فوعدته يوما فمضينا فأنشأ صاحبي يحدثني عن نسكه وعبادته، وما كان فيه من الاجتهاد، قلت: وبمن هو متعلق؟ قال بجارية لبعض أهله كان يختلف إليهم، فوقعت في نفسه، فسألهم أن يبيعوها منه، فأبوا، وبذل لهم جميع ملكه، وهو سبعمائة دينار، فأبوا عليه ضرارا وحسدا أن يكون مثلها في ملكه، فلما أبوا عليه، بعثت إليه الجارية، وكانت تحبه حبا شديدا: مرني بأمرك، والله لأطيعنك ولأنتهين إلى أمرك في كل ما أمرتني به. فأرسل إليها عليك بطاعة الله، عز وجل، فإن عليها المعول والسكون إليها، وبطاعة من يملك رقك، فإنها مضمومة إلى طاعة ربك، عز وجل، ودعي الفكر في أمري لعل الله، عز وجل، أن يجعل لنا فرجا يوما من الدهر، فوالله ما كنت بالذي تطيب نفسي بنيل شئ أحبه أبدا في ملكي، فأمنعه، أمد يدي إليه حراما بغير ثمن، ولكن أستعين بالله على أمري، فليكن هذا آخر مرسلك إلي، ولا تعودي فإني أكره والله أن يراني الله تعالى، وأنا في قبضته، متلمسا أمرا يكرهه مني، فعليك بتقوى الله، فإنها عصمة لأهل طاعته، وفيها سلو عن معصيته.

قال: ثم لزم الاجتهاد الشديد، ولبس الشعر وتوحد ، فكان لا يدخل منزله إلا من ليل إلى ليل، وهو مع ذلك مشغول القلب بذكرها ما يكاد يفارقه، فوالله ما زال الأمر به حتى قطعه، فهو الآن ذاهب العقل واله في منزله.

قـــال: ثـــم صـــرنا إلى الباب واستأذنا فأذن لنا. قال علي: فدخلت إلى دار قوراء[1] ســرية، وإذا أنـــا بشاب في وسط الدار على حصير متزر بإزار ومرتد بآخر. قال: فسلمنا علـيه، فلــم يرد علينا السلام، فجلسنا إلى جنبه، وإذا هو من أجمل من رأيت وجها، وهو مطـــرق ينكـــت[2] فـــي الأرض، ثم ينظر إلى ساعده، ثم يتنفس الصعداء، حتى أقول لقد خرجت نفسه، وهو مع ذلك كالخلال من شدة الضر الذي به.

قال: فالتفت، فإذا أنا بوردة حمراء مشدودة في عضده، قال: فقلت لصاحبي: ما هذه؟ فـــوالله ما رأيت العام وردا قبل هذه! فقال: أظن فلانة، وسماها، بعثت بها إليه، فلما سماها رفع رأسه فنظر إلينا ثم قال :

جعلـــت مـــــن وردتـــهـــا	**تمــــيمة فــــي عضــــــدي[3]**
أشـــــمها مـــــن حــــبها	**إذا علانـــــي كـــمـــــدي**
فـــمـــــن رأى مثلـــي فـتـــى	**بالحـــزن أضـــحى مــــرتدي**
أســـقمـــه الحــــب ، فـــقــــد	**صــــــار حلــــيف الأود[4]**
وصــــــار ســـهـــوا دهـــره	**مقارنــــــــــا للكمــــــــــد**

قـــال: ثـــم أطرق، فقلت: الساعة، والله يموت. قال علي بن عاصم: وورد علي من أمره ما لم أتمالك، وقمت أجر ردائي، فوالله ما بلغت الباب حتى سمعت الصراخ فقلت: ما

(1) قوراء: واسعة.
(2) ينكت: يضرب الأرض بشيء.
(3) تميمة: تعويذه.
(2) الأود: التعب.

هـذا؟ فقالوا: مات والله! قال علي: فقلت: والله لا أبرح حتى أشهده. قال: وتسامع الناس فجاؤوا بطبيب فقال: خذوا في أمر صاحبكم، فقد مضى لسبيله، فغسلوه وكفنوه ودفنوه، وانصرف الناس.

فقال لي صاحبي: امض بنا! فقلت: امض أنت فإني أريد الجلوس ههنا ساعة، فمضى، فما زلت أبكي وأعتبر به. وأذكر أهل محبة الله، عز وجل، وما هم فيه. قال: فبينا أنا على ذلك، إذا أنا بجارية قد أقبلت كأنها مهاة، وهي تكثر الالتفات، فقالت لي: يا هذا! أين دفن هذا الفتى؟ قال علي: فرأيت وجها ما رأيت قبله مثله، فأومأت إلى قبره؟ قال: فذهبت إليه، فوالله ما تركت على القبر كثير تراب إلا ألقته على رأسها، وجعلت تتمرغ فيه، حتى ظننت أنها ستموت، فما كان بأسرع من أن طلع قوم يسعون حتى جاؤوا إليها، فأخذوها، وجعلوا يضربونها، فقمت إليهم فقلت: رفقا بها، يرحمكم الله! فقالت: دعهم أيها الرجل يبلغوا همتهم، فوالله لا انتفعوا بي بعده أيام حياتي، فليصنعوا بي ما شاؤوا.

قال علي: فإذا هي التي كان يحبها الفتى، فانصرفت وتركتها.



4 سارق أم عاشق



كان لعمرو بن دويرة السحمي أخ قد كلف بابنة عم له كلفا شديدا، وكان أبوها يكره ذلك ويأباه، فشكا إلى خالد بن عبد الله القسري، وهو أمير العراق، أنه يسئ جواره، فحبسه، فسئل خالد في أمر الفتى، فأطلقه، فلبث الفتى مدة كافا عن ابنة عمه، ثم زاد ما في قلبه وغلب عليه الحب، فحمل نفسه على أن تسور الجدار إليها، وحصل معها الفتى، فأحس به أبوها، فقبض عليه، وأتى به خالد بن عبدالله القسري وادعى عليه السرق، وأتاه بجماعة

يشـــهدون أنهم وجدوه في منزله ليلا، وقد دخل دخول السراق، فسأل خالد الفتى، فاعترف بأنه دخل ليسرق، ليدفع بذلك الفضيحة عن ابنة عمه، مع أنه لم يسرق شيئا، فأراد خالد أن يقطعه، فرفع عمرو أخوه إلى خالد رقعة فيها:

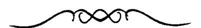
أخـــالد ! قـــد والله أوطئـــت عشـــوة، ومـــا العاشق المظلـــوم فينا بسارق[1]

أقـــر بما لـــــم يأته المـــرء ، إنـــه رأى القطـــع خـــيرا مـــن فضيحة عاتق[2]

ولـــولا الـــذي قـــــد خفت من قطع كفه لألفيت فـــي أمـــر لهم غيـــر ناطق

إذا مـــدت الغايـــات فـــي السـبق للعلى، فأنـــت ابـــن عـــبدالله أول ســـابق

وأرســـل خالد مولى لـــه يسأل عن الخبر، ويتجسس عن جلية الأمر، فأتاه بتصحيح مـــا قـــال عمرو في شعره، فأحضر الجارية وأخذ بتزويجها من الفتى، فامتنع أبوها وقال: لـــيس هو بكفؤ لها. قال: بلى! والله إنه لكفؤ لها إذ بذل يده عنها، ولئن لم تزوجها لأزوجنه إياهـــا وأنـــت كاره. فزوجه، وساق خالد المهر عنه، من ماله، فكان يسمى العاشق إلى أن مات.



(1) العشوة: ركوب الأمر على غير بيان.
(2) العاتق: الجارية أول ما أدركت.



5 عشـق العشـق

روى أبو روق الهراني عن الرياشي أن بعض أهل البصرة اشترى صبية، فأحسن تأديبها وتعليمها، وأحبها كل المحبة، وأنفق عليها حتى أملق، ومسه الضر الشديد، فقالت الجارية: إني لأرثي لك يا مولاي، مما أرى بك من سوء الحال، فلو بعتني واتسعت بثمني، فلعل الله أن يصنع لك وأقع أنا بحيث يحسن حالي، فيكون ذلك أصلح لكل واحد منا.

قال: فحملها إلى السوق، فعرضت على عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، وهو أمير البصرة يومئذ، فأعجبته، فاشتراها بمائة ألف درهم، فلما قبض المولى الثمن، وأراد الانصراف، استعبر كل واحد منهما لصاحبه باكيا، وأنشأت الجارية تقول:

هنيئا لك المال الذي قد حويته، … ولم يبق في كفي غير التذكر

أقول لنفسي، وهي في عيش كربة: … أقلي، فقد بان الحبيب أو اكثري

إذا لم يكن للأمر عندك حيلة، … ولم تجدي شيئا سوى الصبر فاصبري

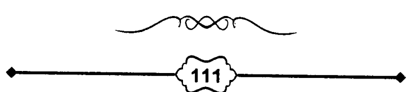
واشتد بكاء المولى، ثم أنشأ يقول:

فلولا قعود الدهر بي عنك لم يكن … يفرقنا شيء سوى الموت، فاصبري

أروح بهم في الفؤاد مبرح، … أناجي به قلبا طويل التفكر

عليك سلام، لا زيارة بيننا، … ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمر

فقال له ابن معمر: قد شئت، خذها، ولك المال، فانصرفا راشدين، فوالله لا كنت سببا لفرقة محبين.



6 الحجر الدائر

كـــان مـــن حديث جار كرز الربابي، و الرباب بنو عبد مناة، أن أباه كان رجلا من طابخة، يقال له حباب، وكان شجاعا فاتكا، وأنه قتل رجلا من بني حباب بن هبل بن كلب بن وبـــرة، فرهـــنهم بالدية امرأته وابنه حية، وهو صغير، وخرج حباب في جمع الدية ، فهلك، وبقيـــت امرأته وابنه في يدي كلب، وشب ابنه حية، فشب أحسن فتى في العرب وأوضأهم، فعلق جارية من جواري الحي، وعلقته، وفسدت به فسادا شديدا، حتى جلس نسوة من كلب، ذات ليلة، يلعبن، ويتذاكرن الشراب، ففطن به، وسمعت بذلك كلب، وكان قد علق فتاه منهم، فطلبته كلب، فخرج هاربا، فأدركه أخوها، فرماه حية، فقتله، وانطلق، فلحق بقوم من بلقين، فاستجار بهم، فأجاروه، فعاث في نسائهم، وعلقته امرأة منهم، فطلبته بلقين، فأعجزهم، وهرب حتى أتى أمه ليلا، فقالت ويلك إن القوم قاتلوك. فقال: والله ما أجد مذهبا.

قـــال: وأخفـــته وذكرت ذلك لظئر لها، هو أخو ابن لها أرضعته، فقالت: أرسليه، فأرسلته إليها، فأخذته فخيطت عليه عباءة، فجعلته كهيئة الكرز[1]، ثم طرحته بفناء بيتها، حـــتى مر بها عدي بن أوس الكلبي، فقالت: يا عدي! إني قد أردت أن أظعن، وإني أريد أن تجير لي كرزي هذا، وما فيه. قال: قد أجرته، وأمر به فحمل إلى بيته، فلما نظر إلى الكـــرز أنكره، ففتشه، فإذا فيه حية، فقال: لا أنعم الله بك عينا، ولكن أجاره وبرز، فقالت لـــه أمـــه ويلك مهلا عن نساء الحي! فلم يلتفت إليها ، ورأته ابنة عدي، فعلقته، وعلقها، فمكث بذلك مدة، وعدي لا يعلم، فقال:

مـــا زلـــت أطـــوي الحـــي أســـمع حسهم، حـــتى وقعـــت علـــى ربيـــبة هـــودج

---

(1) الكرز: الجوالق الصغير.

فوضعت كفي عند مقطع خصرها، فتنفست بهرا، ولما تنهج[1]

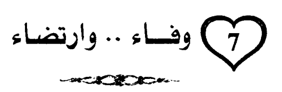
وتناولت رأسي لتعرف مسه، بمخضب الأطراف غير مشنج

قالت: وعيش أبي ونعمة والدي، لأنبهن الحي إن لم تخرج

فخرجت خيفة أهلها ، فتبسمت، فعلمت أن يمينها لم تحرج

قال: فلما بلغ عدي بن أوس الخبر، وأنشد الشعر، أمر به فربط، ثم أخرج إلى خارج البيوت فقتل.

(1) البهر: انقطاع النفس تنهج: تبين وتوضح.



وفاء .. وارتضاء

كان الحسن بن سابور رجلا له عقل ودين، فأعجب بفتاة من الحي ذات عقل ودين، قال: فأرسل إليها هذه الأبيات:

فديتك هل إلى وصل سبيل، وهل لك في شفا بدن عليل
فعندك منيتي وشفاء سقمي، فداويني ، فديتك ، من غليلي

فلما وصل الرسول إليها عذلته، وقالت: ما هذا ؟ أو يكتب إلى النساء بمثل هذا؟ وكتبت إله كتابا تضعف من رأيه وتوبخه وتأمره بالكف عن ذلك، فيه:

ألا يا أيها النضو المعني! رويدك في الهوى رفقا قليلا
لنا رب يعذب من عصاه ويسكن ذا التقي ظلا ظليلا

وكان موسرا، فضمن لها أنه يدفع إليها ماله. فقالت للرسول: لا حاجة لي في ذلك ولا إليه سبيل. قال: وكيف ذاك؟ قالت: ويحك إني كنت عاهدت ابن عمي إن مات أن لا أتزوج بعده، وذلك أنه نظر إلي نظرة أنكرتها ودمعت عيناه، وأنشأ يقول:

كأني بالتراب يهال طرا على بدني ، وتندبني نسايا
وأصبح رهن موحشة دفينا، وبنت ، وقطعت منكم عرايا
وينساني الحبيب لفقد وجهي، ويحدث مؤنسا أيضا سوايا



قالـــت: فقلت لـــه: كأنك تعرض بي؟ فقال: ومن في العالم أخشى عليه هذا غيرك؟ قالت: فأجبته، فقلت :

ألا طـــب أيهـــا المحـــزون نفســـا، فإنـــــي لا أخونـــــك فـــــي ودادي

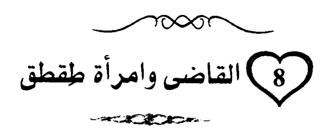
ولا أبغـــي ســـواك معـــي أنيســـا، ولا يـــنحاش بعـــدك لـــي فـــؤادي

قالـــت: فقال لي: أوتفين بهذا لي؟ قالت: فقلت: اي والله لا أخونك أبدا، وحاشاك من قولك! فأنشأ يقول:

وإنـــي لا أخونـــك بعـــد هـــذا، ولـــم أنقـــض علـــى حـــدث عهـــودي

ولا أبغـــي ســـواك، الدهـــر، إنـــي علـــى بـــذاك شاهـــدة شـــهـــودي

قالت: فرضيت بذلك منه ورضى به مني، فعاجلته أقدار الله تعالى، فصار إليه، وما كنـــت لأنقـــض عهده أبدا، فقل لصاحبك أن يقبل على شأنه ويدع ذكر ما لا يتم ولا يكون. قال: فرجعت إليه، فأخبرته ما قالت، وحدثته بالقصة فأمسك عنها.



8 القاضي وامرأة طقطق

كـــان حمدان البرتي على قضاء الشرقية، فقدمت امرأة طقطق الكوفي زوجها إليه، وادعـــت عليه مهرا أربعة آلاف درهم، فسأله القاضي عما ذكرت، فقال أعز الله القاضي، مهـــرها عشـــرة دراهم. فقال لها البرتي: أسفري، فسفرت حتى انكشف صدرها، فلما رأى ذلـــك قـــال لطقطـــق: ويحك! مثل هذا الوجه يستأهل أربعة آلاف دينار ليس أربعة آلاف

درهم،ثم التفت إلى كاتبه، فقال له: ما في الدنيا أحسن من هذا الشذر[1] على هذا النحر.

فقال له طقطق: فديتك إن كانت قد وقعت في قلبك طلقتها. فقال لـــه البرتي: تهددها بـــالطلاق، وقد قال الله عز وجل: فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها، وإن ههنا ألفا ممن يتزوجها. فقال طقطق: فإني، والله، ما قضيت وطري منها، وأنا طقطق لست بزيد.

فأقبل البرتي على المرأة، فقال: يا حبيبتي! ما أدري كيف كان صبرك على مباضعة هذا البغيض، ثم أنشأ يقول:

تـــــربص بهـــا ريـــب المنـــــون، لعلها   تطلـــق يومـــا، أو يمـــــوت حلـــيلها

فقام طقطق، وتعلق به وصيف غلام البرتي، فصاح به: دعه يذهب عنا إلى سقر، ثم قال لها إن لم يصر لك إلى ما تريدين فصيري إلى امرأة وصيف حتى تعلمني، وأضعه في الحبس.

وكتب صاحب الخبر ما كان، فعلق به البرتي، وصانعه على خمسمائة دينار على أن لا يرفع الخبر بعينه، ولكن يكتب أن عجوزا خاصمت زوجها، فاستغاثت بالقاضي، فقال لها: ما أصنع يا حبيبتي! هو حكم ولابد أن أقضي بالحق.

وانصـــرف البرتـــي متيما، فما زال مدنفا يبكي ويهيم فوق السطوح، ويقول الشعر، فكان مما يقول:

واحســـرتي علـــــى مـــا مضـــى،   ليتنـــي لـــم أعـــرف القضـــا

أحببـــت أمـــــرا وخفـــت الله حقـــا   فمـــاتـــم حـــتـــى انـــقـــضـــى

وغير ذلك من شعر لا وزن له ولا روي إلا أنه ارعوي ورجع.

(1) الشذر: اللؤلؤ الصغير.

9 ادعـــاء قـديـم

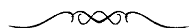
كان عمرو بن قمية البكري من أحب الناس إلى مرثد بن قيس بن ثعلبة، وكان يجمع بيـــنه وبيـــن امرأته على طعامه، وكانت إصبع قدم عمرو الوسطى والتي تليها ملصقتين، فخرج مرثد ذات يوم يضرب بالقداح، فأرسلت امرأته إلى عمرو أن عمك يدعوك، فجاءت به من وراء البيوت، فلما دخل عليها، لم يجد عمه، وأنكر شأنها، فأرادته على نفسه، فقال: لقـــد جئـــت بأمـــر عظيم. فقالت: أما لتفعلن أو لأسوءنك. فقال للمساءة ما دعوتني. ثم قام فخـــرج، وأمـــرت بجفنة، فكفئت على أثر قدمه، فلما رجع مرثد وجدها متغضبة، فقال: ما شـــأنك؟ قالت: رجل قريب القرابة منك جاءني يسومني نفسي. قال: من هو؟ قالت: أما أنا فـــلا أسميه، وهذا أثر قدمه، فعرف مرثد أثر عمرو. فأعرض عنه، وعرف عمرو من أين أتى، فقال في ذلك:

لعمـــرك! مـــا نفســـي بجـــد رشـيـدة، ... تؤامرنـــي ســـرا لأصـــرم مـــــرثدا

عظـــيم رمـــــاد القـــدر، لا متعـــبس، ... ولا مؤيـــس مـــنها، إذا هـــو أخمـــدا

فقـــد أظهـــرت مـــنـــه بـــــوائق جمة، ... وأفـــرغ فـــي لومـــي مـــرارا وأصـــعدا

علـــى غـــير ذنـــب أن أكـــون جنيـــته، ... ســـــوى قـــــول بـــاغ جاهد فتجهدا





10 عاشق زوجة أخيه

كان في الجاهلية أخوان من حي يدعون بني كنه، أحدهما متزوج، والآخر عزب، فقضى أن المتزوج خرج في بعض ما يخرج الناس فيه، وبقى الآخر مع امرأة أخيه، فخرجت ذات يوم، حاسرة، فرآها أحسن الناس وجها وثغرا، فلما علمت أن قد رآها، ولولت وصاحت وغطت بمعصمها وجهها. قال القاضي: المعصم موضع السوار، فزاده ذلك فتنة، فحمل الشوق على بدنه، حتى لم يبق إلا رأسه وعيناه تدوران فيه.

وقدم الأخ، فقال: يا أخي! ما الذي أرى بك؟ فاعتل عليه، وقال: الشوصة، والشوصة تسميها العرب اللوي وذات الجنب. فقال له ابن عمر [1]: لا تكذبنه، ابعث إلى الحارث بن كلدة، فإنه من أطب العرب، فجئ به، فلمس عروقه فإذا ساكنها ساكن، وضاربها ضارب، فقال: ما بأخيك إلا العشق. فقال: سبحان الله تقول: هذا الرجل ميت؟ فقال: هو كذلك، أعندكم شئ من الشراب؟ فجئ به ثم دعا بمسعط، فصب فيه من الشراب، وحل صرة من صرره فذر فيه، ثم سقاه الثانية، ثم الثالثة، فانتشى يغني:

يهيج ما يهيج ويذكر	أيها القلب الحزين ما يكنه
ألما بي على الأبيا	ت من خيف أزرهنه
غزالا ما رأيت اليو	م في دور بني كنه
غزال أحور العين،	وفي منطقه غنه

(1) لم تتقدم فى النص إشارة إلى ابن عمر هذا، ومثله القاضى.



قـال القاضي: البيت الأول من هذه الأبيات مضطرب، ورأى بعض من رواه كسره وأخل ببنائه و نظمه لأنه لم يكن له علم بوزن الشعر و ترتيبه.

فقال الرجل: هذه دور قومنا، فليت شعري من ؟ فقال الحارث: ليس فيه مستمتع غير هـذا الـيوم، ولكن أغدو عليكم من الغد، ففعل به كفعله بالأمس، فانتشى يغني سكرا، واسم امرأة أخيه ريا، فقال:

أيهـا الحـي فاسـلمـوا، كـي تحـيـوا وتكـرمـوا

خرجـت مـزنة مـن الـبحر ريـا تحمحـم

لـم تكـن كنتـي وتـزعم أنـي لهـا حمـو

فقـال الرجل لمن حضره: أشهدكم أنها طالق ثلاثا، ليرجع إلى أخي فؤاده، فإن المرأة توجد، والأخ لا يوجد. فجاء الناس يقولون لـه: هنيئا لك أبا فلان، فإن فلانا قد نزل لك عن فلانة. فقال لمن حضر: أشهدكم أنها علي مثل أمي إن تزوجتها.

قال عبد الله بن عثمان: قال المفضل: قال ابن سيرين: قال عبيدة السلماني: ما أدري أي الرجلين أكرم الأول أم الآخر.



هـارب بعشـقـه

عن قريبة قالت:

كان لعبد المخبل وهو كعب بن مالك، وقال غير قريبة: هو كعب ابن عبد الله من بنـي لأي بن شاس بن أنف الناقة وهو من أهل الحجاز، ابنة عم لـه يقال لها أم عمرو،



وكانت أحب الناس إليه، فخلا بها ذات يوم، فنظر إليها وهي واضعة ثيابها فقال لها: يا أم عمـــرو! هـــل ترين أن أحدا من النساء أحسن منك؟ قالت: نعم! أختي ميلاء أحسن مني. قـــال: فكيف لي أن ترينيها؟ قالت: إن علمت بك لم تخرج إليك. ولكن تختبئ في الستر، وأبعث إليها.

قـــال: ففعلت، وأرسلت إليها، وهو في الستر، وجاءت ميلاء، فلما نظر إليها عشقها وتـــرك أختها امرأته، وعارضها من مكان لا تحتسبه، فشكا إليها حبها، وأعلمها أنه رآها. فقالـــت: والله يا ابن عم! ما وجدت بي من شئ، إلا قد وجدت منك مثله، وظنت أم عمرو امـــرأته أنه قد عشق أختها فتبعتهما، وهما لا يدريان، حتى رأتهما قاعدين جميعا، فمضت تقصـــد إخوتهـــا، وكانوا سبعة، فقالت: إما أن تزوجوا كعبا ميلاء، وإما تغيبوها عني. فلما بلغه أن ذلك قد بلغ إخوتها هرب، فرمى بنفسه نحو الشام وترك الحجاز. وقال وهو بالشام:

أفـــي كـــل يـــوم أنـــت مـــن بارح الهوى ... إلـــى الشـــم مـــن أعـــلام مـــيلاء ناظر[1]

فـــروى هـــذا البيـــت رجل من أهل الشام. ثم خرج يريد مكة فمر على أم عمرو وأخـــتها مـــيلاء، وقد ضل الطريق، فسلم عليهما، وسألهما الطريق. فقالت أم عمرو: يا ميلاء! صفي له الطريق، فذكر الرجل لما سمعها تقول يا ميلاء:

أفـــي كل يـــوم أنت من بارح الهوى ... إلـــى الشـــم مـــن أعـــلام ميلاء ناظر

فتمـــثل به فعرفت الشعر، فقالت: يا عبد الله! من أين أنت؟ قال: أنا رجل من أهل الشام، فقالت: فمن أين رويت هذا الشعر؟ قال: رويته عن أعرابي بالشام. قالت: أوتدري مـــا اسمه؟ قال: اسمه كعب. قال: فأقسمتا عليه أن لا يبرح حتى يراك إخوتنا، فيكرموك، ويدلـــوك علـــى الطريق، فقد أنعمت علينا. فقال: إني لأروي لـــه شعرا آخر، فما أدري

(1) الأعلام: الجبال، الواحد علم.

أتعرفانه أم لا ؟ فقالتا: نسألك بالله إلا أسمعتنا إياه؟ قال: سمعته يقول:

خليلـــــي! قـد رزت الأمـــور وقستها، بنفســـى وبلغتـــيان كـــل مكــــان

فلـم أخـف يومـا للرفـيق ولـم أجـد خلـــيا ولا ذا البـــث يســـتويان

مـــن الـــناس إنســـانان، دينـــي علـــيهما مليـان لـــولا الـــناس قـــد قضـــياني

مـــنوعان، ظلامــــان، مـــا ينصفانـــني، بدلـــيهما والحســـن قـــد خلبانـــي

يطيلان حتـــى يحســـب الناس أنتـــي قضـــيت، ولا والله مـــا قضـــيانى

خليلـــي! أمـــا أم عمـــرو فمـــنهما وأمـــا عـــن الأخـــرى، فـــلا تســـلاني

بليـــنا بهجـــران، ولـــم يـــر مثلـــنا مـــن الـــناس إنســـانان يهـــتجران

أشـــد مصـــافاة وأبعـــد مـــن قلـــي وأعصـــى لـــواش حيـــن يكتـــنفان

يبيـــن طـــرفانا الـــذي في نفوسنا، إذا استعجمت بالمـــنطق الشـــفتان

فـــوالله مـــا أدري أكـــل ذوي الهوى علـــى شـــكلنا، أم نحـــن مبتلـــيان

فـــلا تعجـــبا ممـــا بي اليوم من هوى، ففـــي كل يـــوم مثل مـــا تريان

خليلـــي! عـــن أي الـــذي كـــان بينـــنا مـــن الوصـــل أو ماضـــي الهـــوى تسلان

وكـــنا كـــريمى معشـــر حـــم بينـــنا هـــــوى ، فحفظـــناه بحسن صيان

نـــذود الـــنفوس الحائمـــات عـــن الهوى وهـــن بأعـــناق إليـــه ثـــوان

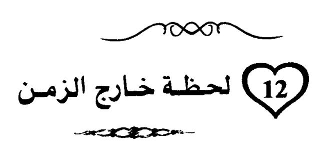
ســـلاه بـــأم العمـــر مـــنه، فقـــد بـــرا بـــه الســـقم لا يخفـــي وطـــول ضـــمان

فمـــا زادنـــا بعـــد المدى نقض مرة، ولا رجعـــنا مـــن علمـــنا ببـــيان

خليلـــي! لا والله مـــا لـــي بـــالذي تـــريدان مـــن هجـــر الصـــديق يـــدان

ولا لـــي بالهجـــر اعـــتلاء، إذا بـــدا كمـــا أنـــتما بالبيـــن معتلـــيان

قـــال: فـــنزل الـــرجل وحط رحله حتى جاءت إخوتهما فأخبرتاهم الخبر، وكانتا مهتمتين بكعب، وذلك أنه كان ابن عمهم، وكان ظريفا شاعرا، فأكرموا الرجل ودلوه على الطريق، وخرجوا، فطلبوا كعبا بالشام، فوجدوه، فأقبلوا به، حتى إذا صار إلى بلدهم نزل كعـــب في بيت ناحية من الحي فرأى ناسا قد اجتمعوا عن البيوت، فقال كعب لغلام قائم، وكـــان قـــد تـــرك بنيا له صغيرا: يا غلام من أبوك؟ قال: أبي كعب. قال: فعلام يجتمع الـــناس؟ وأحـــس فؤاد كعب بشر. قال: يجتمعون على خالتي ميلاء، ماتت الساعة. قال: فزفر زفرة خر منها ميتاً، فدفن إلى جانب قبرها.



12 لحظـة خـارج الزمـن



خرجـــت أنا وصاحب لي نبغي ضالة لنا، فألجأنا الحر إلى أخبية، فدنونا من خباء منها، فإذا عجوز بفنائه، فسلمنا، فردت السلام، ثم جلسنا نتناشد الأشعار. فقالت العجوز: هل فيكم من يروي لذي الرمة شيئا؟ قلنا: نعم! قالت: قاتله الله حيث يقول:

ومـــا زال ينمـــي حب ميـــة عندنـــا ويـــزداد حـــتـــى لـــم نجد مـــا يزيدها

ثم ولت، واطلعت علينا من الخباء بهكنة[1] كأنها شقة قمر، فقالت: إنها والله ما قالت

(1) البهكنة: المرأة الضخمة.

شيئا وإن أشعر منه الذي يقول:

ورخصة الأطراف ممكورة — تحسبها من حسنها لؤلؤه[1]

كأنها بيضة أدحية، — أرخى عليها هقلها جؤجؤه[2]

قال: فأقبلت على صاحبي متعجبا من حالها، فقالت: مم تعجب؟ فقلت: من جمالك. قالت: فوالله لو رأيت بنية لي رأيت ما لم يخطر على قلبك من حسن امرأة. قلت: فأرينيها! قالت: إنه يقبح ذلك. قلت: إنما نريد أن نستتم الحديث، ولعلنا أن لا نلتقي أبدا.

قال: فأشارت إلى جانب الخباء، فسفرت منه جارية كأنها الشمس فبهتنا ننظر إليها ثم أسبلت الستر، فكان آخر العهد بها.



13 لقاء هناك

علق فتى من الحي بنت عم له، فخطبها إلى أبيها، فرغب بها عنه، فبلغ ذلك الجارية، فأرسلت إليه: قد بلغني حبك إياي، وقد أحببتك لذلك لا لغيره، فإن شئت خرجت إليك بغير علم أهلي، وإن شئت سهلت لك المجئ. فأرسل إليها: كل ذلك لا حاجة لي فيه، إني أخاف أن يلقيني حبك في نار لا تطفأ وعذاب لا ينقطع أبدا. فلما جاءها الرسول بكت، ثم قالت: لا أراك راهبا، والله ، ما أحد أولى بهذا الأمر من أحد، إن الخلق في الوعد والوعيد مشتركون.

---

(1) الممكورة: المطوية الخلق من النساء.

(2) الأدحية: مبيض النعام الهقل: الفتى من النعام جؤجؤة: صدره.

قال فتدرعت الشعر[1] وأقبلت على العبادة، فكبر ذلك على أهلها وعلى أبيها، فلم تزل تتعبد حتى ماتت. فكان الفتى يأتي قبرها كل ليلة، فيدعو لها ويستغفر وينصرف. فأخبرنا أنه رآها في المنام فقال لها: فلانة ؟ قالت : نعم، ثم قالت:

نعـم المحـبة، يـا سـؤلي ، محبـتكم، حـب يجـر إلـى خـير وإحسان

إلـى نعـيم وعـيش لا زوال لـه، فـي جـنة الخلـد خلـد لـيس بالفانـي

قـال: فقلت لها: أيتها الحبيبة، أفتذكريني هناك؟ قال: فقالت : والله إني لأتمناك على مـولاي ومـولاك، فأعني على نفسك بطاعته، فلعله يجمع بيني وبينك في داره، ثم ولت، فقلت لها: متى أراك؟ قالت: تراني قريبا إن شاء الله. قال: فلم يلبث الفتى بعد هذه الرؤيا إلا قليلا حتى مات فدفن إلى جانبها.



14 ضحيـة الـوفـاء

الأصـمعي قـال: مررت أنا وصاحب لي بجارية عند قبر، لم أر أحسن ولا أجمل منها، وعلـيها ثـياب نظـيفة وحلي كثيرة، وهي تبكي على القبر، فلم نزل نتعجب من جمالها وزينتها وحزنها، فقلت: يا هذه! علام هذا الحزن الشديد ؟ فبكت، ثم أنشأت تقول:

فـلا تسـألاني فـيم حزنـي، فإننـي رهيـنة هـذا القـبر يـا فتيان

وإنـي لأسـتحييه والـترب بينـنا، كمـا كنـت أسـتحييه حيـن يرانـي

---

(1) تدرعت الشعر: لبست درعا من الشعر، والدرع: ثوب تلبسه المرأة في بيتها.

فعجبنا منها ومن ظرفها وجمالها، واستحينا منها، فتقدمنا قليلا، ثم جلسنا نسمع ما تقول، ولا ترانا، ولا تعلم بنا، فسمعناها تقول:

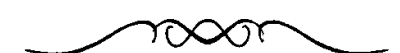
يا صاحب القبر يا من كان يؤنسني وكان يكثر في الدنيا مؤاتاتي

قد زرت قبرك في حليي وفي حللي كأنني لست من أهل المصيبات

لزمت ما كنت تهوى أن تراه وما قد كنت تألفه من كل هيئاتي

فمن رآني رأى عبري مولهة، مشهورة الزي تبكي بين أمواتِ

فلم نزل قعودا حتى انصرفت واتبعناها، حتى عرفنا موضعها، ومن هي، فلما خرجت إلى هارون الرشيد قال لي: يا أصمعي! ما أعجب ما رأيت بالبصرة؟ فأخبرته خبرها، فكتب إلى صاحب البصرة أن يمهرها عشرة آلاف وتجهز وتحمل إليه، فحملت إلى هارون، وقد سقمت حزنا على الميت، فلما وصلت إلى المداين ماتت، فقلما ذكرها هارون إلا دمعت عيناه.



15 عــروســـــان

سمعت مصعبا يقول: قرأت على لوحين على قبرين:

أمغطـــي منـــي علـــى بصـــري في الحبـــ ـــــــب أم أنـــت أكمـــل الـــناس حســـنا

وحديـــــث ألـــــــذه هـــــــو ممـــــــا ينعـــت الناعـــتون يـــــوزن وزنــــــا

ورأيـــت امرأة عند القبرين، وهي تقول: بأبي لم تمتعك الدنيا من لذتها، ولم تساعدك الأقـــدار على ما تهوى، فأوقرتني كمدا، فصرت مطية للأحزان، فليت شعري كيف وجدت مقيلك، وماذا قلت وقيل لك؟ ثم قالت:استودعتك من وهبك لي، ثم سلبني أسر ما كنت بك.

فقلـــت لهـــا: يا أمة! ارضي بقضاء الله، عز وجل، وسلمي لأمره! فقالت: هاه نعم! فجـــزاك الله خـــيرا، لا حرمني الله أجرك، ولا فتنني بفراقك. فقلت لها: من هذا ؟ فقالت: ابنـــي، وهذه ابنة عمه، كان مسمى بها وهي صغيرة، فليلة زفت إليه أخذها وجع أتى على نفسها فقضت فانصدع قلب ابني فلحقت روحه روحها فدفنتهما في ساعة واحدة. فقلت: فمن كتـــب هـــذا على القبرين؟ قالت: أنا. قلت: وكيف؟ قالت: كان كثيرا ما يتمثل بهذين البيتين فحفظتهما لكثرة تلاوته لهما، فقلت: ممن أنت؟ قالت: فزارية. قلت: ومن قائلها: قالت: كريم ابـــن كـــريم، سخي ابن سخي، شجاع ابن بطل،صاحب رئاسة. قلت: من؟ قالت: مالك بن أسماء بن خارجة ابن حصن يقولهما في امرأته حبيبة بنت أبي جندب الأنصاري. ثم قالت: وهو الذي يقول:

يـــــا مـــنزل الغيـــث بعدمـــــا قـــنطوا، ويـــــا ولـــــي الـــــنعماء والمنــــــن

يكـــون مـــــا شـــئت أن يكـــون ومـــــا قـــــدرت أن لا يكـــــون لـــــم يكــــن

لـو شـئت إذ كـان حـبها غرضـا، لـم ترنـي وجههـا، ولـم ترنـي

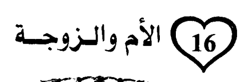
يـا جـارة الحـي كنـت لـي سـكنا، إذ لـيس بعـض الجـيران بالسـكن

أذكـر مـن جارتـي ومجلسها طـرائفا مـن حديـثها الحسـن

ومـن حـديـث يزيدني مقة، مـا لحديث الموموق مـن ثمـن

قـال: فكتبـتها، ثم قامت مولية، فقالت: شغلتني عما إليه قصدت لتسكين ما بي من الأحزان.





16 الأم والـزوجـة

التقى صخر بن عمرو بن الشريد السلمي ورجل من بني أسد، فطعن الرجل صخرا، فقـيل لصـخر: كيف طعنك ؟ قال: كان رمحه أطول من رمحي بأنبوب فضمن[1] صخر مـنها، وطـال مرضه، وكانت أمه إذا سئلت عنه، قالت: نحن بخير ما رأينا سواده بيننا، وكانت امرأته إذا سئلت عنه، قالت: لا هو حي فيرجى، ولا هو ميت فينعى، فقال صخر:

أرى أم صـخـر لا تمـل عيادتـي وملـت سـليمى مضـجعي ومكانـي

إذا مـا امـرؤ سـوى بـأم حلـيلة، فـلا عـاش إلا فـي شقا وهـوان

لعمـري لقـد أيقظـت مـن كـان نائما، وأسـمعت مـن كانت لـه أذنان

(1) ضمن منها: مرض.

بصـــيرا بوجـــه الحـــزم لـــو يســـتطيعه، وقـــد حـــيل بيـــن العـــير والـــنزوان[1]

قـــال المعافي بن زكريا ويروي: أهم بأمر الحزم لو أستطيعه. وقول أم صخر: ما رأينا سواده أي شخصه. قال الشاعر: بين المخازم[2] يرتقبن سوادي، أي شخصي.

17 اسلم حُبيْش

نشأ فينا غلام يقال له عبد الله بن علقمة، وكان جميلا، فهوى جارية من غير فخذه، يقـــال لها حبيشة، فكان يأتيها ، ويتحدث إليها. قال: فخرج ذات يوم من عندها، ومعه أمه، فرأى في طريقه ظبية على رابية، فأنشأ يقول:

يـــا أمـــنـــا خبـــريـــنا، غـــيـــر كاذبـــة، ولا تشـــوبـــي ســـؤول الخـــير بـــالكذب

حبـــيش أحســـــن أم ظبـــي برابـــية، لا بـــل حبيشـــة مـــن در ومـــن ذهب

ثم انصرف من عندها مرة أخرى، فأصابته السماء، فأنشأ يقول:

ومــــا أدري، إذا أبصـــرت يومـــــا، أصـــــوب القطـــر أحســـن أم حبـــيش

حبـــيش ، والــــذي خلـــــق الـــبرايا علـــى أن لـــيس عـــند حبـــيش عـــيش

---

(1) حيل بين البعير والنزوان : مثل يراد به أنه صار عاجزا عن الأمر الذي يريده.

(2) المخازم: الطرق في الجبال، الواحدة مخزم.

فلما كثر ذلك منه وشهر بها، قال قومه لأمه: إن هذا الغلام يتيم، وإن أهل هذه المرأة يرغـبون بأنفسهم عنكم، فانظري جارية من قومك ممن لا تمتنع عليك، فزينيها واعرضيها عليه لعله يتعلقها ويسلى، ففعلت، وحضرها نساؤها، فجعلوا يعرضون عليه نساء الحي، ثم يقولـون له: يا عبد الله! كيف ترى؟ فيقول: إيها، والله حسناء، إلى إن قال قائل: أهي أحسن أم حبيشة؟ فقال: مرعى ولا كالسعدان(1).

فلمـا يئسـوا من أن ينصرف عنها، قال بعضهم لبعض: عليكم بحبيشة،وطمعوا أن يـأتوا الأمر من قبلها، فقالوا: والله لئن أتاك، لا تزرين به، وتتجهمينه، وتقولين لـه: أنت أبغض الناس إلي، فلا تقربني، ونحن بمرآى منك ومسمع،ليفعلن بك ما يسوءك، فأتاها، فلم تكلمـه بشـئ ممـا قالوا، ولم تزد أن نظرت إليه، ونظر إليها، ثم أرسلت عينيها بالبكى، فانصرف عنها، وهو يقول:

ومـا كـان حبـي عـن نوال بذلته ... وليس بمسلـي التجهـم والهجـر

سـوى أن دائـي منـك داء مـودة، ... قديمـا، ولـم يمـزج كمـا تمـزج الخمر

ومـا أنـس مـل أشـياء لا أنس دمعها ... ونظـرتها حتـى يغيبني القبـر

فبيـنما هما على أشد ما كانا عليه من الهوى والصبوة، إذ هجم عليهم جيش خالد بن الوليد يوم الغميصاء، فأخذ الغلام رجل من أصحاب خالد، فأراد قتله، فقال له: ألمم بي أهل تلك البيوت أقضي إليهن حاجة، ثم افعل ما بدا لك.

قـال: فأقبلـت به حتى انتهى إلى خيمة منها، فقال: إسلم حبيش بعد انقطاع العيش، فأجابـته فقالـت: سـلمت وحياك الله عشرا، وتسعا وترا، وثلاثا تترى، فلم أر مثلك يقتل صبرا. وخرجت تشتد، وعليها خمار أسود، وقد لاثته على رأسها، وكان وجهها مثل القمر ليلة البدر، فقال حين نظر إليها:

---

(1) مرعى ولا كالسعدان: مثل من أمثال العرب أراد به هنا أن كل النسوة جميل ولكنهن لسن كحبيشة. والسعدان نبت له شوك وهو من أفضل ما ترعاه الإبل.

أريتك إن طالبتكـــــم فـــــوجدتكم ... بـــبرزة، أو إن لـــم تفتنـــي الخـــرانق[1]

أمـــا كـــان حقـــا أن يـــنول عاشـــق ... تكلـــف إدلاج الســـرى وهـــو راهـــق[2]

فإنـــي لا ســـرا لـــدي أضـــعته ... ولا راق عينـــي بعـــــد وجهك رائق

18 لوعة الفقد ونومة الفهد

مـــرض أعرابي من بني نمير يقال له: حنيف بن مساور، وكانت له امرأة من قومه يقال لها زُرعة بنت الأسود، وكان لها محبا. فلما اشتد وجعه جلست عند رأسه، فأنشأ يقول:

يـــا زرع دومـــي واحفظـــي لـــي عهدي، ... كـــم مـــن منـــير بينـــنا مســـدي[3]

وكاشـــح يـــازرع، بـــادي الحقـــد، ... يـــا زرع إن وسدتنـــي فـــي لحـــدي

وجـــاءك الخاطـــب بعـــد الوفـــد ... وقلـــت : عـــبد بـــدل مـــن عبـــد

فنصـــك الله بفـــذ وعـــد ... يـــنام فـــي بيـــتك نـــوم فهد[4]

قـــال: فمـــات، فوالله ما انقضت عدتها، إلا ريثما تزوجت، فكأنه كان يرى زوجها، وهو كما وصف.

(1) الخرانق، الواحد خرنق: الفتى من الأرانب. ولاندري ما المراد منه هنا.
(2) إدلاج السرى: السير في الليل كله. الراهق : المعجل.
(3) قوله: منير بيننا مسدى، هكذا في الأصل.
(4) الفذ: الفرد. وأراد بنوم الفهد: النوم الثقيل.

19 الصبر على البلاء

سمعت أبا العباس بن عطاء[1] يقول:

قرأت القرآن، فما رأيت الله، عز وجل، ذكر عبدا فأثنى عليه حتى ابتلاه، فسألت الله تعالى أن يبتليني، فقلت: اللهم ابتلني واحفظني في ما تبتليني، فما مضت الأيام والليالي حتى خرج من داري نيف وعشرون ما رجع منهم أحد، وذهب ماله، وذهب عقله، وذهب ولده وأهله.

قال أبو عبد الله الغلفي: فمكث بحكم الغلبة سبع سنين أو نحوها، فما رأيت أحدا صحا بعد غلبة فنطق بالحكمة أحسن من أبي العباس بن عطاء، فكان أول شئ قال بعد صحوه من غلبته :

حقا أقول لقد كلفتني شططا ... حملي هواك وصبري ذان تعجيب

جمعت شيئين في قلب له خطر، ... نوعين ضدين : تبريد وتلهيب

نار تقلقني، والشوق يضرمها، ... فكيف قد جمعا ، والعقل مسلوب

لا كنت إن كنت أدري كيف يسلمني ... صبري إليك كما قد ضر أيوب

لما تطاول بلواه أقشعر لها، ... فصاح، من حملها،غرثان مكروب:

قد مسني الضر والشيطان ينصب بي، ... وأنت ذو رحمة،والعبد منكوب[2]

(1) من علماء الصوفية الظرفاء: موصوف بالأجتهاد والعبادة، من أصحاب الجنيد - توفي 3.9 هـ.

(2) ينصب بي: يعاديني.

قال لنا شيخنا أبو طاهر بن العلاف: قال لنا أبو الحسين بن سمعون، رحمه الله: أظن كان بقي عليه من الغلبة شئ فقال: لقد كلفتني شططا، وأنا أقول: لقد حملتني عجبا.



20 فراقية بن زريق

حدثني بعض أصدقائي أن رجلا من أهل بغداد قصد أبا عبد الرحمن الأندلسي وتقرب إليه بنسبه، فأراد أبو عبد الرحمن أن يبلوه[1] ويختبره، فأعطاه شيئا نزرا[2]، فقال البغدادي: إنا لله وإنا إليه راجعون! سلكت البراري والبحار والمهامة[3] والقفار إلى هذا الرجل فأعطاني هذا العطاء النزر؟ فانكسرت إليه نفسه واعتل فمات.

وشغل عنه الأندلسي أياما، ثم سأل عنه فخرجوا يطلبونه، فانتهوا إلى الخان الذي كان فيه وسألوا الخانية عنه، فقالت: إنه كان في هذا البيت، ومذ أمس لم أره، فصعدوا فدفعوا الباب، فإذا بالرجل ميتا، وعند رأسه رقعة فيها مكتوب:

لا تعذليه، فإن العذل يولعه ... قد قلت حقا، ولكن ليس يسمعه[4]

جاوزت في نصحه حدا أضر به ... من حيث قدرت أن النصح ينفعه

(1) يبلوه: يجربه

(2) نزرا: قليلا

(3) المهامة: الواحد المهمة: المفازة البعيدة

(4) هذه القصيدة هي لأبي الحسين علي بن زريق البغدادي وقد اطلق عليها اسم: فراقية ابن زريق،لأنه يذكر فيها فراقه لزوجه التي كان كلفا بها ورحل إلى الأندلس في طلب الرزق وهي قصيدة طويلة لم يذكر هنا إلا قسم منها يولعه: يغريه



قـــد كـــان مضـطلعا بـالخطب يحمله، فضـلعت بخطـوب البيـن أضلعه[1]

مـــا آب مـــن سفـر إلا وأزعجه عـزم إلـى سفـر بالـرغم يزمعه[2]

كأنمـــا هـــو فـــي حـــل ومـــرتحل موكَـــل بقضـــاء الله يذرعـــه

أسـتودع الله، فـي بغداد، لـي قمـــرا بالكـرخ مـن فلـك الأزرار مطلعـه[3]

وكـــم تشـــفع بـــي أن لا أفارقـــه، وللضـــرورات حـــال لا تشفعه[8]

وكـم تشـبث بـــي يـوم الرحيل ضحى، وأدمعـــي مســـتهلات وأدمعـــه

أعطيـت ملكـا فلـــم أحسن سياسته، وكـل مـــن لا يسوس الملك يخلعه

ومن غدا لابسا ثوب النعيم بـــلا شـــكر علـيه، فعـــنه الله يـــنزعه

قـال لـنا أبـو الحسـين محمد بن علي بن الجاز وزادني أبو علي الحسن بن علي المتصوف:

والحـرص في المرء، والأرزاق قد قسمت، بغـــي، ألا إن بغـــى المـــرء يصـــرعه

لـو أنـني لـم تقـع عينـي علـى بلـد فـي سـفرتي هـــذه إلا وأقطعه

اعتضـت مـن وجـه خلـي، بعـد كأسـا تجـرع مـنها مـا أجرعه

فلما وقف أبو عبد الرحمن على هذه الأبيات بكى حتى اخضلت لحيته، و قال: وددت

---

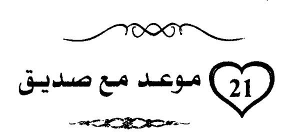
(1) مضلع، من اضطلع بالأمر: نهض عليه وقوي عليه.

(2) آب: رجع، عاد. أزعجه: أقلقه، و قلعه من مكانه يزمعه: يثبت عليه.

(3) الكرخ: سوق في بغداد على الضفة الثانية من دجلة كانت فيه الخمارات وقوله: فلك الأزرار، استعار الفلك لجيب قميص الموصوف الطاله وجهه من بين الأزرار كنجوم لهذا الفلك، وفي البيت استعارة مجردة واستعارة مرشحة.

(4) تشفعه : تقبل شفاعته.

أن هــذا الــرجل حــي وأشــاطره نصف ملكي. وكان في رقعة الرجل: منزلي ببغداد في الموضــع المعروف بكذا، والقوم يعرفون بكذا، فحمل إليهم خمسة آلاف دينار وسفتجة [1]، وحصلت في يد القوم وعرفهم موت الرجل.



21 موعد مع صديق

عبيد النعالي، غلام أبي الهذيل. قال:

انصــرفت من جنازة من مسجد الرضى في وقت الهاجرة، فلما دخلت سكك البصرة اشتد علي الحر فتوخيت سكة ظليلة فاضطجعت على باب دار، فسمعت ترنما يجذب القلب، فطرقت الباب واستسقيت ماء فإذا فتى اجتهرني جماله[2]، إلا أن أثر العلة والسقم عليه بين، فأدخلني إلى خيش نظيف، وفرش سرى[3]، فلما اطمأننت خرج الفتى ومعه وصيفة[4] معها طســت ومــاء ومنديل، فغسلت رجلي وأخذت ردائي ونعلي، وانصرفت، فلبثت يسيرا فإذا جاريــة أخرى وقد جاءت بطست وماء، فقلت: قد غسلت يدي. فقالت: إنما غسلت رجليك، فاغسل الآن يديك للغذاء. وإذا الفتى قد أقبل ضاحكا ليؤنسني، وأنا أعرف العبرة في عينيه، وأتى بالطعام فأقبل يأكل كأنه نغض[5] بما يأكله، وهو في ذلك يبسطني.

---

(1) السفتجة: هي أن تعطي مالا لرجل فيعطيك خطا يمكنك من استرداد ذلك المال من عميل له في مكان آخر. (الحوالة المالية).

(2) اجتهرني جماله: راعني جماله.

(3) الخيش: ثياب رقاق النسج غلاظ الخيوط تتخذ من مشاقة الكتان - السري: الجيد.

(4) الوصيفة: الفتاة دون المراهقة.

(5) نغض: اضطرب.

فلمـــا انقضـــى أكلنا أتينا بشراب فشرب قدحا وشربت آخر، ثم زفر زفرة ظننت أن أعضـــاءه قـــد نقضت، وقال لي: يا أخي! إن لي نديما، فقم بنا إليه! فقمت وتقدمني، ودخل مجلسا، فإذا قبر عليه ثوب أخضر، وفي البيت رمل مصبوب، فقعد على الرمل، وطرح لي مصـــلى، فقلـــت: والله لا قعدت إلا كما تقعد، وأقبل يردد العبرات ثم شرب كأسا و شربت وأنشأ يقول:

أطـــأ الـــتراب، وأنـــت رهـــن حفـــيرة، هالـــت يـــداي علـــى صـــداك تـــرابها[1]

إنـــي لأعـــذر مـــن مشى إن لـــــم أطأ بجفـــون عينـــي مـــا حييـــت جـــنابها

لـــــو أن جمـــر جوانحـــي متلبس بالـــنار أطفـــأ حـــرها وأذابهـــا

ثم أكب على القبر مغشيا عليه، فجاءه غلام بماء فصبه على وجهه، فأفاق فشرب ثم أنشأ يقول:

الـــيوم ثـــاب لـــي الســـرور لأنني أيقنـــت أنـــي عـــاجلا بـــك لاحـــق[2]

فغـــدا أقاســـمـــك الـــبلى، ويســـوقني طـــوعـــا إلـــيـــك، مـــن المنية، سائق

ثم قال لي: قد وجب حقي عليك فاحضر غدا جنازتي! قلت: يطيل الله عمرك. قال: إني ميت لا محالة. فدعوت له بالبقاء فقال: لقد عققتني، ألا قلت:

جـــاور خلـــيلك مســـعدا فـــي رمســـه، كـــيما يـــنالك فـــي البلى مـــــا ناله

فانصرفت وطالت علي ليلتي، وغدوت فإذا هو قد مات.

---

(1) هال التراب: صبه صداك:جثتك.

(2) ثاب: رجع وعاد.

22 أيهمـا أحـق بالوفـاء

تــزوج مــالك بن عمرو الغساني بابنة عم النعمان بن بشير فشغف كل واحد منهما بصــاحبه، وكــان مالك شجاعا، فاشترطت عليه أن لا يقاتل إذا لقى، شفقة عليه وضنا به، وإنه غزا حيا من لخم[1]، فباشر القتال، فأصابته جراح فقال، وهو مثقل منها:

ألا ليــت شــعري عــن غزال تركته، إذا مــا أتــاه مصــرعي كــيف يصــنع؟

فلـــو أننـــي كنـــت المؤخـــر بعـــده، لمــا بـــــرحــت نفسي عليه تطلع

وإنه مكث يوما وليلة ثم مات من جراحه، فلما وصل خبره إلى زوجته بكته سنة، ثم اعــتقل لسانها فامتنعت من الكلام، وكثر خطابها، فقال عمومتها وولاة أمرها: نزوجها لعل لسانها ينطلق، ويذهب حزنها، فإنما هي من النساء، فزوجوها بعض أبناء الملوك فساق إليها ألف بعير، فلما كان في الليلة التي أهديت إليه فيها قامت على باب القبة ثم قالت:

يقـــول رجـــال : زوجوهـــا لعلهـــا تقـــر، وترضـــى بعـــده بخلـــيل

فأخفيــت فـــي النفس التـــي ليس بعدها رجـــاء لهـــم ، والصـــدق أفضـــل قـــيل

وحدثنـــــي أصـــــحابه أن مالكـــا أقام ، ونادى صحبـه بـــــــرحيل

وحدثنـــــي أصـــــحابه أن مالكـــا ضـــروب بنصـــل السـيف غـير نكول

وحدثنـــــي أصـــــحابه أن مالكـــا خفـيف علـى الأحـداث غـير ثقـيل

---

(1) لخم: حي من اليمن لهم مجد و شرف.

وحداثـــــي أصـــــحابه أن مالكـــــا   صــــروم كماضـــي الشــفرتين صــقيل

وأخبرنا أبو محمد الجوهري قال: أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه قال: حدثنا محمد بن خلف قال: أخبرنا أبو بكر العامري قال: حدثني عمرو ابن محمد العبقري قـال: أخبرني شيخ أثق به، وذكر الحديث وزاد فيه: فلما فرغت من الشعر شهقت شهقة فماتت.



23 سيد العشاق



عشـق رجل من ولد سعيد بن العاص جارية مغنية بالمدينة، فهام بها دهراً، وهو لا يعلمها بذلك، ثم إنه ضجر فقال: والله لأبوحن لها، فأتاها عشية، فلما خرجت إليه، قال لها: بأبى أنت أتغنين:

أتجـــزون بـــالود المضــاعف مـــثله،   فـــإن الكـــريم مـــن جـــزى الـــود بـــالود

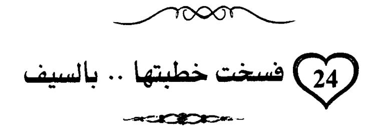
قالت: نعم، وأغنى أحسن منه ، ثم غنت:

للـذى ودنـــا المـــودة بالضعـــــ   ـف، وفضـــل الـــبادى بـــه لا يجـــازى

لـــو بـــدا مـــا بنا لكم ملأ الأر   ض وأقطـــــار شـــامها والحجـــازا

فاتصـل ما بينهما، فبلغ الخبر عمر بن عبد العزيز، وهو أمير المدينة، فابتاعها لـه وأهداها إليه، فمكثت عنده سنة ثم ماتت، فبقى مولاها شهرا أو أقل ثم مات كمداً عليها، فقال أبو السائب المخزومي: حمزة سيد الشهداء، وهذا سيد العشاق، فامضوا بنا حتى ننحر على

قــبره ســبعين نحــرة، كما كبر النبى، صلى الله عليه وآله وسلم، على قبر حمزة، ﷺ، سبعين تكبيرة. قال: وبلغ أبا حازم الخبر، فقال: ما من محب فى الله يبلغ هذا إلا ولى.



24 فسخت خطبتها .. بالسيف

خطب رجل من بكر بن وائل إلى رجل من مراد ابنته فهم أن يزوجه، فبينا الجارية يومــا تلعب مع الجوارى، إذ جاء الخاطب فقلن لها: هذا خاطبك؟ فقالت: ما رجل هو أحب إلى أن أكون قد رأيته منه. فلما رأته رأت رجلا كبير السن قبيح الوجه، فقالت: أوقد رضى أبــى به؟ قلن: نعم! فدخلت البيت، فاشتملت على السيف وشدت عليه، فسبقها عدوا، ونالته بضربة، فقال همام السلولى، وهو يشبب بامرأة:

أخــاف بــأن تجــزى المحــب كما جزت ... فــتاة مــراد شــيخ بكــر بــن وائــل

فلــو لــم يــرغ روغ الحيارى تفتحت ... ذوائـــبه مـــنها بأبـــيض قاصـــل [1]

ولا ذنـــب للحســـناء لمـــا بدالهـــا ... ضــعيف كخــيط الصــوف رخو المفاصل



(1) يزغ، مضارع راغ : حاد، ذهب ههنا وههنا.

25 لحظة اختيار

كان رجل من بنى سليم يقال له عمرو بن مسلم، وكانت له امرأة يقال لها مى، وكانت تبغضه، ولم يكن يعلم ذاك، وكان من أشد الناس حبا لها، فدخل عليها ذات يوم، وهى تقرأ فى المصحف. فقال : يا مى أسألك بما أنزل الله تعالى فى هذا المصحف أتحبيننى أو تبغضيننى؟ فقالت: لا والله لا أخبرتك إلا أن تعطينى سؤلة أسألكها. فقال: وأى شئ سؤلتك؟ قالت: تجعل أمرى فى يدى. قال: نعم، وظن أنها مازحة، قالت: فلا والله وما أنزل فيه ما أحببتك ساعة قط. فلما جعل أمرها بيدها اختارت نفسها، فكاد يموت أسفاً عليها، وأنشأ يقول:

هيا رب أدعوك العشية مخلصاً،	**دعاء امرئ عمت بلابله الصدرا**
فإنك إن تجمع بمى لبانتى	**مع الناس قبل الموت أحدث لك الشكرا**
فتجمع بها شمل امرئ لم تدع له	**فؤادا، ولم يرزق على نأيها صبرا**
إلى الله أشكو أن ميا تحكمت	**بعقلى مظلوما ووليتها الأمرا**
خطاء من الرأى الضعيف، ولم يخف	**لمية غدرا، واستخارت بى الغدرا**
وباتت تجذ الحبل بينى وبينها؛	**هنيئا لها إذ حملت نفسها الإصرا[1]**
وخانت خليلا لم يخنها ولم يرد	**بها بدلا فى الناس شفعاً ولا وترا**

(1) تجذ: تقطع. الإصر : الذنب.

عشـية ألـوى بالـرداء علـى الحشـا   كـأن قميصـى مشـعل تحـته جمـرا
عشـية أبكـى، والـبكى هـون ماأرى،   وداعـى الفتى عمراً، وهيهات لا عمرا
فرحـت بهـا لـولا كـتاب ومـدة   مؤجلـة مـا عشـت خمساً ولا عشرا
تحسـنت الدنـيا بمـى ليالـيا   قلائـل ثـم اسـتبدلت جـرعاً كـدرا
مـرارات صـاب حيـن ولـت وعلقـم،   تحسـيت مـن غصـاتها جـرعاً حمرا

26 حكاية حب ماكرة

حدثنا العمرى قال:

أخبرنى الهيثم بن عدى أن إياس بن مرة بن مصعب القيسى كان له أخ يقال له فهر، وكانـا يـنزلان الحـيرة، وأن فهـرا ارتحل بأهله وولده، فنزل بأرض السراة، وأقام مُرة بالحـيرة، وكانـت عند مُرة امرأة من بكر بن وائل، فلبثت معه زماناً لم يرزق منها ولدا، حتى يئس من ذلك. ثم أتى فى منامه، ليلة من ذلك، فقيل لـه: إنك إن باشرت زوجتك من ليلـتك هـذه رأيت سروراً وغبطة، فانتبه، فباشرها فحملت، فلم يزل مسرورا إلى أن تمت أيامها، فولدت له غلاما، فسماه إياساً، لأنه كان آيسا منه، فنشأ الغلام منشأ حسناً.

فلمـا ترعـرع ضمه أبوه إليه، وأشركه فى أمره، وكان إذا سافر أخرجه معه لقلة صـبره عـنه، فقال لـه أبوه يوما: يا بنى، قد كبرت سنى، وكنت أرجوك لمثل هذا اليوم، ولى إلى عمك حاجة، فأحب ان تشخص فيها. فقال له إياس: نعم يا أبه، ونعم عين وكرامة،

فـــإذا شـــئت فأنا لحاجتك. فأعلمه الحاجة، فخرج متوجها حتى أتى عمه، فعظم سروره به وســـأله عـــن سبب قدومه، وما الحاجة فأخبره بها، ووعده بقضائها، فأقام عند عمه أياما، ينتظر فيها قضاء الحاجة.

وكـــان لعمه بنت يقال لـــه صفوة، ذات جمال وعقل، فبينا هو ذات يوم جالس بفناء دارهم، إذ بدت لـــه صفوة زائرة بعض أخواتها وهى تهادى بين جوار لها، فنظر إليها إياس نظـــرة أورثـــت قلـــبه حسرة، وظل نهاره ساهيا، وبات وقد اعتكرت عليه الأحزان، ينتظر الصباح، يرجو أن يكون فيه النجاح، فلما بدا له الصباح خرج فى طلبها ينتظر رجوعها، فلم يلبث أن بدت لـــه، فلما نظرت إليه تنكرت ثم مضت فأسرعت، فمر يسعى خلفها، يأمل منها نظرة، فلم يصل إليها، وفاتته فانصرف إلى منزلـــه، وقد تضاعف عليه الحزن واشتد الوجد، فلبـــث أيامـــا، وهو على حاله، إلى أن أعقبه ذلك مرضا أضناه وأنحل جسمه، وظل صريعا على الفراش.

فلمـــا طال به سقمه وتخوف على نفسه بعث إلى عمه لينظر إليه ويوصيه بما يريد، فلما رآه عمه ونظر إلى ما به سبقته العبرة إشفاقاً عليه، فقال لـــه إياس: كف، جعلت فداك يـــا عم، فقد أقرحت قلبى. فكف عن بعض بكائه، فشكا إليه إياس ما يجد من العلة. فقال له: عـــز، والله، علـــى يا ابن أخى، ولن أدع حيلة فى طلب الشفاء لك. فانصرف إلى منزله، وأرسل إلى مولاة له كانت ذات عقل فأوصاها به، وبالتعاهد له، والقيام عليه.

فلما دخلت المولاة عليه فتأملته علمت أن الذى به عشق، فقعدت عند رأسه، فأجرت ذكـــر صفوة لتستيقن ما عنده، فلما سمع ذكرها زفر زفرة، وقالت المرأة: والله ما زفر إلا من هوى داخله ولا أظنه إلا عاشقا. فأقبلت عليه كالممازحة لـــه فقالت له: حتى متى تبلى جســـمك، فوالله ما أظن الذى بك إلا هوى. فقال لها إياس: يا أمه، لقد ظننت بى ظن سوء، فكفـــى عن مزاحك. فقالت: إنك والله لن تبديه إلى أحد هو اكتم له من قلبى. فلم تزل تعطيه المواثيق وتقسم عليه إلى أن قالت له: بحق صفوة! فقال لها: لقد أقسمت على بحق عظيم لو ســـألتنى به روحى لدفعتها إليك، ثم قال: والله يا أمه ما أعظم دائى إلا بالاسم الذى أقسمت

على بحقه، فالله الله فى كتمانه وطلب وجه الحيلة فيه.

فقالـــت: أمـــا إذ أطلعتنى عليه، فسأبلغ فيه رضاك، إن شاء الله، فسر بذلك، وأرسل معهـــا بالســـلام إلـــى صفوة. فلما دخلت عليها ابتدأتها صفوة بالمسألة عن الذى بلغها من مرضـــه وشـــدة حاله، فاستبشرت المولاة بذلك، ثم قالت: يا صفوة ما حالة من يبيت الليل ســـاهراً محـــزونا يرعى النجوم ويتمنى الموت؟ فقالت صفوة: ما أظن هذا على ما ذكرت بباق، وما أسرع منه الفراق.

ثم أقبلت على المولاة فقالت: إنى أريد أن أسألك عن شئ فبحقى عليك لما أوضحته. فقالـــت: وحقك إن عرفته لاكتمتك منه شيئا. قالت: فهل أرسلك إياس إلى أحد من أهل وده فى حاجة؟ فقالت المولاة: والله لأصدقنك، والله ما جل دائه وعظم بلائه إلا بك، وما أرسلنى بالســـلام إلا إلـــيك، فأجيبيه إن شئت، أو دعى. فقالت: لا شفاه الله، والله لولا ما أوجب من حقـــك لأسأت إليك، وزجرتها، فخرجت من عندها كئيبة، فأتته فأعلمته فازداد على ما كان به من مرضه، وأنشأ يقول:

كتمـــت الهـــوى حـــتى إذا شـــب واستوت قـــــــواه ، أشـــاع الدمع ما كنت أكتم

فلمـــا رأيـــت الدمـــع قـــد أعلـــن الهـــوى خلعـــت عـــذارى فيه ، والخلـــــع أسلم

فيا ويـــح نفسى كيف صبرى على الهـــوى وقلـــبى وروحـــى عـــند مـــن ليس يـــرحم

قـــال: ثـــم إن عمه دخل عليه ليعرف خبره، فقال لـــه: يا عم، إنى مخبرك بشئ لم أخبرك به حتى برح الخفاء ولم أطق له محملا، فأخبره الخبر، فزوجه فأفاق وبرأ من علته.



27 على أجنحة الحنين

أبو على بن الأشكرى[1] المصرى قال

كنت من جلاس تميم بن أبى تميم[2]، وممن يخف عليه، فبعث بى إلى بغداد، فابتعت له هناك جارية رائعة جدا، فلما حصلت عنده أقام دعوة لجلسائه، قال: وأنا فيهم، ثم وضعت الستارة، وأمرها بالغناء ليسمع غناءها، ويحاسن الحاضرين بها، فغنت:

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى ... برق تألق موهناً لمعانه

يبدو كحاشية الرداء، ودونه ... صعب الذرى متمنع أركانه

فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه، ... والماء ما سمحت به أجفانه

قال: فأحسنت ما شاءت، وطرب تميم وكل من حضر، ثم غنت:

سيسليك عما فات دولة مفضل ... أوائله محمودة وأواخره

ثنى الله عطفيه وألف شخصه، ... على البر،مذ شدت عليه مآزره

قال: فطرب تميم ومن حضر طرباً شديداً، ثم غنت:

أستودع الله فى بغداد لى قمراً ... بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه

---

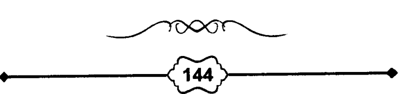
(1) الأشكرى، نسبة إلى أشكر، وهى قرية بمحافظة الشرقية، وإذا كانت الأسكرى، فأسكر قرية فى صعيد مصر.
(2) ابن المعز بن باديس ملك أفريقية.

قال: فاشتد طرب تميم، وأفرط جداً، ثم قال لها: تمنى ما شئت، فلك متمناك. فقالت: أتمنى عافية الأمير وبقاءه. فقال: والله لا بد لك أن تتمنى. فقالت: على الوفاء أيها الأمير بما أتمنى؟ فقال: نعم! فقالت له: اتمنى أن أغنى بهذه النوبة ببغداد. قال: فاستنقع لون تميم، وتغير وجهه، وتكدر المجلس، وقام وقمنا كلنا.

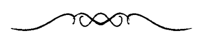
قال ابن الأشكرى: فلحقنى بعض خدمه، وقال لى: أرجع فالأمير يدعوك، فرجعت، فوجدته جالسا ينتظرنى، فسلمت وجلست، فقال: ويحك أرأيت ما امتحنا به؟ قلت: نعم أيها الأمير. فقال: لابد من الوفاء لها، وما أثق فى هذا بغيرك، فتأهب لتحملها إلى بغداد، فإذا غنت هناك فاصرفها. فقلت: سمعا وطاعة. قال: ثم قمت وتأهبت وأمرها بالتأهب وأصحبها جارية سوداء تخدمها، وأمر بناقة ومحمل، فأدخلت فيه، وجعلها معى، ثم دخلنا الطريق إلى مكة مع القافلة، فقضينا حجنا، ثم دخلنا فى قافلة العراق، فلما وردنا القادسية، أتتنى السوداء عنها، فقالت: تقول لك سيدتى: أين نحن؟ فقلت لها: نحن نزول بالقادسية. فانصرفت إليها وأخبرتها، فلم أنشب أن سمعت صوتها قد اندفع بالغناء:

لما وردنا القادسية	حيث مجتمع الرفاق
وشممت من أرض الحجا	ز نسيم أنفاس العراق
أيقنت لى ولمن أحب	بجمع شمل واتفاق
وضحكت من فرح اللقا	ء كما بكيت من الفراق

فتصايح الناس من أقطار القافلة: أعيدى بالله! أعيدى بالله! فما سمع لها كلمة. قال: ثم نزلنا بالياسرية، وبينها وبين بغداد قريب فى بساتين متصلة من الناس فيبيتون ليلتهم، ثم يبكرون لدخول بغداد، فلما كان قرب الصباح، إذا أنا بالسوداء قد أتتنى ملهوفة. فقلت: ما لك؟ فقالت: إن سيدتى ليست حاضرة! فقلت: وأين هى؟ قالت: والله ما أدرى. قال: فلم أحس لها أثراً، فدخلت بغداد، وقضيت حوائجى بها، وانصرفت إلى تميم فأخبرته الخبر، فعظم ذلك عليه، ثم ما زال بعد ذلك ذاكراً لها واجماً عليها.



28 سحـر الفـن



أبا العباس محمد بن[1] يزيد يقول:

حدثت أن معاوية قال لعمرو بن العاص: امض بنا إلى هذا الذى قد تشاغل باللهو فى هــدم مروءته، ننعى عليه فعله، يريد عبد الله (بن جعفر) بن أبى طالب، فدخلا عليه وعنده سائب خاسر، وهو يلقى على جوار لـــه، فأمر عبد الله الجوارى أن يتنحين لدخول معاوية، وتنحى عبد الله عن سريره لمعاوية، فرفع معاوية عمراً، فأجلسه إلى جنبه، ثم قال لعبد الله: عــد إلى ما كنت عليه! فأمر بالكراسى فألقيت، وأمر الجوارى أن يخرجن، فخرجن فجلسن على الكراسى، فتغنى سائب:

ديـــار الـــتى كـــنا ونحـــن نـــزورها تعفـــت بأريـــاح الصـــبا والجنائـــب

ومضى فى الشعر ورددت الجوارى عليه النغم الطيبة، وحرك معاوية يديه، وتحرك فـــى مجلسه، ثم مد رجليه، فجعل يضرب وجه السرير. فقال له عمرو: اتئد فإن الذى جئت تلحاه أحسن حالا منك، وأقل حركة. فقال معاوية: اسكت، لا أبا لك، فإن كل كريم طروب.

(1) المعروف بالمبرد (210 – 285 هـ).

29 رسائل عشق منظومة

ولـــى بديار مصر وال فوجد[1] على بعض عماله، فحبسه، وقيده، فأشرفت عليه ابنة الوالى فهويته، فكتبت إليه، وقد كان نظر إليها:

أيهـا الـرامـــــــى بعينـيـــــــــه، وفـــى الطـــرف الحـــتوف
إن تـــــرد وصـــــلا، فقـــد أمكـــنك الظـــبـــى الألـــــوف

فأجابها الفتى:

إن تريـــنى زانـــى العـــيـــــــنين ، فالفـــرج عفـــيـــف
لـــيس إلا الـــنظـــر الـفـــاتـــر، والشـــعـــر الظـــريف

فكتبت إليه:

قـــد أردنـــاك علـــى عشــــــــقك إنســـــاناً عفـــيفا
فتأبيــــــت، فـــــلا زلـــــــت لقـــــيديك حلـــــيفا

فأجابها الفتى:

غـــير أنـــى خفـــت ربـــاً كـــان بـــى بـــراً لطـــيفاً

فذاع الشعر وبلغ الخبر الوالى، فدعا به فزوجه إياها ودفعها إليه.

---

(1) وجد : غضب.

30 لحن موجع

إبراهيم بن ميمون قال:

حججت فى أيام الرشيد، فبينا أنا بمكة أجول فى سككها، إذا أنا بسوداء قائمة ساهية، فأنكرت حالها، فوقفت أنظر إليها، فمكثت كذلك ساعة، ثم قالت:

أعمرو علام تجنبتنى ؟ أخذت فؤادى فعذبتنى

فلو كنت، يا عمرو، خبرتنى أخذت حذارى، فما نلتنى

قال: فدنوت منها، فقلت: يا هذه! من عمرو؟ فارتاعت من قولى وقالت: زوجى. فقلت: وما شأنه؟

قالت: أخبرنى أنه يهوانى وما زال يدس إلى ويعلق بى فى كل طريق، ويشكو شدة وجده حتى تزوجنى، فلبث معى قليلا، وكان له عندى من الحب مثل الذى كان لى عنده، ثم مضى إلى جدُة، وتركنى.

قلت: فصفيه لى.

فقالت: أحسن من تراه، وهو أسمر حلو ظريف.

قال، قلت: فخبرينى أتحبين أن أجمع بينكما؟

قالت: فكيف لى بذلك؟ وظننتنى أهزل بها. قال: فركبت راحلتى وصرت إلى جُدة فوقفت فى المرقى أتبصر من يعمل فى السفن، واصوت: يا عمرو يا عمرو! فإذا أنا به خارج من سفينة، وعلى عنقه صن[1]، فعرفته بالصفة، فقلت: أعمرو علام تجنبتنى؟ فقال:

---

(1) الصن : شبه السلة.

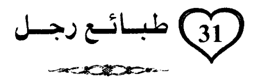
هــيه هيه، رأيتها وسمعته منها؟ ثم أطرق هنيهة ثم اندفع يغنيه، فأخذته منه، وقلت لــه: ألا تــرجع؟ فقــال: بأبى أنت، ومن لى بذلك؟ ذلك والله أحب الأشياء إلى ولكن منع منه طلب المعاش.

قلت: كم يكفيك كل سنة.

قــال: ثلاثمائـــة درهم، فأعطيته ثلاثة آلاف درهم، وقلت: هذه لعشر سنين، ورددته إليها، وقلت له: إذا فنيت أو قاربت الفناء قدمت على فسررتك، وإلا وجهت إليك، وكان ذلك أحب إلى من حجى.

قــال محمد بن عبد الله قال إسحاق: والناس ينسبون هذا الصوت إلى إبراهيم، وكان إبراهيم أخذه من هذا الفتى.





31 طبــائــع رجــل



الحسين بن على بن قدامة مولى بنى أمية، عن أبيه. قال:

خرجــت إلى الشام، فلما كنت بالشراة [1]، ودنا الليل، إذا قصر، فهويت إليه، فإذا بين بـــابى القصـــر امرأة لم أر مثلها قط هيئة وجمالا، فسلمت، فردت، ثم قالت: من أنت؟ قلت: رجــل من بنى أمية من أهل الحجاز. فقالت: مرحبا، وحياك الله، انزل أنت فى أهلك، قلت: ومن أنت، عافاك الله؟ قالت: امرأة من قومك، فأمرت إلى بمنزل وقرى وبت فى خير مبيت، فلما أصبحت أرسلت إلى تقول: كيف مبيتك؟ قلت: خير مبيت، والله ما رأيت أكرم منك ولا

(1) الشراة: موضع بين دمشق والمدينة.

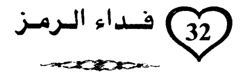
أشـــرف من فعالك، قالت: فإن لى إليك حاجة؛ تمضى حتى تأتى ذلك الدير، دير أشارت إليه متـــنح، فـــإن فـــيه ابن عمى، وهو زوجى، قد غلبت عليه نصرانية فى ذلك الدير، فهجرنى ولزمها، فتنظر إليه وإليها وتخبره عن مبيتك، وعما قلت لك، فقلت: أفعل، ونعمى عين.

فخرجـــت حتى انتهيت إلى الدير، وإذا أنا برجل فى فنائه جالس كأجمل ما يكون من الرجال، فسلمت، فرد وسألنى، فأخبرته من أنا، وأين بت، وما قالت لى المرأة. فقال: صدقت! أنا رجل من قومك من آل الحارث بن الحكم؛ ثم صاح: يا قسط! فخرجت إليه نصرانية عليها ثياب حبر وزنار ما رأيت مثلها قط؛ فقال: هذه قسط، وتلك أروى، وأنا الذى أقول:

تبدلـــت قســـطا بعـــد أروى وحـــبها، كـــذاك لعمـــرى الحـــب يذهـــب بالحـــب



32 فـداء الـرمـز



زيد بن عمارة النهدى قال:

اصطدت خشفا [1] فأوثقته، وحملته، ثم أقبلت به، إذ استقبلنى غلام كأنه فلقة قمر له ضـــفيرتان قد قاربتا عجيزته، فلما رأى الخشف، وقف ينظر إليه ويتنفس الصعداء، ثم أنشأ يقول، وهو يبكى:

وذكـــرنى مـــن لا أبـــوح بذكـــره محاجـــر ظـــبى فـــى حـــبائل قـــانص

فقلـــت، ودمـــع العيـــن يجـــرى بحـــرقة ، ولحظـــى إلـــى عينـــيه لحظـــة شاخص :

---

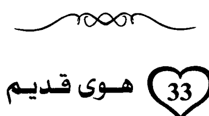
(1) الخشف: ولد الظبى أول ما يولد.

ألا أيهـــذا القـــانص الظـــبى خلـــه ! وإن كنـــت تابـــاه ، فمـــر بقلائصـــى

خـــف الله لا تحبســـه ! إن شـــبيهة حـــياتى ، وقـــد أرعـــدت فـــيه فرائصـــى

قال: ثم بكى، قال: فقلت: دونكه يا فتى فهو لك، قال: فعمد إليه فحله، ثم قبل عينيه، ثم أرسله.

قـــال: فمـــر الظـــبى وأتبعه بصره يبكى فى أثره، قال: ثم سكن، فقلت : يا فتى ألك حاجة؟ قال: نعم! قلت: ما هى؟ قال: تبلغ معى الحى. قال: فوصلت معه المنزل، قال: فلما كـــان من الغد، إذا به يسوق عشراً من الإبل حتى وقف على، فقال: دونكها، فامتنعت، فأبى إلا قبولها. قال: فسألت عنه، فقالوا: هذا فتى يهوى فتاة من الحى.



33 هـوى قـديـم

الأصمعى قال:

إنى لفى سوق ضرية، وقد نزلت على رجل من بنى كلاب، وكان متزوجا بالبصرة، وكـــان له أهل بضرية، إذ أقبلت عجوز على ناقة لها حسنة البزة، يتخيل فيها باقى جمال، فأناخـــت وعقلت ناقتها، وأقبلت تتوكأ على محجن[1] لها، فجلست قريبا منا، فقالت: هل من منشـــد؟ فقلـــت للكلابـــى: أيحضرك شئ؟ فقال: لا! فأنشدتها شعراً لبشر بن عبد الرحمن الأنصارى، وهو:

(1) المحجن: العصا المنعطفة الرأس.



وقصـــــيرة الأيـــــام ود جليســـــها ... لـــو بـــاع مجلســـها بفقـــد حمـــيم

مـــن محنيـــات أخي الهوى غصص الجوى ... بـــدلال غانـــية ومقلـــة ريـــم[1]

صـــفراء مـــن بقـــر الجـــواء، كأنمـــا ... خفـــر الحـــياء بهـــا رداع ســـقيم[2]

فجثت على ركبتيها، وأقبلت تنكت الأرض بمحجنها وأنشأت تقول[3]:

قفـــي يـــا أمـــام القلـــب، نقـــض لـــبانة ... ونشـــك الهـــوى ثـــم افعلـــي مـــا بـــدا لك

فلـــو قلـــت طـــأ فـــي النـــار أعلـــم أنـــه ... هـــوى مـــنك لـــي أو مـــنة مـــن نوالـــك

لقدمـــت رجلـــي نحوهـــا فوطئـــتها، ... هـــوى مـــنك لـــي أو هفـــوة مـــن ملالك

ســـلي البـــانة العلـــيا مـــن الأجـــرع الذى ... بـــه البـــان، هـــل حاولـــت غـــير وصالك

وهـــل قمـــت فـــي أظلالهـــن عشـــية، ... قـــيام ســـقيم القلـــب، واخـــترت ذلـــك

ليهـــنك إمســـاكي بكفـــي علـــى الحشـــا، ... ورقـــراق دمعـــي رهـــبة مـــن زيـــالك

قـــال الأصمعي: فأظلمت والله على الدنيا لحلاوة منطقها، وفصاحة لهجتها، فدنوت منها فقلت: نشدتك بالله لما زدتني من هذا؟ فرأيت الضحك في عينيها، وأنشدت:

ومســـتحقبات لـــيس يحقبـــن زرنـــنا، ... ويســـحبن أذيـــال الصـــيانة والشّـــكل[4]

(1) المحذيات: لعله من أحذاه أعطاه قسمة من الغنيمة، فيكون المعنى المجازى انهن أعطين أخا الهوى حصة الغصص.

(2) الجواء: الوادى المتسع، واسم موضع. الرداع: عودة المرض.

(3) الأبيات الآتية هى لعبد الله بن الدمينة، شاعر اسلامي، مشهور برقة شعره وعاطفته.

(4) المستحقبات من استحقب الشي: ادخره، أو من استحقبه: شده فى مؤخر رحله واحتمله خلفه. ولا ندرى ما المراد. الشكل: الدلال.



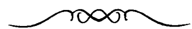
جمعـن الهـوى حـتى إذا مـا ملكـنه ... نزعـن، وقـد أكـثرن فيـنا مـن القـتل

مريضـات رجع القول خرس عن الخنا، ... تألفـن أهـواء القلـوب بـلا بـذل

مـوارق مـن حـبل المحـب عواطـف ... بحـبل ذوى الألـباب بـالجد والهـزل[1]

يعنفـنى العـذال فيهـن، والهـوى ... يحذرنـى مـن أن أطـيع ذوى العـذل

فقلـت: أحسـنت، والـذى خلقك! فقالت: أكذاك؟ قلت: نعم! قالت: فنشرك فى هذا الإحسان غيركم، ثم قامت، فوالله ما سمعت منشدة بعدها أحلى ألفاظاً منها.



34 جـواب من هنـاك

كـان العلاء بن عبد الرحمن التغلبى من أهل الأدب والظرف، فواصلته جارية من جـوارى القـيان، فكان يظهر لها ما ليس فى قلبه، وكانت الجارية على غاية العشق لـه، والمـيل إليه، فلم يزالا على ذلك حتى ماتت الجارية عشقا لـه ووجداً به، فذكرها بعد ذلك وأسف على ما كان من جفائه لها وإعراضه عنها، فرآها ليلة فى منامه، وهى تقول له:

أتـبكى بعـد قـتلك لـى علـيا، ... فهـلا كـان ذا إذ كنـت حـيا

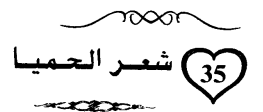
سـكبت دمـوع عيـنك فـى انهـلال، ... ومـن قـبل الممـات تسـى إلـيا[2]

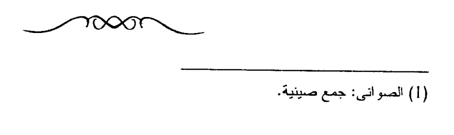
---

(1) مارقات: خارجات خروج السهم من الرمية. العواطف: لعل المراد بالعواطف، المميلات حبل العشاق، عابثات بهم، فتكون الباء فى حبل زائدة، والعواطف: المشفقات.
(2) تسى: مسهل تسئ.

فيا قمراً برى جسمى وروحى، ويقتلنى وما أبقى عليا
أقل من النياحة والمراثى، فإنى ما أراك صنعت شيا

قال: فزاد ما كان عليه من الأسف والغم والبكى، حتى فاضت نفسه، فمات.





35 شعر الحميا

نزل على بن أبى البغل، عند تقلده الإشراف على عمال الجبل، فزارته مغنية كان بها لهجا على قلة إعجابه بالنساء، فلما كانت ليلة، ونحن قعود فى البستان نشرب، وقد طلع القمر، هبت ريح عظيمة فقلبت صوانينا [1] التى كان فيها شرابنا، وأقبلت الغلمان يسقوننا، فسكر ابن أبى البغل على ضعف شربه وقام إلى مرقده، وأخذنا معه والمغنية، فلما حصلنا فيه استدعى قدحا، ولنا مثله، وأنشأ يقول:

مغموسة فى الحسن معشوقة، تقتل ذا اللب وتحييه
بات يرينيها هلال الدجى، حتى إذا غاب أرتنيه

وطرح الشعر على المغنية فلقنته وغنتنا فيه، وشربنا القدح، وانصرفنا، فلما كان من الغد، وحضرنا المائدة، وهى معنا، فاتحناه بما كان فحلف أنه لم يشعر بما جرى، ولا بالشعر، واستدعى دفتره، فأثبت البيتين فيه.

(1) الصوانى: جمع صينية.



انتباه !!



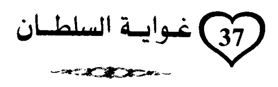
حدثنى سليمان بن على الهاشمى

أن علـــى بـــن صالح بن داود ذكر عن جارية من القيان أنها تميل إليه محبة وكلفا، وكانـــت موصـــوفة بالأدب شاعرة، فكره مراسلتها، فحضر يوما عند بعض أهل البصرة، وكانـــت عـــنده، فلما رأت على بن صالح قالت: طاب عيشنا فى يومنا هذا، فلم يلتفت إليها وأطرقـــت هى أيضا فلم تنظر إليه، ثم دعت بدواة فكتبت على منديل، كان معها، ثم غافلت أهل المجلس، فألقت إليه المنديل، فأخذه فإذا فيه:

لعـــل الـــذى يـــبلو بحـــبك يـــا فـــتى، يـــردك لـــى يومـــا إلـــى أحســـن العهد

قـــال: فما هو إلا أن قرأت الشعر حتى وجدت فى قلبى من أمرها مثل النار، وقمت فانصــــرفت خوفاً من الفضيحة، ثم لم أزل أعمل الحيلة فى ابتياعها من حيث لا تعلم، فعسر ذلـــك على، فعرفتها الخبر، وما عزمت عليه من ابتياعها، فأعانتنى على ذلك حتى ملكتها، فلم أوثر عليها أحداً من حرمى، ولا أهلى، ولا كان عندى شئ يعدلها، فتوفيت، فأنا لا عيش لـــى بعدها، ولا سرور. فوالله ما لبث بعد هذا الكلام إلا أياما يسيرة حتى مات أسفاً عليها، وكمداً، فدفن إلى جنبها.





37 غـوايـة السلطـان



حدثنا أبو عباد شيخ قديم قال:

أدركـت الخادم الذى كان يقوم على رأس الحجاج، فقلت لـه: أخبرنى بأعجب شئ رأيـت من الحجاج؟ قال: كان ابن أخيه أميراً على واسط، وكانت بواسط امرأة يقال: إنه لم يك بها فى ذلك الوقت امرأة أجمل منها، فأرسل ابن أخيه إليها يريدها على نفسها مع خادم لـه، فأبت، وقالت: إن أردتنى فاخطبنى إلى إخوتى، وكان لها إخوة أربعة، فأبى وقال: لا! إلا كـذا، وعاودهـا، فأبت إلا أن يخطبها إلى إخوتها، فأما حرام فلا؛ فأبى هو إلا الحرام، فأرسل إليها بهدية، فأخذتها فعزلتها ثم أرسل إليها عشية جمعة أنى آتيك الليلة، فقالت لأمها: إن الأمـير قد بعث إلى بكذا وكذا، فأنكرت أمها ذلك، وقالت لإخوتها إن أختكم قد زعمت كذا وكذا، فأنكروا ذلك وكذبوها، فقالت: إنه قد وعدنى أن يأتينى الليلة، فسترونه.

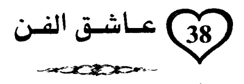
فقعـد إخوتهـا فى بيت حيال البيت الذى هو فيه، وفيه سراج، وهم يرون من يدخل إلـيها، وجويرية لها على باب الدار، قاعدة. حتى جاء الأمير فنزل عن دابته، وقال لغلامه: إذا أذن المؤذن فى الغلس، فأتنى بدابتى، ودخل، فمشت الجارية بين يديه، فقالت له: ادخل، فدخـل وسيدتها على سرير مستلقية، فاستلقى إلى جانبها ثم وضع يده عليها، وقال: إلى كم هـذا المطل؟ فقالت له: كف يدك يا فاسق، فدخل إخوتها عليها، ومعهم سيوف، فقطعوه، ثم لفوه فى نطع، وجاؤوا به إلى سكة من سكك واسط، فألقوه فيها.

وجـاء الغلام بالدابة فجعل يدق الباب دقا رفيقا وليس يكلمه أحد، فلما خشى الصبح، وأن تعـرف الدابة، انصرف وأصبحوا، فإذا هم به، فأتوا به الحجاج، فأخذ أهل تلك السكة، فقال: أخبرونى ما هذا، وما قصته؟ قالوا: لا نعلم ما حاله وما قصته. غير أنا وجدناه ملقى.

ففطن الحجاج، فقال: على بمن كان يخدمه. فأتى بذلك الخصى الذى كان الرسول. فقالوا: هذا كان صاحب سره. فقال له الحجاج: اصدقنى! ما كان حاله وما قصته؟ فأبى، فقال لــه : إن صدقتنى لم أضرب عنقك، وإن لم تصدقنى فعلت بك، وفعلت. فأخبره الأمر على جهته، فأمر بالمــرأة وأمهــا وإخوتهــا فجئ بهم، فعزلت المرأة عنهم، فسألها، فأخبرته بمثل ما أخبر به الخصى، ثم سأل الإخوة على انفراد، فأخبروه بمثل ذلك، وقالوا: نحن صنعنا به الذى ترى. فصرفهم وأمر برفيقه ودوابه وماله وكل قليل وكثير له أن يعطى للمرأة.

فقالــت المــرأة: عندى هديته التى وجه بها إلى. فقال: بارك الله لك فيها، وأكثر فى النســاء مثلك، هى لك، وكل ما ترك من شئ فهو لك، فأعطاها جميع ما ترك وخلى عنها وعــن إخوتها، وقال: إن مثل هذا لا يدفن فألقوه للكلاب. ودعا بالخصى فقال: أما أنت فقد قلت لك إنى لا أضرب عنقك، وأمر بضرب وسطه.





عـاشـق الفـن



الأصمعى يقول:

مــررت بالبصــرة بــدار الزبير بن العوام، فإذا أنا بشيخ من ولد الزبير، يكنى أبا ريحانة، على باب الزبير، ما عليه إلا شملة تستره، فسلمت عليه، وجلست إليه أحدثه، فبينا أنــا كذلك إذ طلعت علينا جارية سوداء تحمل قربة، فلما نظر إليها لم يتمالك أن قام إليها ثم قال: يا ستى جمعة، غنى لى صوتا! فقالت: إن موالى أعجلونى. قال: لابد من ذلك. قالت: أما والقربة على كتفى فلا. قال: فأنا أحملها. فأخذ القربة فحملها على عنقه واندفعت، فغنت:

فــؤادى أســير لا يفــك، ومهجــتى تقضــى، وأحــزانى علــيك تطــول

ولـــى مهجـــة قـــرحى لطـــول اشـــتياقها	**إلـــيك، وأجفـــانى علـــيك همـــول**
كفـــى حـــزنا أنـــى أمـــوت صـــبابة،	**بدائـــى، وانصـــارى علـــيك قلـــيل**
وكنـــت إذا مـــا جئـــت جئـــت بعلـــة،	**فأفنيـــت علاتـــى، فكـــيف أقـــول؟**

قال: فطرب الشيخ، وصرخ صرخة، وضرب بالقربة الأرض فشقها، فقامت الجارية تـبكى وقالت: ما هذا جزائى منك يا أبا ريحانة، أسعفتك بحاجتك وعرضتنى لما أكره من موالى؟ قال: لا تغتمى، فإن المصيبة على دخلت دونك.

وأخـذ بـيدها واتبعته إلى السوق، فنزع الشملة، ووضع يداً من قدام ويدا من خلف، وباع الشملة، وابتاع بثمنها قربة، وقعد على تلك الحال. ورجعت، فجلست عنده، فاجتاز به رجل من الطالبية، فلما نظر إليه وإلى حالته عرف قصته، فقال: يا أبا ريحانة! أحسبك من الذيـن قـال الله، عـز وجل، فيهم: فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين. فقال: لا يا ابن رسول الله ولكنى من الذين قال الله تعالى فيهم: فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، فضحك منه العلوى، وأمر لـه بألف درهم وخلعة.



39 سعيد بن خالد يشترى موسى شهوات



أبى عبيدة النحوى قال:

كنا نأتى رؤبة بن العجاج، فربما أعوزنا مطلبه فنطلبه فى مظانه، وكان للحارث بن سليم الهجيمى، وهو أبو خالد بن الحارث، مجلس يؤلف، وكان رؤبة ربما أتاه، فطلبته يوما، فأتيت مجلس الحارث، فتحدث القوم، وتحدث الحارث قال:

شـــهدت مجلس أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك، فأتى سعيد بن خالد ابن عمرو ابـــن عثمان، فقال: يا أمير المؤمنين! أتيتك مستعديا. فقال: على من؟ قال: موسى شهوات. قال: وما لـــه؟ قال: سمَّع بى، واستطال فى عرضى، قال: يا غلام! على بموسى! فأتى به، فقال أمير المؤمنين: سمعت به واستطلت فى عرضه. قال: ما فعلت هذا يا أمير المؤمنين، ولكنى مدحت ابن عمه، فغضب هو. قال: وما ذاك؟ قال:

يا أمير المؤمنين علقت جارية لم تبلغ ثمنها جِدَتى، فأتيته، وهو صديقى، فشكوت ذلك إلـــيه، فلـــم أصب عنده فى ذلك شيئا، فأتيت ابن عمه سعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، فشكوت إليه ما شكوت إلى ذلك. قال: تعود إلى، فتركته ثلاثا ثم أتيته، فسهل من أمرى، فما استقر المجلس حتى قال: يا غلام! قل لقيمى وديعتى! ففتح بابا بين بابين، فإذا أنا بجارية، فقـــال لـــى: هذه بغيتك؟ قلت: نعم! فداؤك أبى وأمى! قال : اجلس! يا غلام قل لقيمى ظبية نفقـــتى[1]. فـــأتى بظبية فنثرت بين يديه، فإذا فيها مائة دينار، وليس فيها غيرها، فردت فى الظبية ثم قال: عتيدتى[2] التى فيها طيبى! فأتى بها، فقال: ملحفة فراشى! فأتى بها، فصير ما فى الظبية وما فى العتيدة فى حواشى الملحفة، وقال لى: شأنك بهواك، واستعن بهذا عليه.

قال فقال أمير المؤمنين: فذاك حين تقول ماذا ؟ فقال:

أيـــا خـــالداً! أعـــنى ســـعيد بـــن خـــالد	**أخـــا العـــرف لا أعـــنى ابـــن بنـــت سعيد**
ولكنـــنى أعـــنى ابـــن عائشـــة الـــذى	**أبـــو أبويـــــه خـــــالد بـــــن أســـــيد**
عقـــيد الـــندى مـــا عاش يرضى به الندى	**فـــإن مـــات لـــم يـــرض الـــندى بعقيد[3]**
دعـــــوه دعـــــوه إنكـــــم قـــــد رقدتـــــم،	**ومـــــا هـــــو عـــــن أحســـــابكم بـــــرقود**

---

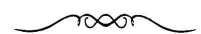
(1) الظبية: جراب صغير من جلد ظبى عليه شعر.

(2) العتيدة: وعاء تجعل فيه العروس ما تحتاج إليه من طيب ومشط ونحوهما.

(3) عقيد الندى: أى كريم طبعاً.

قـــال فقال: يا غلام على بسعيد بن خالد! فأتى به، فقال: يا سعيد! أحق ما وصفك به موســـى؟ قال: وما هو، يا أمير المؤمنين؟ فأعاد عليه، فقال: قد كان ذلك، يا أمير المؤمنين. قال: فما طوّقك ذاك قال: الكلف. قال: فما حملتك الكلف؟ قال: دين، والله يا أمير المؤمنين، ثلاثين ألف دينار، قال: قد أمرت لك بها وبمثلها وبمثلها، وثلث مثلها.

فلقيت سعيد بن خالد، بعد حين، فأخذت بعنان دابته، فقلت: بأبى وأمى! ما فعل المال الذى أمر لك به سليمان أمير المؤمنين. قال: ما علمك به؟ قال: كنت حاضر المجلس يومئذ. قال: والله ما استطعت أن أملك منه ديناراً ولا درهماً، قال: فما اغتاله؟ قال: خَلة من صديق أو فاقه من ذى رحم.





الفصل الرابع

غير المعقول من قصص العشاق

1 عذرية على الطريق

الفرزدق قال:

أبــق غــلام لــرجل مـــن نهشل فخرجت في طلبه أريد اليمامة، وأنا على ناقة لي عيســـاء[1]، فلمـــا صـــرت علـــى ماء لبني حنيفة ارتفعت سحابة فرعدت وبرقت وأرخت عزالـــيها، فعدلت إلى بعض ديارهم، فسألتهم القرى، فأجابوا، فأنخت ناقتي، وجلست تحت بيت لهم من جريد النخل، وفي الدار جويرية سوداء، وفتاه كأنها فلقة قمر، فسألت السوداء: لمـــن هـــذه العيســـاء؟ فأشارت إلي وقالت: لضيفكم هذا. فعدلت إلي فسلمت، وقالت: ممن الرجل؟ قلت من بني تميم. قالت: من أيهم؟ قلت: من بني نهشل. قالت: فأنتم الذين يقول لكم الفرزدق:

إن الـــذي سمـــك الســـماء بنى لنا ... بيـــتا دعائمـــه أعـــز وأطـــول

بيـــت زرارة محتـــب بفـــنائه ... ومـــجاشـــع وأبـــو الفـــوارس نهشـــل

قلت: نعم. قال: فضحكت، وقالت: فإن جريرا هدم عليه بيته حيث يقول:

أخـــزى الـــذي سمـــك السماء مجاشعا ... وأحـــل بـــيـــتك بالحضـــيض الأوهـــد

قـــال: فأعجبتنـــي، فلمـــا رأت ذلك في عيني قالت: أين تؤم، قلت: اليمامة. فتنفست الصعداء ثم قالت:

تذكـــرت الـــيمامة، إن ذكـــري ... بهـــا أهـــل المـــروءة والكـــرامة

---

(1) العيساء: الناقة الكريمة.

ألا فسقى المليك أجش جونا ... يجود بسحه تلك اليمامه[1]

أحيي بالسلام أبا نجيد، ... وأهل للتحية والسلامه

قال: فأنست بها، فقلت: أذات خدين أنت أم ذات بعل؟ فقالت:

إذا رقد النيام فإن عمرا ... هو القمر المنير المستنير

وما لي في التبعل من مراح ... ولو رد التبعل لي أسير[2]

ثم سكتت كأنها تسمع كلامي فأنشأت تقول:

تخيل لي، أبا كعب بن عمرو، ... بأنك قد حملت على سرير

فإن يك هكذا، يا عمرو، إني ... مبكرة عليك إلى القبور

ثم شهقت شهقة فماتت. فقيل لي: هي عقيلة بنت النجاد بن النعمان ابن المنذر، وسألت عن عمرو فقيل لي: ابن عمها، وكان مغرما بها، وهي كذلك، فدخلت اليمامة، فسألت عن عمرو، فإذا به مات في ذلك اليوم من ذلك الوقت.

---

(1) أجش جونا: سحاب راعد مسود.

(2) المراح: الفرح والسرور التبعل: الزواج.

معنى العجز غامض.

2 جــزاء العفــة

أبو عبد الله البلخي:

أن شـــابا كـــان في بني إسرائيل لم ير شاب قط أحسن منه، قال: وكان يبيع القفاف، قال: فبينا هو ذات يوم يطوف بقفافه، إذ خرجت امرأة من دار ملك من ملوك بني إسرائيل، فلمـــا رأته رجعت مبادرة فقالت لابنة الملك: يا فلانة، إني رأيت شابا بالباب يبيع القفاف لم أر شابا قط أحسن منه. قالت: أدخليه! فخرجت إليه، فقالت: يا فتى ادخل نشتر منك! فدخل، فأغلقت الباب دونه ثم قالت: ادخل، فدخل فأغلقت بابا آخر دونه.

ثـــم اســـتقبلته بنت الملك كاشفة عن وجهها ونحرها، فقال لها: اشتري، عافاك الله، فقالـــت: لم ندعك لهذا، إنما دعوناك لكذا، تعني تراوده عن نفسه، فقال لها: اتقي الله! قالت لـــه: إنـــك إن لـــم تطاوعني على ما أريد أخبرت الملك أنك إنما دخلت علي تكابرني على نفسي. قال: فأبى، ووعظها، فأبت، فقال: ضعوا لي وضوءا! فقالت: أعلي تعلل؟ يا جارية! ضـــعي لـــــه وضـــوءا فوق الجوسق[1]، مكان لا يستطيع أن يفر منه، ومن الجوسق إلى الأرض أربعون ذراعا.

قال: فلما صار في أعلى الجوسق قال: اللهم إني دعيت إلى معصيتك وإني أختار أن أصـــبر نفسي، فألقيها من هذا الجوسق، ولا أركب المعصية، ثم قال: بسم الله، وألقى نفسه مـــن أعلى الجوسق فأهبط الله، عز وجل، ملكا من الملائكة، فأخذ بضبعيه، فوقع قائما على رجليه، فلما صار في الأرض قال: اللهم إنك إن شئت رزقتني رزقا يغنيني عن بيع القفاف. فأرســـل الله، عز وجل، إليه جرادا من ذهب، فأخذ منه حتى ملأ ثوبه، فلما صار في ثوبه

(1) الجوسق: القصر.

قـــال: اللهـــم إن كان هذا رزقا رزقتنيه في الدنيا فبارك لي فيه، وإن كان ينقصني مما لي عـــندك فـــي الأخرة فلا حاجة لي به. قال: فنودي: إن هذا الذي أعطيناك جزء من خمسة وعشـــرين جزءا لصبرك على إلقائك نفسك من هذا الجوسق، قال: فقال: اللهم لا حاجة لي في ما ينقصني مما لي عندك في الآخرة . قال: فرفع.



3 فتاه وهبت نفسها لمليك

حدثنا زكريا بن اسحاق قال:

ســـمعت مـــالك بن سعيد يقول: حدثني مشيخة من خزاعة أنه كان عندهم بالطائف جاريـــة متعـــبدة ذات يسار وورع، وكانت لها أم أشد عبادة منها، وكانت مشهورة بالعبادة، وكانتا قليلتي المخالطة للناس، وكانت لهما بضاعة مع رجل من أهل الطائف، فكان يبضعها لهما، فما رزقهن الله من شئ أتاهن به.

قـــال: وبعث يوما ابنه، وكان فتى جميلا مسرفا على نفسه، إليهن ببعض حوائجهن، فقرع الباب، فقالت أمها: من هذا ؟ قال: أنا ابن فلان. قالت: ادخل! فدخل وابنتها في بيت، ولـــم تعلـــم بدخول الفتى، فلما قعد معها خرجت ابنتها، وهي تظن أنها بعض نسائهن حتى جلســـت بيـــن يديه، فلما نظرت إليه قامت مبادرة فخرجت، ونظر إليها فإذا هي من أجمل العرب.

قال: ووقع حبها في قلبه. فخرج من عندها، وما يدري أين يسلك، فأتى أباه، فأخبره برســـالتهن، وجعل الفتى ينحل ويذوب جسمه، وتغير عما كان عليه، ولزم الوحدة والفكر، وجعل الناس يظنون أن الذي به من عبادة قد لزمها، حتى سقط على فراشه.



فلما رآه أبوه على تلك الحال دعا له الأطباء والمعالجين، فجعلوا ينظرون إليه، فكل يصف له دواء، ويقول: به داء لا يقوله صاحبه، والفتى مع ذلك ساكت لا يتكلم، حتى إذا طالت علته واشتد عليه الأمر دعا أبوه فتيانا من الحي، وإخوانه الذين كانوا له أنسا، فقال لهم: اخلوا به وسلوه عن علته لعله يخبركم ببعض ما يجده، فأتوه فكلموه وسألوه، فقال: والله ما بي علة أعرفها فأبينها لكم، وأخبركم بما أجد منها، فأقلوا الكلام.

وكان الفتى فطنا ذا عقل، فلما طال به الوجد دعا امرأة من بعض أهله فخلا بها، وقال: إني ملق إليك حديثا ما ألقيته إليك إلا عند الإياس من نفسي، فإن ضمنت لي كتمانه أخبرتك، وإلا صبرت حتى يحكم الله في أمري ما يحب، وبعد، فوالله ما أخبرت به أحدا قبلك، ولئن كتمت علي لا أخبر به أحدا بعدك، وإن هذا البلاء الذي أرى بي لا شك قاتلي، وإنه يجب على في محبتي له أن أكون لمن أحب صائنا وعليه مشفقا من تزيد الناس وإكثارهم حتى يصير الصغير كبيرا، والكبير عندهم الباقي ذكره أبدا، الله الله في أمري، واجعليه محرزا في صدرك فإن فعلت فلك حسن المكافأة، وإن أبيت فالله يحسن لك الشكر.

فقالت له المرأة: قل يا بني ما بدا لك، فو الله ما أجد في الدنيا أحدا أحب بقاءه غيرك، وكيف لي أن يكون عندي بعض دوائك، فوالله لأكتمن أمرك ما بقيت أيام الدنيا. فقال لها إن قصتي كذا وكذا! فقالت له: يا بني أفلا أخبرتنا، فوالله ما رأيت كلمة أسكن بمجامع القلب فلا تفارقه أبدا، من كلمة: محب عاشق أخبر من يحبه أنه له وامق، فتلك الكلمة تزرع في قلوب ذوي الألباب شجرا لا تدرك أصوله. فقال لها: ومن لي بها، وكيف السبيل إليها وقد بلغك حالها وقصتها وشدة اجتهادها وعبادتها؟ قالت له: يا بني علي أن آتيك بما تسر به.

قال: فلبست ثوبها وأتت منزل الجارية، فدخلت فسلمت على أمها وحادثتها ساعة، فسألتها أمها عن حاله وعن وجعه، فقالت: والله لقد رأيت الأوجاع والآلام، فما رأيت وجعا قط كوجعه، وإن وجعه يزيد في كل يوم، وألمه يترقى، وهو في ذلك صابر غير شاك لا يفقد من جوارحه شيئا، و لا من عقله، فقالت أمها: أفلا تدعون له الأطباء ! قالت: بلى، والله فما وقع أحد منهم على دائه، ولا يفقه دواءه.



ثم قامت فدخلت على الجارية في بيتها الذي كانت تتعبد فيه، فسلمت عليها، وحادثتها ساعة، وقد كان وقع إلى الجارية خبره، فعلمت أن ذلك من أجلها، فقالت لها المرأة: يا بنية أبليـــت شبابك وأفنيت أيامك على هذه الحال التي أنت عليها. قالت: يا عمتاه أية حال سوء ترينـــي عليها؟ قالت: لا يا بنية، ولكن مثلك يفرح في الدنيا ويلذ فيها ببعض ما أحل الله عز وجـــل لك، غير تاركة لطاعة ربك ولا مفارقة لخدمته، فيجمع الله لك بذلك الدارين جميعا، فوالله ما حرم الله، عز وجل، على عباده ما أحل لهم.

فقالـــت: يا عمتاه، أو هذه الدار دار بقاء لا انقطاع لها و لا فناء فتكون الجوارح قد وثقـــت بذلك، فتجعل لله تعالى منظر هممها، وللدنيا شطرها: فتعد الجوارح إذا التعب راحة والكد سلامة، أم هذه الدار دار فناء و تلك دار بقاء ومكافأة، والعمل على حسب ذلك.

قالت: يا بنية لا، ولكن الدنيا دار فناء وانقطاع وليست بباقية على أحد، ولا دائمة له، ولكـــن قد جعل الله تعالى لعباده فيها ساعات صدقة منه على النفوس، تنال فيها ما أحل لها من مخافة الشدة عليها.

فقالـــت الجارية: صدقت يا عمتاه، ولكن لله عباد قد علموا وصح في هممهم شئ من ذخـــر ذخروه عنده، فجعلوا هذا الشكر الذي جعله ذخيرة عنده، إذ لم تكن الدنيا كاملة لهم، ولا متنقصـــون شـــيئا قدموه لأنفسهم، وسكنت نفوسهم ورضيت منهم بالصبر على الطاعة لتنال جملة الكرامة. وإن كلامك ليدلني على أن تحته علة، وهو الذي حملك على مناظرتك لـــي على مثل هذا، وقد كنت أظن قبل اليوم فيك أنك تأمرين بالحرص على طاعة الله، عز وجـــل، والخدمـــة لـــــه، والتقرب إليه بالأعمال الزكية التي تبلغ رضاه وترفع عنده، فقد أصـــبحت متغيرة عن ذلك العهد الذي كنت أعهدك عليه، فأخبريني بما عندك وأوضحي لي مـــا في نفسك، فإن يكن لك جواب أعتبتك[1]، وإن يكن فيه حظ تابعتك، وإن يكن أمرا بعيدا من الله تعالى وعظتك.

(1) أعتبتك: أزلت عتبك.



قالـــت: يا بنية فأنا مخبرتك به، والذي منعني من إلقائه إليك هيبتك، فأما إذ بسطتني وعلمت أن عندي خيرا وأمرتني بإلقائه، فإن من قصة فلان كذا وكذا.

قالت: قد ظننت ذلك فأبلغيه مني السلام، وقولي: أي أخاه! إني والله قد وهبت نفسي لملـــيك يكافـــئ من أقرضه بالعطايا الجزيلة، ويعين من انقطع إليه وخدمه بالهمم الرفيعة، ولـــيس إلى الرجوع بعد الهبة سبيل، فتوسل إلى مولاك ومولاي بمحابه، واضرع إليه في غفران ما قدمت يداك من عمل لم يهبه فيه، ولم يرضه، فهو أول ما يجب عليك أن تسأله، وأول مـــا يجب علي أن أعظك به، فإذا خدمته بقدر ما عصيته طاب لك الفراغ من سؤال شهوات القلوب وخطرات الصدور، فإنه لا يحسن بعبد كان لمولاه عاصيا وعن أمره موليا ناســـيا أن ينسى ذنوبه والاعتذار منها، ويلزم نفسه مسألة الحوائج لعلها داعية له إلى الفتنة إن لـــم يتداركه الله تعالى بكرمه، فاستنقذ نفسك يا أخي من مهلكات الذنوب، فإن لـــه فضلا وســـع كل شئ، ولست مؤنستك من فضله إن رآك متبتلا إليه، ومما قدمت يداك معتذرا أن يمـــن بـــي عليك، فإنه الملك الذي يجود على من ولى عنه بكرمه، فكيف من أقبل إليه، فلا يشـــك أنه إذا جاد على من تولى عنه، يكون لمن أطاعه مكرما وإليه وقت الندامة مسرعا، وما أبقيت لك حجة تحتج بها، فليكن ما أخبرتك به نصب عينك ولا تراددني في المسألة، فلا أجيبك والسلام.

قال: فقامت المرأة من عندها، فأتته، فأخبرته بمقالتها. قال: فبكى بكاء شديدا، فقالت له العجوز: والله يا بني ما رأيت امرأة خوف الله، عز وجل، في صدرها، مثل هذه المرأة، فاعمل بما أمرتك به، فقد، والله، بالغت في النصيحة، وأحسنت الموعظة، فلا تلق نفسك في مهلكـــات الأمـــور، فتندم حيث لا تغني الندامة، ولو علمت يا بني أن حيلة تنفذ غير الذي دعتك إليه لاحتلتها، ولكان عندي من ذلك ما أرجو أن أكون محتالة، ولكني رأيت الله، عز وجـــل، قـــد جعلته نصب عينيها، فهي بقلبها إليه ناظرة، ومن جعل الله، عز وجل، نصب عينيه، لها عن زينة الحياة الدنيا، ورفعتها، واشتغل بما قد جعله نصب عينيه.

وجعل يبكي ويقول: كيف لي بالبلوغ إلى ما دعت إليه، ومتى يكون آخر المدة التي



نلتقـــي فـــيها؟ قال: فاشتد وجعه ذلك، وحال عن ذوي العقول، فلما نظر القوم إليه في تلك الحـــال، وجعل لا يقره قرار، حبسوه في بيت،وأوثقوه، وتوهم القوم أن الذي به من عشق، فكـــان ربمـــا أفلت فيخرج من منزله فيجتمع عليه الصبيان، فيقولون لـــه: مت عشقا، مت عشقا! فكان يقول:

أأفشـــي إلـــيكم بعـــض مـــا قـــد يهيجـــني ... أم الصـــبر أولـــى بالفـــتى عـــند ما يلقى

أأوعـــد وعـــدا مـــا لـــــه، الدهـــر، آخر ... وأومـــر بالـــتقوى، ومـــن لـــي بالـــتقوى

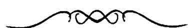
ســـلام علـــى مـــن لا أســـميه باســـمه ... ولو صرت مثل الطير في قفص يلقـــــى

ألا أيهـــا الصـــبيان لـــو ذقـــتم الهـــوى ... لأيقنـــــتم أنـــــى محدثكـــــم حقـــــا

ألا أيهـــا الصـــبيان لـــو ذقـــتم الهـــوى ... تقولون لي: مت يـــا شـــجاع بـــها عشـــقا

فلـــم تنصـــفوني، لا، ولا هـــي أنصـــفت ... فـــرفقا رويـــدا، ويحكـــم بالفـــتى رفقـــا

فلما صح ذلك عند أهله وعلموا أنه عاشق جعلوا يسألونه عن أمره، فكان لا يجيبهم، وكتمت العجوز قصته، فأخذوه فحبسوه في بيت فلم يزل فيه حتى مات، رحمه الله.



4 حكاية عذرية : مُفَدّاه ... وُزرْعَه

كان بذمار[1] فتى من حمير، من أهل بيت شرف يقال لـــه: زرعة ابن رقيم، وكان جمـــيلا شـــاعرا لا تراه امرأة إلا صبت إليه، وكان في ظهر ذمار رجل شيخ كثير المال، وكانت له بنت تسمى مفداه، بارعة الجمال، حصيفة اللب، ذات لسان مصلق[2]، تفحم البليغ، وتخرس المنطيق، وكان زرعة يتحدث إليها في فتية من الحي، وكان ممن يتحدث إليها فتى مـــن قومها يقال لـــه حيي، ذو جمال وعفاف وحياء، فكانت تركن إلى حديثه، وتشمئز من زرعـــة لرهقه[3]، فساء ذلك زرعة وأحزنه، فاجتمعا ذات يوم عندها فرأى إعراضها عنه وإقبالها على حيي، فقال:

صـــدود وإعـــراض وإظهـــار بغضـــه، عـــلام ولـــم يـــا بنـــت آل العذافـــر ؟

فقالت:

علـــى غـــير مـــا شـــر، ولكـــنك امـــرؤ عـــرفـــت بغل المومـــســـات العـــواهر[4]

فقال حيي:

جمـــالك يـــا زرع بـــن ارقـــم إنمـــا تناجـــي الـــقـــلوب بالعـــيون الـــنواظـــر

---

(1) ذمار: بلدة على مرحلتين من صنعاء.

(2) مصلق: بليغ.

(3) رهقه: خفة عقله وجهله.

(4) أرادت بغل المومسات: انه يدخل على المومسات ويعاشرهن.

فقال زرعة:

فــإن يــك ممــا خــس حظــي لأننــي ... أصــــابي فتصــبيني عــيون القصــائر[1]

وإنـــــي كـــــريم لا أزن بريـــــبة ... ولا يعــــتري ثــوبـــيَّ رِيْنُ المعــاير[2]

فقالت المفداة:

كــذاك فكــن، يســلم لــك العــرض، إنه ... جمــال امــرئ أن يــرتدي عــرض طاهر

فقال حيي:

حـــياء كمـــا لا تعصـــياه، فإنمـــا ... يـــكون الحــياء من تــوقي المــعــاير

فانصرف زرعة وقد خامره من حبها ما غلب على عقله، فغبر[3] أياما عنها، وامتنع من الطعام والشراب والقرار، وأنشأ يقول:

يـــا بغـــية أهـــدت إلـــى القلـــب لوعـــة ... لقــد خبئــت لــي منك إحدى الدهارس [4]

ومـــا كنـــت أدري والـــبلايا مظلـــة ... بــأن حمامـــي تحـــت لحـــظ مخـــالس

جلســت علـــى مكـــتوبة القلـــب طائعـــا، ... فـــيا طـــوع محـــبوس لأعـــنف حـــابس

فشاع هذا الشعر في الحي وبلغ المفداة، فاحتجبت عنه، وامتنعت من محادثة الرجال، فامتــنع مــن الحركة والطعام، فغبر على ذلك حول، ومات عظيم من عظماء القبائل فبرز مـــأتم النساء، فبلغ زرعة أن المفداة في المأتم، فاحتمل حتى تناءى نشزا، واجتمع إليه لداته

---

(1) خس حظي: صار خسيسنا.

(2) أزن: أوسم. الرين: الدنس.

(3) غبر: امتنع.

(4) الدهارس: الدواهي.

يفندون رأيه ويعذلونه، فأنشأ يقول:

لـم يلـم فـي الوفـاء مـن كـتم الـ ـحـب وأغضـى علـى فـؤاد لهـيد [1]

صـابنا ذاك لاسـم مـن جلـب السـقـ ـم علـيه ونفسـه فـي الوريـد [2]

ثـم شـهق، فمات، وتصايح أصحابه ونساؤه، وبلغ المفداة خبره، فقامت نحوه حتى وقفـت علـيه، وقـد تعفـر وجهه، وأهله ينضحونه بالماء، فهمت أن تلقي نفسها عليه، ثم تماسـكت، وبـادرت خباءها، فسقطت تائهة العقل، تكلم فلا تجيب، سحابة يومها، فلما جن عليها الليل رفعت عقيرتها فقالت:

بنفسـي يـا زرع بـن أرقـم لوعـة طـويت عـليها الـقـلب والسر كاتـم[3]

لئـن لـم أمـت حـزنا علـيه فإننـي لألأم مـن نيطـت علـيه الـتمائم [4]

لئـن فتنـي حـيا فلـيس بفائـتي جـوارك ميـتا حيـث تبلـي الـرمائم [5]

ثم تنفست نفسا نبه من حولها فإذا هي ميتة فدفنت إلى جنبه.

وقالت امرأة من حمير أشبلت[6] على ولدها بعد زوجها:

وفيـت لابـن مـالك بـن أرطـاه كمـا وفـت لـزرعة المفـداه

والله لاخسـت بـه أو ألقـاه حيـث يلاقـي وامـق مـن يهـواه [7]

---

(1) اللهيد : الحسير.

(2) الوريد : عرق في العنق.

(3) كاتم: أي مكتوم، مجاز عقلي.

(4) نيطت : ربطت   التمائم : التعاويذ، الواحدة تميمة.

(5) الرمائم : العظام البالية.

(6) أشبلت المرأة على أولادها: قامت عليهم بعد وفاة زوجها.

(7) خست به : أنقصت من حقه   الوامق المحب.

مـــن ممـــتط ناحـــية، شـــمرداه وعاثـــر قـــد خذلـــته رجـــلاه [1]

تـريد قـول الجاهلـية: إن الـناس يحشرون ركبانا على البلايا، ومشاة إن لم تعقر مطاياهم على قبورهم، و هذا شئ كان من فعل الجاهلية.

5 نهـايـة عذريـة

حدثنا شبابة بن الوليد العذري :

أن فـتى مـن بني عذرة، يقال له أبو مالك بن النضر، كان عاشقا لإبنة عم له عشقا شديدا، فلم يزل على ذلك مدة، ثم إنه فقد بضع عشر سنة، ولم يحس له خبر.

قال شبابة بن الوليد: فضلت إبل لي، فخرجت في طلبها، فبينا أنا أسير في الرمال إذا بهاتف يهتف بصوت ضعيف، وهو يقول:

يـا ابـن الولـيد ألا تحمـون جـاركم، وتحفظـون لـه حـق القـرابات

عهـدي إذا جـار قـوم نابـه حـدث وقـوه مـن كـل أضـرار الملمـات

هـذا أبـو مـالك الممسـي بـبلقعة، مـع الضـباع وآسـاد بغابـات

طلـيح شـوق بـنار الحـب محـترق تعـتاده زفـرات إثـر لوعـات

---

(1) شمرداة: لم نجد اللفظة في المعجم ولعلها تصحيف شمردلة: الناقة الحسنة الخلق (مؤنث شمردل).



أمـــا الــــنهار فيضــــنيه تذكــــره   والليـل مرتقـب للصـبح هـل يأتـي ؟

يهـذي بجاريـة مـن عـذرة اختلسـت   فـؤاده، فهـو مـنها فـي بليـات

فقلـت: دلنـي عليه، رحمك الله، فقال: نعم، اقصد الصوت، فلما قصدت غير بعيد سمعت أنينا من خباء فأصغيت إليه، فإذا قائل يقول:

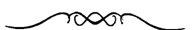
يـا رسـيس الهـوى أذبـت فـؤادي   وحشـوت الحشـا عذابـا أليـما

فدنـوت منه، فقلت: أبو مالك؟ قال: نعم! قلت: ما بلغ بك ما أرى؟ قال: حبي سعاد ابنة أبي الهـيثم العذري، فشكوت يوما إلى ابن عم لنا من الحي ما أجد من حبها، فاحتملني إلى هذا الوادي، منذ بضع عشرة سنة، ويأتيني كل يوم بخبرها، ويقوتني، حفظه الله، من عنده. فقلت له: إني أصير إلى أهلها، فأخبرهم بما رأيت، قال: أنت وذاك.

فانصـرفت، وصـرت إلى أهل الجارية، فخبرتهم بحال الفتى، وما رأيت منه، وحدثتهم حديـثه، فـرقوا له فزوجوه بحضرتي، ورجعت إليه عامدا لأفرج عنه لما رأيت منه،فلما أخبرته الخبر، حدد النظر إلي، ثم تأوه تأوها شديدا بلغ من قلبي، ثم أنشأ يقول:

الآن إذ حـشـرجت نـفـسي وحـاصرها   فـراق دنـيا، وناداهـا مـناديها

ثـم زفـر زفـرة، فمات، فدفنته في موضعه ثم انصرفت فأعلمتهم الخبر، فأقامت الجارية ثلاثا لا تطعم طعاما ثم ماتت.



6 تـداعيـات

عن جويرية بن أسماء، عن عمه قال :

حججت فإني لفي رفقة مع قوم إذ نزلت منزلا ومعنا امرأة، فنامت، وانتبهت، وحية منطوية عليها قد جمعت رأسها وذنبها بين ثدييها، فهالنا ذلك وارتحلنا، فلم تزل منطوية عليها لا تضرها، حتى دخلنا أنصاب الحرم فانسابت، فدخلنا مكة فقضينا نسكنا. فرآها الغريض[1] فقال: أي شقية ما فعلت حيتك؟ قالت: في النار! فقال: ستعلمين من في النار، ولم أفهم ما أراد فظننت أنه مازحها، واشتقت إلى غنائه، ولم يكن بيني وبينه ما يوجب ذلك عليه، فأتيت بعض أهله، فسألته ذلك فقال: نعم، فوجه إليه أن اخرج بنا إلى موضع كذا وكذا، ثم قال لي: اركب بنا، فركبنا حتى سرنا قدر ميل، فإذا الغريض هناك، فنزلنا، فإذا طعام معد، وموضع حسن، فأكلنا وشربنا، ثم قال: يا أبا يزيد هات بعض طرائفك! فاندفع يغني، ويوقع بقضيب:

مرضت فلم تحفل على جنوب ... وأدنفت، والممشي إلى قريب

فلا يبعد الله الشباب وقولنا ... إذا ما صبونا صبوة ستتوب

فلقد سمعت شيئا ظننت أن الجبال التى حولنا تنطق معه شجا صوت

وطيب غناء، وقال لي: أتحب أن نزيدك؟ فقلت: إي والله، فقال له: هذا ضيفك وضيفنا، وقد رغب إليك وإلينا، فأسعفه بما يريد.

فاندفع يغني بشعر مجنون بن عامر:

---

(1) الغريض: مغن مشهور.

عفـــى الله عـــن لـــيلى الغـــداة، فإنهـــا إذا وليـــت حكمـــا علـــي تجـــور

أأتـــرك لـــيلى لـــيس بينـــي وبيـــنها ســـوى لـــيلة ؟ إنـــي إذا لصـــبور

فمـــا عقلت بما غنى من حسنه، إلا بقول صاحبي: نجور عليك يا أبا يزيد، عرض بأنـــي لمـــا وليت الحكم عليه، جرت في سؤالي إياه أكثر من صوت. فقلت لـــه بعد ساعة، ســـرا: جعلـــت فداءك إني أريد المضي في أصحابي، نريد الرحلة، وقد أبطأت عليهم، فإن رأيـــت أن تسأله، حاطه الله من السوء والمكروه، أن يزيدني لحنا واحدا، فقال: يا أبا يزيد! أتعلـــم مـــا هو أشهى إلى ضيفنا؟ قال: نعم، أرادك على أن تكلمني في أن أغنيه. قلت: فهو والله ذاك، فاندفع يغني:

خـــذي العـــفـــو مني تستديمي مـــودتي، ولا تنطقـــي فـــي ســـورتي حين أغـــضب

فإنـــي رأيـــت الحـــب في الصدر والأذى إذا اجـــتمعا، لـــم يلبـــث الحـــب يذهـــب

فقـــال لـــــه: قـــد أخذنا العفو منك، واستدمنا مودتك، ثم أقبل علينا فقال: ألا أحدثكم بحديـــث حسن؟ قلنا: بلى! فقال: قال شيخ من أهل العلم وبقية الناس وصاحب علي بن أبي طالـــب، وخلـــيفة عبد الله بن عباس على البصرة، أبو الأسود الدؤلي لابنته ليلة البناء: أي بنـــية! النســـاء كن بوصيتك وتأديبك أحق مني، ولكن لابد مما لابد منه. يا بنية: إن أطيب الطيـــب المـــاء، وأحســـن الحسن الدهن، وأحلى الحلاوة الكحل. يا بنية لا تكثري مباشرة زوجك فيملك، ولا تتباعدي عنه فيجفوك، ويعتل عليك. وكوني كما قلت لأمك:

خـــذي العـــفـــو مني تستديمي مـــودتي، ولا تنطقـــي فـــي ســـورتي حين أغـــضب

فإنـــي رأيـــت الحـــب في الصدر والأذى إذا اجـــتمعا، لـــم يلبـــث الحـــب يذهـــب

فقلت له: فديتك ما أدري غناؤك أحسن أم حديثك، والسلام عليك، ونهضت وركبت، وتخلـــف الغريض وصاحبه في موضعهما، وأتيت أصحابي وقد أبطأت، فرحلنا منصرفين،

حــتى إذا كــنا في المكان الذي رأيت فيه الحية منطوية على صدر المرأة، ونحن ذاهبون، رأيــت الحية والمرأة وهي منطوية عليها فلم ألبث أن صفرت الحية فإذا الوادي يسيل علينا حــيات، فنهشنها حتى بقيت عظاما، فطال تعجبنا من ذلك، ورأينا ما لم نر مثله قط، فقلت لجارية كانت معنا: ويحك أخبرينا عن هذه المرأة! قالت: علقت ثلاث مرات، وكل مرة تلد ولــدا، فــإذا وضعته سجرت[1] التنور، ثم ألقته فيه، فذكرت قول الغريض، حين سألها عن الحية فقالت في النار: ستعلمين من في النار.

7 يا هــلال

حدثنا أبو القاسم بإسناد له عن ابن الأشدق قال:

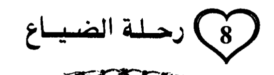
كنــت أطوف بالبيت، فرأيت شابا تحت الميزاب قد ادخل رأسه في كسائه، وهو يئن كــالمحموم، فســلمت، فرد السلام، ثم قال: من أين؟ قلت: من البصرة. قال: أترجع إليها؟ قلــت: نعــم! قال: فإذا دخلت النباج[2]، فاخرج إلى الحي، ثم ناد: يا هلال يا هلال، تخرج إليك جارية فتنشدها هذا البيت:

لقــد كنــت أهــوى أن تكــون منيتــي ... بعينــيك حــتى تــنظري ميــت الحــب

ومــات مكانه، فلما دخلت النباج أتيت الحي، فناديت: يا هلال يا هلال، فخرجت إلي جارية لم أر أحسن منها، وقالت: ما وراءك؟ قلت: شاب بمكة أنشدني هذا البيت. قالت: وما صنع؟ قلت: مات، فخرت مكانها ميتة.

(1) سجرت التنور: ملأته وقودا وأحمته.
(2) النباج: قرية في البادية.

8 رحلة الضياع



هشام بن محمد بن السائب الكلبي قال:

كـــان بالمدينة رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف، وكان شاعرا، وكانت عنده ابنة عم لـــه، وكان لها عاشقا، وبها مستهترا، فضاق ضيقة شديدة، وأراد المسير إلى هشام إلى الرصـــافة، فمـــنعه من ذلك ما كان يجد بها، وكره فراقها، فقالت لـــه يوما، وقد بلغ منها الضـــيق: يـــا ابن عمي! ألا تأتي الخليفة لعل الله تعالى أن يقسم لك منه رزقا، فنكشف به بعـــض ما نحن فيه. فلما سمع ذلك منها نشط للخروج، فتجهز، ومضى، حتى إذا كان من الرصـــافة على أميال خطر ذكرها بقلبه، وتمثلت لـــه، فلبث ساعة شبيها بالمغمي عليه، ثم أفاق،

فقال للجمال: احبس، فحبس إبله، فأنشأ يقول

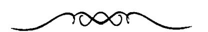
بيـــنما نحـــن فـــي بلاكـــث فلقـــا	**ـــع سـراعا، والعـيس تهوي هويا [1]**
خطـرت خطـرة علـى القلـب من ذكـ	**ـــراك، وهـــنا، فمـــا أطقـت مضـيا**
قلـت: لبـيك، إذ دعـــاني لـــك الشـو	**ـــق، وللحاديـــن ردا المطــــيا**
فكـــررنا صـــدور عـــيس عـــتاق،	**مضـــمرات، طويـــن بالســـير طــيا**
ذاك ممـــا لقيـــن مـــن دلـــج السـيـ	**ـــر، وقـــول الحداة،بالليـــل: هــيا**

ثم قال للجمال: ارجع بنا! فقال له: سبحان الله، قد بلغت طيتك! هذه أبيات الرصافة.

---

(1) بلاكث والقاع: موضعان.

فقــال: والله لا تخطو خطوة إلا راجعة، فرجع، حتى إذا كان من المدينة على قدر ميل لقيه بعض بني عمه، فأخبره أن امرأته قد توفيت، فشهق شهقة، وسقط عن ظهر البعير ميتا.



9 عـامــر وجـمـيـلة



قال الأصمعي:

رأيــت بالبادية رجلا قد دق عظمه، وضؤل جسمه، ورق جلده، فتعجبت فدنوت منه أســأله عن حاله، فلم يرد جوابا، فسألت جماعة حوله عن حاله، فقالوا: اذكر لــه شيئا من الشعر يكلمك، فقلت:

ســبق الــقضــاء بــأنني لك عــاشــق ... حتى الـمـمات، فأين مـنـك مـذاهـبـي؟

فشهق شهقة ظننت أن روحه قد فارقته، ثم أنشأ يقول:

أخلــو بذكــرك لا أريــد محدثــا، ... وكفــى بــذاك نعمــة وســرورا

أبكــي فيـطـربــني الـبـكاء، وتــارة ... يــأبى، فيأتــي مــن أحــب أســيرا

فــإذا أنــا ســمح بفــرقة بينــنا، ... أعقبــت مــنه حســرة وزفــيرا

قــال، فقلت: أخبرني عن حالك؟ قال: إن كنت تريد علم ذلك، فاحملني وألقني على باب تلك الخيمة! ففعلت، فأنشأ يقول بصوت ضعيف يرفعه جهده:

ألا مــا للملــيحة لا تعــود، ... أبخــل ذك مــنها أم صــدود ؟

فلـــو كنـــت المريضـــة جئـــت أســـعى إليـــك، ولـــم ينهنهنـــي الوعـــيد

فـإذا جارية مثل القمر قد خرجت، فألقت نفسها عليه، فاعتنقا، وطال ذلك فسترتهما بثوبـي خشية أن يراهما الناس. فلما خفت عليهما الفضيحة، فرقت بينهما، فإذا هما ميتان، فمـا برحت حتى صليت عليهما، ودفنا، فسألت فقيل لي: عامر بن غالب وجميلة بنت أُمَيْل المزنيان، فانصرفت.



10 الحب احتسابًا

سمعت مريم امرأة أبي عثمان تقول:

صادفت من أبي عثمان خلوة، فاغتنمتها، فقلت: يا أبا عثمان! أي عملك أرجى عندك؟ فقـال: يا مريم! لما ترعرعت، وأنا بالري، وكانوا يريدونني للتزويج، فأمتنع، جاءتني امرأة فقالت: يا أبا عثمان! قد أحببتك حبا ذهب بنومي وقراري، وأنا أسألك بمقلب القلوب، وأتوسل إلـيك بـه أن تـتزوج بي. قلت: ألك والد؟ قالت: نعم، فلان الخياط، في موضع كذا وكذا. فراسـلت أباها أن يزوجها إياي، ففرح بذلك وأحضر الشهود، فتزوجت بها. فلما دخلت بها وجدتها عوراء عرجاء مشوهة الخلق، فقلت: اللهم لك الحمد على ما قدرته لي.

فكان أهل بيتي يلومونني على ذلك، فأزيدها برا وإكراما، إلى أن صارت بحيث لا تدعني أخرج من عندها، فتركت حضور المجلس إيثارا لرضاها، وحفظا لقلبها، ثم بقيت معهـا علـى هذه الحال خمس عشرة سنة، وكأني في بعض أوقاتي على الجمر، وأنا لا أبـدي لها شيئا من ذلك إلى أن ماتت، فما شئ أرجى عندي من حفظي عليها ما كان في قلبها من جهتي.



11 بشر وجيداء

« البديل فائزا »



حدثنا نمير بن قحيف الهلالي قال:

كان في بني هلال فتى يقال له بشر، ويعرف بالأشتر، وكان سيدا حسن الوجه، شديد القلب، سخي النفس، وكان معجبا بجارية من قومه تسمى جيداء، وكانت الجارية بارعة، فاشتهر أمره وأمرها ووقع الشر بينه وبين أهلها، حتى قتلت بينهم القتلى، وكثرت الجراحات، ثم افترقوا على أن لا ينزل أحد منهم بقرب الآخر.

فلما طال على الأشتر البلاء والهجر جاءني ذات يوم، فقال: يا نمير! هل فيك من خير؟ قلت: عندي كل ما أحببت. قال: أسعدني على زيارة جيداء، فقد ذهب الشوق إليها بروحي، وتنغصت علي حياتي، قلت: بالحب والكرامة، فانهض إذا شئت.

فركب وركبت معه، فسرنا يومنا وليلتنا، حتى إذ كان قريبا من مغرب الشمس نظرنا إلى منازلهم، ودخلنا شعبا خفيا، فأنخنا راحلتينا، وجلين، فجلس هو عند الراحلتين، وقال: يا نمير! اذهب بأبي أنت وأمي، فادخل الحي واذكر لمن لقيك أنك طالب ضالة، ولا تعرض بذكري بين شفة ولسان، فإن لقيت جاريتها فلانة الراعية، فأقرئها مني السلام، وسلها عن الخبر، وأعلمها بمكاني.

فخرجت لا أعذر فى أمري حتى لقيت الجارية فأبلغتها الرسالة، وأعلمتها بمكانه، وسألتها عن الخبر، فقالت: بلى، والله، مشدد عليها، متحفظ منها، وعلى ذلك فموعدكما الليلة عند تلك الشجرات اللواتي عند أعقاب البيوت.

فانصرفت إلى صاحبي، فأخبرته الخبر، ثم نهضنا نقود راحلتينا، حتى جاء الموعد،

فلـــم نلبث إلا قليلا إذا جيداء قد جاءت تمشي حتى دنت منا، فوثب إليها الأشتر، فصافحها وســـلم عليها، وقمت موليا عنهما، فقالا: إنا نقسم عليك إلا ما رجعت، فوالله ما بيننا ريبة، ولا قبـــيح نخلـــو بـــه دونك. فانصرفت راجعا إليهما حتى جلست معهما، فتحدثنا ساعة، ثم أرادت الانصـــراف، فقال الأشتر أما فيك حيلة يا جيداء، فنتحدث ليلتنا، ويشكو بعضنا إلى بعض؟قالـــت: والله ما إلى ذلك من سبيل إلا أن نعود إلى الشر الذي تعلم. قال لها الأشتر: لابد من ذلك، ولو وقعت السماء على الأرض. فقالت: هل فى صديقك هذا من خير أو فيه مســـاعدة لنا؟ قال: الخير كله. قالت: يا فتى! هل فيك من خير؟ قلت: سلي ما بدالك، فإني منته إلى مرادك، ولو كان في ذلك ذهاب روحي.

فقامـــت فنزعت ثيابها، فخلعتها علي، فلبستها، ثم قالت: اذهب إلى بيتي، فادخل في خبائي، فإن زوجي سيأتيك بعد ساعة، أو ساعتين، فيطلب منك القدح ليحلب فيه الإبل، فلا تعطه إياه حتى يطيل طلبه، ثم ارم به رميا، ولا تعطه إياه من يدك، فإني كذا كنت أفعل به، فيذهب فيحلب، ثم يأتيك عند فراغه من الحلب و القدح ملأن لبنا، فيقول: هاك غبوقك، فلا تـــأخذ منه حتى تطيل نكدا عليه، ثم خذه أو دعه حتى يضعه، ثم لست تراه حتى تصبح، إن شاء الله.

قال: فذهبت، ففعلت ما أمرتني به، حتى جاء القدح الذي فيه اللبن أمرني أن آخذه فلم آخذه، حتى طال نكدي، ثم أهويت لآخذه، وأهوى ليضعه، واختلفت يدي ويده، فأنكفأ القدح، واندفـــق مـــا فـــيه، فقال: إن هذا طماح مفرط. وضرب بيده إلى مقدم البيت فاستخرج منه سوطا مفتولا كمتن الثعبان المطوق، ثم دخل علي، فهتك الستر عني وقبض بشعري، واتبع ذلـــك السوط متني، فضربني تمام ثلاثين، ثم جاءت أمه وإخوته، وأخت له، فانتزعوني من يـــده، ولا والله مـــا أقلعوا، حتى زايلتني روحي، وهممت أن أوجره السكين، وإن كان فيه الموت.

فلمـــا خرجوا عني، وهو معهم، شددت ستري، وقعدت كما كنت، فلم ألبث إلا قليلا حتى دخلت أم جيداء علي تكلمني، وهي تحسبني ابنتها، فاتقيتها بالسكات والبكى، وتغطيت

بثوبي دونها. فقالت: يا بنية! اتقي الله ربك ولا تعرضي لمكروه زوجك فذاك أولى بك، فأما الأشتر، فلا أشتر لك آخر الدهر.

ثم خرجت من عندي، وقالت: سأرسل إليك أختك تؤنسك، وتبيت عندك الليلة. فلبثت غير ما كثير، فإذا الجارية قد جاءت فجعلت تبكي وتدعو على من ضربني، وجعلت لا أكلمها، ثم اضطجعت إلى جانبي، فلما استمكنت منها شددت بيدي على فيها، وقلت: يا هذه!تلك أختك مع الأشتر، وقد قطع ظهري الليلة في سببها. وأنت أولى بالستر عليها، فاختاري لنفسك، ولها، فوالله لئن تكلمت بكلمة لأصيحن بجهدي حتى تكون الفضيحة شاملة، ثم رفعت يدي عنها، فاهتزت الجارية كما تهتز القصبة من الزرع، ثم بات معي منها أملح رفيق رافقته، وأعفه وأحسنه حديثا، فلم تزل تتحدث، وتضحك مني ومما بليت به من الضرب حتى برق النور، إذا جيداء قد دخلت علينا من آخر البيت، فلما رأتنا ارتاعت، وفزعت، وقالت: ويلك! من هذا عندك؟ قلت: أختك. قالت: وما السبب؟ قلت: هي تخبرك، ولعمر الله إنها لعالمة بما نزل بي.

وأخذت ثيابي منها، ومضيت إلى صاحبي، فركبنا، ونحن خائفان، فلما سري عنا روعنا، حدثته ما أصابني، وكشفت عن ظهري، فإذا فيه ما غرس الله من ضربه إلى جانب أخرى، كل ضربة تخرج الدم وحدها. فلما رآني الأشتر قال: لقد عظمت صنيعتك ووجب شكرك، إذ خاطرت بنفسك، فبلغني الله مكافأتك.



12 يكفي من العشق النظر

بعض العمريين قال:

بيــنا أنـــا يوما في منزلي إذ دخل علي خادم لي، فقال لي: رجل بالباب معه كتاب. فقلت لـــه: ادخله، أو خذ كتابه. قال: فأخذت الكتاب منه، فإذا فيه هذه الأبيات:

تجنـــبك الـــبلا، ولقيـــت خـــيرا، وســـلمك المليـــك مـــن الغـــموم

شـــكون بـــنات أحشـــائي إلـــيكم هـــواي حيـــن ألفتنـــي كـــتوم [1]

وحاولـــن الكـــتاب إلـــيك فـــي مـــا يخامـــرها، فدتـــك مـــن الهمـــوم

وهـــن يقلـــن يـــا ابـــن الجـــود : إنـــا برمـــنا مـــن مـــراعاة الـــنجوم

وعـــندك، لـــو مننت،شـــفاء ســـقـمي لأعضـــاء ضـــنين مـــن الكلـــوم

فلمـــا قرأت الأبيات قلت: عاشق. فقلت للخادم: ادخله، فخرج إليه الخادم بالخبر فلم يجده، فقلت أخطأت، فما الحيلة؟ فارتبت في أمره، وجعل الفكر يتردد في قلبي، فدعوت جـــواري كلهن ممن يخرج منهن ومن لا يخرج فجمعتهن ثم قلت: أخبرنني الآن قصة هذا الكتاب.

قـــال: فجعلن يحلفن. وقلن: يا سيدنا ما نعرف لهذا الكتاب سببا وإنه لباطل. ثم قلن: مـــن جاء بهذا الكتاب؟ فقلت: قد فاتني. وما أردت بهذا القول لأني ضننت عليه بمن يهوى

---

(1) قوله : شكون بنات، لغة ضعيفة، عجز البيت مختل وفيه إقواء.

منكـــن، فمن عرفت منكن أمر هذا الرجل، فهي لـــه فلتذهب إليه متى شاءت، وتأخذ كتابي إليه.

قـــال: فكتبـــت إليه كتابا أشكره على فعله وأسأله عن حاله، وعما يقصده، ووضعت الكتاب في موضع من الدار، وقلت: من عرف شيئا فليأخذه، فمكث الكتاب في موضعه حينا لا يـــأخذه أحد ولا أرى للرجل أثرا، فاغتممت غما شديدا ثم قلت: لعله من بعض فتياننا، ثم قلـــت: إن هـــذا الفتى قد أخبر عن نفسه بالورع، وقد قنع ممن يحبه بالنظر، فدبرت عليه، فحجبت جواري من الخروج.

قال: فما كان إلا يوم وبعض آخر، حتى دخل الخادم ومعه كتاب، فقلت له: ما هذا؟ قال: أرسل به فلان، وذكر بعض أصدقائي، فأخذت الكتاب ففضضته، فإذا فيه هذه الأبيات:

مـــــاذا أردت إلـــــى روح معلقـــــة ... عندالتراقـــي،وحادي المـــوت يحدوهـــا

حثثـــت حاديهـــا ظلمـــا، فجـــد بهـــا ... فـــي السير،حتى تـــولت عـــن تراقيها

حجبت من كان يحـــيي عـــند رؤيـــته ... روحي،ومـــن كـــان يشـــفيني تلاقـــيها

فالـــنفس تـــرتـــاح نحو الظلم جاهـــلة ... والقلـــب مـــنى سـلـيم مـــا يؤاتـــيها

والله لـــو قـــيل لـــي تأتـــي بفاحشـــة ... وإن عقـــباك دنـــيانا ومـــا فـــيها

لقلـــت : لا والـــذي أخشـــى عقوبـــته ... ولا بأضـــعافها مـــا كنـــت آتـــيها

لـــولا الحـــياء لبحـــنا بـــالذي كتمـــت ... بنـــت الفـــؤاد، وأبديـــنا تمنـــيها

قـــال: قلت لا أدري ما أحتال في أمر هذا الرجل، وقلت للخادم: لا يأتيك أحد بكتاب إلا قبضت عليه حتى تدخله إلي، ولم أعرف له بعد ذلك خبرا.

قـــال: فبيـــنا أنا أطوف بالكعبة، إذا أنا بفتى قد أقبل نحوي، وجعل يطوف إلى جنبي ويلاحظنـــي، وقد صار مثل العود. قال: فلما قضيت طوافي خرجت واتبعني، فقال: يا هذا!

أتعرفني؟ قلت: ما أنكرك لسوء، قال: أنا صاحب الكتابين.

قـــال: فما تمالكت أن قبلت رأسه وبين عينيه وقلت: بأبي أنت وأمي، والله لقد شغلت على قلبي، وأطلت غمي لشدة كتمانك لأمرك، فهل لك فيما سألت وطلبت؟

قال: بارك الله لك وأقر عينك إنما أتيتك مستحلا من نظر كنت أنظره على غير حكم الكـــتاب والســـنة، والهوى داع إلى كل بلاء، وأستغفر الله. فقلت: يا حبيبي أحب أن تصير معي إلى المنزل، فآنس بك وتجري الحرمة بيني وبينك.

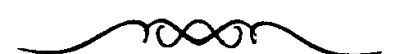
قال: ليس إلى ذلك سبيل، فاعذر وأجب الي ما سألتك.

فقلت: يا حبيبي! غفر الله لك ذنبك، وقد وهبتها لك ومعها مائة دينار تعيش بها، ولك في كل سنة كذا وكذا.

قـــال: بارك الله لك فيها فلولا عهود عاهدت الله تعالى بها وأشياء وكدتها على نفسي لـــم يكـــن شئ في الدنيا أحب إلي من هذا الذي تعرضه علي، ولكن ليس إليه سبيل، والدنيا فانية منقطعة.

قـــال: قلـــت له: فأمـــا إذ أبيت أن تصير إلى ما دعوتك إليه، فأخبرني من هي من جواري حتى أكرمها لك ما بقيت.

فقال: ما كنت لأسميها لأحد أبدا، ثم سلم علي، ومضى فما رأيته بعد ذلك.



13 صـرعـة العاشـق

ذكر محمد بن سعيد التيمي قال:

رأيت جارية سوداء في بعض مدن الشام، وبيدها خوص[1] تسفه، وهي تقول:

لـــك علـــم بمـــا يجـــن فـــؤادي　　فـــارحم الـــيوم ذلتـــي وانفـــرادي

فقلــت: يا سوداء! ما علامة المحب؟ وإذا رجل قد صرع بالقرب منها، فنظرت إليَّ وإلــى الرجل، وقالت: يا بطال! علامة المحب الصادق لله في حبه أن يقول لهذا المجنون: قــم، فيقوم، فإذا الرجل قد قام، وإذا الجنية تقول لها على لسانه: وحق صدق حبك لربك لا رجعت إليه أبدا.



14 تسع قصص خارج حدود البشر

أ- نخلة عاشقة

حدثنا أحمد بن أبي خثيمة زهير بن حرب قال: سمعت أبا مسلمة المنقري يقول:

كــان عــندنا بالبصـــرة نخلـــة تُذكــرَ من حسنها وطيب رطبها. قال: ففسدت حتى شيصـــت[2]. قـــال: فدعا صاحبها شيخا قديما يعرف النخيل، فنظر إليها وإلى ما حولها من

(1) الخوص: ورق النخل، الواحدة خوصة.

(2) شيصت النخلة: فسدت وحملت الشيص أي التمر الردئ.

الـــنخل، فقال: هذه عاشقة لهذا الفحل الذي بالقرب منها. قال فلقحت منه، فعادت إلى أحسن ما كانت.

* * * *

ب – روح

حدثنا محمد بن هارون، حدثني أبي قال:

اشـــتريت زوج بـــط، فقلـــت: اعلفوه، ثم أخذت يوما الذكر فذبحته، فجعلت الأنثى تضـــطرب تحت المكبة[1]. حتى كادت أن تقتل نفسها. فقلت: ارفعوا عنها المكبة، فرفعت ، فجاءت فلم تزل تضطرب في دماء الذكر حتى ماتت.

* * * *

ج – جنـــي عـــاشـــق

عن عمر بن محمد عن سالم يعني ابن عبد الله بن عمر، أخبرني واقد أخي:

أن جنيا عشق جارية لا أعلمه إلا قال: منهم أو من آل عمر، قال: وإذا في دارهم ديك. قـــال: فكلما جاءها صاح الديك، فهرب، فتمثل في صورة إنسان، ثم خرج حتى لقي شيطانا من الإنـــس، فقـــال: اذهب فاشتر لي ديك بني فلان بأي ثمن كان، فأتني به في مكان كذا، فذهب الـــرجل فـــأغلى لهم في الديك، فباعوه، فلما رآه الديك صاح، فهرب، وهو يقول: اخنقه، فخنقه حتى صرع الديك، فجاءه فحك رأسه، فلم يلبثوا إلا يسيرا حتى صرعت الجارية.

* * * *

(1) المكبة: لعله من أكب الإناء قلبه، فيكون المقصود شيئا كالإناء قلب على البطة محافظة عليها.

د - الشيطـــان عـــاشقـــا

عن جرير بن عبد الله البجلى ، قال :

إنـــي لفـــي تُستَر في طريق من طرقها، زمن فُتحت، إذ قلت: لا حول ولا قوة إلا بـــالله، مـــا شاء الله كان، وما لا يشاء لا يكون، قال: فسمعني هربذ من تلك الهرابذة[1]، فقال: ما سمعت هذا الكلام من أحد منذ سمعته من السماء، فقلت له: وكيف ذلك؟ قال:

إنـــه كان رجل، يعني نفسه، وإنه وفد عاما على كسرى بن هرمز، قال: فخلفه في أهله شيطان تصور على صورته، فلما قدم، لم يهش إليه أهله، كما يهش أهل الغائب إلى غائـــبهم إذا قدم، فقال لهم: ما شأنكم؟ قالوا: إنك لم تغب. قال: وظهر لـــه الشيطان فقال: اختر أن يكون لك منها يوم، ولي يوم، وإلا أهلكتك، فاختار أن يكون لـــه يوم، وله يوم، فأتاه يوما فقال: إني ممن يسترق السمع، وإن استراق السمع بيننا نوب، وإن نوبتي الليلة، فهل لك أن تجئ معنا؟ قلت نعم.

فلمـــا أمسى أتاني فحملني على ظهره، فإذا لـــه معرفة كمعرفة الخنزير، فقال: لا تفارقنـــي، فتهلك. قال: ثم عرجوا حتى لصقوا بالسماء، فسمعت قائلا يقول: لا حول ولا قـــوة إلا بـــالله، ما شاء الله كان، وما لا يشاء لا يكون. قال: فلبج[2]، ووجم، فوقعوا من وراء العمران في غياض الشجر، فلما أصبحت رجعت إلى منزلي، وقد حفظت الكلمات، فكـــان إذا جاء قلتهن، فيضطرب، حتى يخرج من كوة البيت، فلم أزل أقولهن حتى ذهب عني.

* * * *

---

(1) الهرابذة: خدم بيت نار المجوس.

(2) لبج: صرع، ورمى بنفسه إلى الأرض.

هـ - الـزاغ العـاشـق

حدثني محمد بن مسلم السعدي قال:

وجــه إلــيّ أكثم يوما، فصرت إليه، وإذا عن يمينه قمطرة[1] مجلدة، فجلست، فقال: افتح هذه القمطرة، ففتحتها، فإذا شئ قد خرج منها، رأسه رأس إنسان، وهو من سرته إلى أسفله خلقة زاغ[2] وفي صدره وظهره سلعتان[3]، فكبرت وهللت وفزعت، ويحيي يضحك، فقال لي بلسان فصيح طُلُقٍ ذَلِق:

أنـــا الــــزاغ أبـــو عجـــوه	أنـــا ابـــن الليـــث واللـــبوه
أحـــب الــــراح والـــريحا	ن والنشـــــوة والقهــــــوه
فـــلا عـــدو يـــدي يخشــــى	ولا يحـــذر لــــى ســـطوه [4]
ولـــــي أشـــياء تســـتط	رف يـــوم العـــرس والـدعـــوه
فمـــنها ســـلعة فـــي الظهـــ	ـــر لا تســـترها الفـــروه
وأمـــا الســـلعة الأخـــرى	فلـــو كانـــت لهـــا عـــروه
لمـــا شـــك جمـــيع الـــناس فـــيـ	ـهـــا أنهـــا ركـــوه

ثـم قـال: يـا كهـل أنشدني شعرا غزلا! فقال لي يحيي: قد أنشدك الزاغ، فأنشده فأنشدته:

---

(1) القمطرة : ما تصان فيها الكتب.

(2) غراب صغير ريش ظهره وبطنه أبيض.

(3) سلعتان: شجتان، أو غدتان.

(4) العدو : الظلم والأعتداء.

أغرك أن أذنبت ثم تتابعت ذنوب، فلم أهجرك، ثم ذنوب

وأكثرت حتى قلت ليس بصارمي وقد يصرم الإنسان وهو حبيب

فصاح: زاغ زاغ زاغ، وطار، ثم سقط في القمطرة. فقلت ليحيي: أعز الله القاضي، وعاشق أيضا! فضحك. قلت: أيها القاضي! ما هذا؟ قال: هو ما تراه، وجه به صاحب اليمن إلى أمير المؤمنين، وما رآه بعد، وكتب كتابا لم أفضضه، وأظن أنه ذكر في الكتاب شأنه وحاله.

* * * *

و- الزاغ: حكاية أخرى

قال علي بن محمد:

دخلت على أحمد بن أبي دؤاد، وعن يمينة قمطر مجلد، فقال لي: اكشف وانظر العجب! فكشفت، فخرج عليّ رجل طوله شبر، من وسطه إلى أعلاه رجل، ومن وسطه إلى أسفل صورة الزاغ ذنبا ورِجلاً، فقال لي: من أنت؟ فانتسبت له، فسألته عن اسمه فقال:

أنا الزاغ أبو عجوه حليف الخمر والقهوه

ولي أشياء تستط رف يوم العرس والدعوه

فمنها سلعة في الظهـ ـر لا تسترها الفروه

ومنها سلعة في الصد رلو كان لها عروه

لما شك جميع الناس حـ ـقا أنها ركوه

ثم قال: أنشدني شيئا في الغزل، فأنشدته

ولــــيل فــــي جوانــــبه فضـــول ـــن الإظـــلام أطلــس غيهبانـــي [1]

كـــأن نجومــــه دمــــع حبـــيس ترقــرق بـــيـن أجـــفـان الـغـواني

فصـــاح: وا أبـــي، وا أمـــي! ورجع إلى القمطر، وستر نفسه. فقال ابن أبي دؤاد: وعاشق أيضا!

* * * *

ز- الطيــر .. إذا زنـــى!!

حدثنا الحارث بن عطية عن موسى بن عبيدة عن عطاء في قوله: ولقد همّت به وهمّ بهـــا. قال: كان لها بلبل في قفص، إذا نظر إليها صفر لها، فلما رآها قد دعت يوسف عليه السلام، إلى نفسها، ناداه بالعبرانية: يا يوسف لا تزن، فإن الطير فينا إذا زنى تناثر ريشه.

* * * *

ح- جــرة .. ووعــد

قال سهل بن عبد الله:

أول مـــا رأيت من العجائب والكرامات أني خرجت يوما إلى موضع خال وطاب لي المقام، وكأني وجدت من قلبي قربة إلى الله ،عز وجل، وحضرت الصلاة، وأردت الطهور، وكانت عادتي من صباي أن أجدد الوضوء عند كل صلاة، وكأني اغتممت لفقد الماء، فبينا أنا كذلك إذا دب يمشي على رجليه، كأنه إنسان، ومعه جرة خضراء ممسك بيده عليها.

قال سهل: فلما رأيته من بعيد توهمت أنه آدمي، حتى إذا دنا مني وسلم علي ووضع الجرة بين يدي قال: أبو محمد؟ فجاءني العلم يعترض، وذلك من شريطة الصحة، فقلت في نفســـي: هذه الجرة، والماء من أين هو؟ فنطق الدب، وقال: يا سهل! إنا قوم من الوحش قد

---

(1) أطلس : أغبر إلى السواد   الغيبهاني : المظلم.

انقطعنا إلى الله، عز وجل، بعزم التوكل والمحبة، فبينا نحن نتكلم مع أصحابنا في مسألة إذ نوديـنا: ألا إن سهل بن عبد الله يريد ماء للوضوء، فوضعت هذه الجرة في يدي، وبجنبي ملكان، حتى دنوت منك فصبا فيها هذا الماء من الهواء، وأنا أسمع خرير الماء.

قـال سهل: فغشي علي، فلما أفقت إذا أنا بالجرة موضوعة، ولا علم لي بالدب أين ذهـب، وأنـا متحسـر إذ لم أكلمه، فتوضأت، فلما فرغت أردت الشرب منه، فنوديت من الـوادي: يـا سـهل! لـم يأن لك أن تشرب هذا الماء بعد. فبقيت الجرة، وأنا أنظر إليها تضطرب، فلا أدري أين مرت.



ط - مسـرحية غنـائيـة

محمـد بن عبد الله الأهوازي قال: أخبرني بعض أهل الأدب أن بعض البصريين أخبره قال:

كـنا لمـة نجتمع ولا يفارق بعضنا بعضاً،وكنا على عدد أيام عند أحدنا،فضجرنا من المقـام في المنازل، فقال بعضنا: لو عزمتم فخرجنا إلى بعض البساتين، فخرجنا إلى بستان قريـب منا، فبينا نحن فيه إذ سمعنا ضجة راعتنا، فقلت للبستاني ما هذا؟ فقال: هؤلاء نسوة لهن قصة، فقلت له أنا دون أصحابي : وما هي؟ قال: العيان أكبر من الخبر، فقم حتى أريك وحـدك، فقلت لأصحابي: أقسمت ألا يبرح أحد منكم حتى أعود. فنهضت وحدي، فصعدت إلـى موضـع أشرف عليهن، وأراهن، ولا يرينني، فرأيت نسوة أربعا كأحسن ما يكون من النسـاء وأشكلهن، ومعهن خدم لهن وأشياء قد أصلحت من طعام وشراب وآلة، فلما اطمأن بهن المجلس، جاء خادم لهن، ومعه خمسة أجزاء من القرآن، فدفع إلى كل واحدة منهن جزءاً ووضع الجزء الخامس بينهن، فقرأن أحسن قراءة، ثم أخذن الجزء الخامس فقرأت كل واحدة منهـن ربـع الجـزء، ثم أخرجن صورة معهن في ثوب دبيقي فبسطنها بينهن فبكين عليها ودعون لها، ثم أخذن في النوح، فقالت الأولى:

خلس الزمان أعز مختلس، ويد الزمان كثيرة الخلس

لله هالكة فجعت بها، ما كان أبعدها من الدنس

أتت البشارة والنعي بها، يا قرب مأتمها من العرس

ثم قالت الثانية:

ذهب الزمان بأنس نفسى عنوة، وبقيت فردا ليس لي من مؤنس

أودي بملك ولو تفادي نفسها، لفديتها ممن أعز بأنفس [1]

ظلت تكلمني كلاما مطمعا، لم أسترب فيه بشىء مُونِس

حتى إذا فتر اللسان وأصبحت للموت قد ذبلت ذبول النرجس

وتسهلت منها محاسن وجهها، وعلا الأنين تحثه بتنفس

جعل الرجاء مطامعي يأسا كما قطع الرجاء صحيفة المتلمس

ثم قالت الثالثة:

جرت على عهدها الليالى وأحدثت بعدها أمور

فاعتضت باليأس منك صبرا، فاعتدل اليأس والسرور

فلست أرجو، ولست أخشى ما أحدثت بعدك الدهور

فليبلغ الدهر فى مساتي، فما عسى جهده يضير [2]

---

(1) ملك : يجب أن يكون اسم الميتة.

(2) مساتي : مسهل مساءتى يضير : يضر.

ثم قالت الرابعة:

علق نفيس من الدنيا فجعت به، أفضى إليه الردى في حومة القدر

ويح المنايا أما تنفك أسهمها معلقات بصدر القوس والوتر

يبلى الجديدان، والأيام بالية، والدهر يبلى، وتبلى جدة الحجر [1]

ثم قمن فقلن معا بصوت واحد:

كنا من المساعده نحيا بنفس واحده [2]

فمات نصف نفسي حين ثوى في الرمس

فما بقائي بعده وشطر نفسي عنده

فهل سمعتم قبلي في من مضى بمثلي

عاش بنصف روح في بدن صحيح

ثم تنحين وقلن لبعض الخدم: كم عندك منهن؟ قال: أربعة. قلن: ائت بهن، فلم ألبث إلا قليلا حتى طلع بقفص فيه أربعة غربان مكتفة، فوضع القفص بين أيديهن، فدعون بعيدان، فأخذت كل واحدة منهن عودا فغنت:

لعمري! لقد صاح الغراب ببينهم، فأوجع قلبي بالحديث الذي يبدى

فقلت له: أفصحت لا طرت بعدها، بريش، فهل للقلب ويحك من رد!

---

(1) الجديدان : الليل والنهار.

(2) المساعدة: قوم النسوة.

ثم أخذن واحدا من الغربان فنتفن ريشه حتى تركنه كأن لم يكن عليه ريش قط، ثم ضربنه بقضبان معهن لا أدري ما هي حتى قتلنه، ثم غنت:

أشاقك، والليل ملقي الجران، غراب ينوح على غصن بان[1]

أحص الجناح، شديد الصياح، يبكي بعينين ما تهملان

وفي نعبات الغراب اغتراب، وفي البان بين بعيد التداني

ثم أخذن الثاني فشددن في رجليه خيطين وباعدن بينهما وجعلن يقلن لـه: أتبكي بلا دمع وتفرق بين الألاف، فمن أحق بالقتل منك؟ ثم فعلن به ما فعلن بصاحبه. ثم غنت الثالثة:

ألا يا غراب البين لونك شاحب، وأنت بلوعات الفراق جدير

فبين لنا ما قلت، إذ أنت واقع وبين لنا ما قلت حين تطير

فإن يك حقا ما تقول، فأصبحت همومك شتى، والجناح كسير

ولازلت مكسورا عديما لناصر، كما ليس لى من ظالمي نصير

ثم قالت لـه: أما الدعوة فقد استجيبت، ثم كسرت جناحيه، وأمرت ففعل به ذلك، ثم غنت الرابعة:

عيشة ما لي حيلة غير أنني بلقط الحصى والخط في الدار مولع

أخط وأمحو كل ما قد خططته بدمعي والغربان في الدار وقع

---

(1) ألقى الليل جرانه: أقبل.

ثـم قالت لأخواتها: أي قتلة أقتله؟ فقلن لها: علقيه برجليه وشدي في رأسه شيئا ثقيلا حتى يموت، ففعلت به ذلك، ثم وضعن عيدانهن، ودعون بالغذاء، فأكلن، ودعون بالشراب، فشـربن، وجعلـن كلمـا شربن قدحا شربن للصورة مثله، وأخذن عيدانهن، فغنين، فغنت الأولى كأنها تودع به:

أبكـي فـراقكم عينـي فأرقهـا، ... إن المحـب علـى الأحـباب بكّـاء

مـا زال يعـدو علـيهم ريـب دهـرهم ... حـتى تفـانوا، وريـب الدهـر عـدّاء

ثم غنت الثانية:

أمـا والـذي أبـكى وأضحـك، والـذي ... أمـات وأحـيا، والـذي أمـره الأمر

لـقـد تـركتنـي أحسد الوحش أن أرى ... أليفيـن مـنها لا يـروعهما الذعـر

ثم غنت الثالثة:

سأبكي على ما فات مـنـك صـبابـة ... وأنـدب أيـام الأمـاني الذواهـب

أحيـن دنـا مـن كنـت أرجـو دنـوه ... رمتنـي عـيون الـناس مـن كـل جانب

فأصـبحت مـرحوما، وكنـت محسـدا، ... فصـبرا على مـكروه مـر العـواقـب

ثم غنت الرابعة

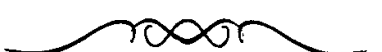
سـأفني بـك الأيـام حـتى يسـرني ... بـك الدهـر، أو تفـنى حياتـي مع الدهر

عـزاء وصـبرا ! أسـعداني على الهوى ... وأحمـد مـا جربـت عاقـبة الصـبر

ثـم أخـذت الصورة فعانقتها، وبكت، وبكين، ثم شكون إليها جميع ما كن فيه، ثم

أمرن الصورة، فطويت، فَفرِقتُ أن يتفرقن قبل أن أكلمهن، فرفعت رأسي إليهن فقلت: لقد ظلمتــن الغــربان. فقالــت: لو قضيت حق السلام، وجعلته سببا للكلام، لأخبرناك بقصة الغــربان. قال قلت: إنما أخبرتكن بالحق. قلن: وما الحق في هذا، وكيف ظلمناهن؟ قلت: إن الشاعر يقول:

نعـــب الغـــراب بـــرؤية الأحـــباب، فلـــذاك صـــرت أحـــب كـــل غـــراب



قالــت: صَــحّفتَ وأحلت المعنى، إنما قال: بفرقة الأحباب، فلذاك صرت عدو كل غــراب. فقلــت لهن: فبالذي خصكن بهذا المجلس،وبحق صاحبة الصورة، لما خبرتنني بخبركن؟ قلن: لولا أنك أقسمت علينا بحق من يجب علينا حقه ما أخبرناك.

كــنا صــواحب مجتمعات على الألفة، لا تشرب منا واحدة البارد دون صاحبتها، فاخترمــت صــاحبة الصورة من بيننا، فنحن نصنع في كل موضع نجتمع فيه مثل الذى رأيت، وأقسمنا أن نقتل في كل يوم نجتمع فيه ما وجدنا من الغربان لعلة كانت. قلت: وما تلك العلة؟ قلن: فرق بينها وبين أنس كان لها، ففارقت الحياة، فكانت تذمهن عندنا، وتأمر بقتلهــن، فأقل ما لها عندنا أن نمتثل ما أمرت به، ولو كان فيك شئ من السواد لفعلنا بك فعلنا بالغربان.

ثم نهضن فمضين، ورجعت إلى أصحابي فأخبرتهم بما رأيت، ثم طلبتهن بعد ذلك، فما وقعت لهن على خبر، ولا رأيت لهن أثرا.



الفصل الخامس

عشاق الصوفية



1 رؤيا .. لرابعة العدوية

مسمع بن عاصم قال:

قالــت لى رابعة العدوية[1]: اعتللت علة قطعتنى عن التهجد وقيام الليل، فمكثت أياماً أقــرأ جزئى، إذا ارتفع النهار، لما يذكر فيه أنه يعدل بقيام الليل. قالت: ثم رزقنى الله، عز وجــل، العافــية فاعتادتنى فترة فى عقب العلة، وكنت قد سكنت إلى قراءة جزئى بالنهار، فــانقطع عــنى قيام الليل. قالت: فبينا أنا ذات ليلة راقدة أُرِيتُ فى منامى كأنى رفعت إلى روضـــة خضراء، ذات قصور ونبت حسن، فبينا أنا أجول فيها أتعجب من حسنها، إذا أنا بطائــر أخضر، وجارية تطارده، كأنها تريد أخذه، قالت: فشغلنى حسنها عن حسنه، فقلت: ما تريدين منه؟ دعيه، فوالله ما رأيت طائرا قط أحسن منه.

قالــت: بلـــى، ثم أخذت بيدى فأدارت بى فى تلك الروضة حتى انتهت بى إلى باب قصـــر فيها، فاستفتحت ، ففتح لها، ثم قالت: افتحوا لى بيت لَمّقَةَ، قالت: ففتح لها باب شاع مـــنه شـــعاع استنار من ضوء نوره ما بين يدى وما خلفى، وقالت لى: ادخلى، فدخلت إلى بيت يحار فيه البصر تلألؤا وحسنا، ما أعرف له فى الدنيا شبيها أشبهه به.

فبيـــنا نحـــن نجول فيه إذ رفع لنا باب يُنفذ منه إلى بستان، فأهوت نحوه وأنا معها، فــتلقانا فــيه وُصَفاءُ كأن وجوههم اللؤلؤ، بأيديهم المجامر، فقالت لهم: أين تريدون؟ قالوا: نـــريد فلانا قتل فى البحر شهيداً. قالت: أفلا تجمرون هذه المرأة؟ قالوا: قد كان لها فى ذلك حظ فتركته. قالت: فأرسلت يدها من يدى، ثم أقبلت على فقالت:

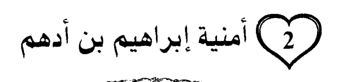
---

(1) زاهدة ناسكة عاشت فى البصرة (توفيت 135 هـ).

صـــلاتك نـــور والعـــباد رقـــود ... ونومـــك ضـــد للصـــلاة عنـــيد

وعمـــــرك غُـنْم إن عقلـت ومهلة ... يســـير ويفـــنى دائمـــا ويبـــيد

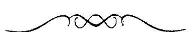
ثــم غابت من بين عينى، واستيقظت حين تبدى الفجر، فوالله ما ذكرتها فتوهمتها إلا طاش عقلى، وأنكرت نفسى. قال: ثم سقطت رابعة مغشياً عليها.



2 أمنية إبراهيم بن أدهم

إبراهيم بن أدهم[1] قال:

وجــدت يوما راحة، وطاب قلبى لحسن صنع الله بى واختياره لى، فقلت: اللهم إن كنــت أعطيــت أحداً من المحبين لك ما أسكنت به قلوبهم قبل لقائك، فأعطنى ذلك، فلقد أضــر بـــى القلق. قال: فرأيت الله، تبارك وتعالى، فى النوم، فوقفنى بين يديه، وقال: يا إبراهــيم! ما استحييت منى، تسألنى أن أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائى، وهل يسكن قلب المشتاق إلى غير حبيبه أم هل يستريح المحب إلى غير من اشتاق إليه؟ فقلت: يارب! تِهتُ فى حبك، فلم أدر ما أقول.



(1) صوفى بغدادى وزاهد، أصله من بلخ (توفى 161هـ) على الأشهر.

3 الأجـرة .. ثـلاثـة أبيـات

الجنيد[1] قال:

أرســلني ســري في حاجة يوما فمضيت فقضيتها، فرجعت، فدفع إلى رجل رقعة، وقال: ما في هذه الرقعة أجرتك لقضاء حاجتي، ففتحتها، فإذا فيها مكتوب:

ولمـا شـكوت الحـب قالـت كذبتـني ... ألسـت أرى منـك العظـام كواسـيا

ومـا الحـب حتى يلصق الكبـد بالحشا ... وتخمـد حـتى لا تجيـب المناديـا

وتضـعف حـتى لا يـبقى لـك الهـوى ... سـوى مقلـة تـبكي بهـا وتناجـيا

4 مهـر حـوريـة ..

قال أبو حمزة محمد بن ابراهيم الصوفي

كنـت مـع محمـد بـن الفرج السائح، فنظر إلى جارية جميلة تعرض على رجل ليشـتريها، فقـال: بكم تباع هذه الجارية ؟ فقيل لـه: بألف دينار، فرفع رأسه إلى السماء

(1) الجنيد بن محمد البغدادي الصوفي (ت 297).

وقـــال: اللهم! إنك تعلم أنى لا أملكها، ولا تنالها يدى، وإنى لأعلم من كرمك أنى لو سألتك إياهـــا لم تردنى عنها ولم تمنعنى منها، تفضلا منك على وإحسانا إلى، وإنى أسألك ما هو أنفس عندى منها، بادنة[1] لا تمرض ولا تهرم ولا تموت، ومهرها أن لا ترانى نائما بليل، ولا طاعمـــاً بـــنهار، ولا ضاحكاً إلى أحد من خلقك أبداً، وأنا أجد فى المهر من وقتى هذا، فأنجـــز لى، إذا لقيتك، ما سألتك يا كريم. قال: فما رأيناه نائما بليل، ولا طاعماً بنهار، ولا ضاحكاً إلى أحد من الناس حتى لحق بالله، عز وجل.

5 أحيا الناس جميعا !!

موسى بن علقمة المكى قال:

كان عندنا ههنا بمكة نخاس، وكانت لـــه جارية، وكان يوصف من جمالها وكمالها أمـــر عجيب، وكان يخرجها أيام الموسم، فتبذل فيها الرغائب، فيمتنع من بيعها، ويطلب الـــزيادة فـــى ثمنها، فما زال كذلك حيناً، وتسامع بها أهل الأمصار، فكانوا يحجون عمداً للنظر إليها.

قال: وكان عندنا فتى من النساك قد نزع إلينا من بلده، وكان مجاوراً عندنا، فرأى الجاريـــة يومـــاً، فى أيام العرض لها، فوقعت فى نفسه، وكان يجئ أيام العرض، فينظر إلـــيها، وينصرف. فلما حجبت أحزنه ذلك، وأمرضه مرضاً شديداً، فجعل يذوب جسمه، ويـــنحل، واعـــتزل الناس، فكان يقاسى البلاء طول السنة إلى أيام الموسم، فإذا خرجت

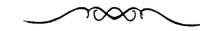
---

(1) البادنة: الكثيرة اللحم، وأراد بها إحدى حور الجنة.

الجاريـــة إلى العرض خرج فنظر إليها فسكن ما به، حتى تحجب. فبقى على ذلك سنين، ينحل ويذبل، وصار كالخلال من شدة الوله وطول السقم.

قـــال: فدخلـــت علـــيه يوماً، ولم أزل به، وألح عليه، إلى أن حدثنى بحديثه، وما يقاسيه، وسأل أن لا أذيع عليه ذلك، ولا يسمع به أحد. فرحمته لما يقاسى، وما صار إليه، فدخلـــت إلـــى مولـــى الجارية، ولم أزل أحادثه، إلى أن خرجت إليه بحديث الفتى، وما يقاسى، وما صار إليه، وأنه على حالة الموت، فقال: قم بنا إليه حتى أشاهده وأنظر حاله.

فقمنا جميعا فدخلنا عليه، فلما دخل مولى الجارية ورآه وشاهده، وشاهد ما هو عليه لـــم يـــتمالك أن رجع إلى داره، فأخرج ثياباً حسنة سرية، وقال: أصلحوا فلانة، ولبسوها هـــذه الثـــياب، واصـــنعوا بها ما تصنعون لها أيام الموسم، ففعلوا بها ذلك، فأخذ بيدها، وأخـــرجها إلى السوق، ونادى فى الناس، فاجتمعوا، فقال: معاشر الناس! اشهدوا أنى قد وهبـــت جاريتى فلانة لهذا وما عليها ابتغاء ما عند الله. ثم قال للفتى: تسلم هذه الجارية فهى هدية منى إليك بما عليها، فجعل الناس يعذلونه ويقولون: ويحك! ما صنعت؟ قد بذل لك فيها الرغائب، فلم تبعها، ووهبتها لهذا ؟ فقال: إليكم عنى، فإنى قد أحييت كل من على وجه الأرض، قال الله تعالى: ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً.



6 لا سبيـل إلـى الـرجـوع



أخبرنا أبو على محمد بن الحسين الجازرى، حدثنا المعافى بن زكريا الجريرى قال:

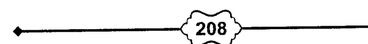
استشرف بعض المترفين إلى طريقة الصوفية والاختلاط بهم وملابستهم، فشاور فى هـــذا بعض مشيختهم، فرده عما تشوف إليه من هذا، وحذره التعرض له، فأبت نفسه إلا ما جذبـــته الدعاوى إليه، وعطفته الخواطر عليه، فمال إلى فريق من هذه الطائفة، فعلق بهم، واتصـــل بجملتهم، ثم صحب جماعة منهم متوجهة إلى الحج فعجز فى بعض الطريق عن

مسـايرتهم، وقصر عن اللحاق بهم، فمضوا وتخلف عنهم، واستند إلى بعض الأميال إرادة الاستـراحة من الإعياء والكلال. فمر به الشيخ الذى كلمه فى ما حصل فيه قبل أن يتسنمه، فنهاه عنه وحذره منه، فقال هذا الشيخ مخاطباً له:

إن الذيـن بخـيـر كنـت تذكـرهم   قضـوا عليك وعنهـم كنت أنهاكا

فقال له الفتى : ما أصنع الآن ؟ فقال له:

لا تطلبـن حـياة عـنـد غـيرهـم ،   فلـيس يحيـيك إلا مـن توفاكـا



7 إقبـال المعشـوق

أبو العباس بن عطاء قال:

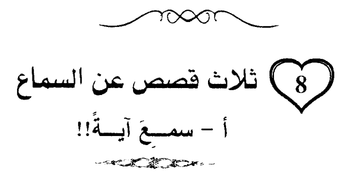
كـان يحضر حلقتى شاب حسن الوجه يخبئ يده. قال: فوقع لى أن الرجل قد قطعت يـده علـى حـال من الأحوال، قال: فجاءنى يوم جمعة، وقد جاءت السماء بالبركات، ولم يجئنى فى ذلك اليوم أحد، فطالبتنى نفسى بمخاطبته، فدفعتها مراراً كثيرة إلى أن غلب على كلامـه، فكلمـته فقلـت لـه: يا فتى ما بال يدك تخبئها، لم لا تخرجها، فإن كان بها علة دعوت الله تعالى لك بالعافية، فما سببها؟ فأخرجها، فرأيت فيها شبيهاً بالشلل، فقلت: يا فتى ما أصاب يدك؟ قال: حديثى طويل. قلت: ما سألتك إلا وأحب أن أسمعه.

فقـال لـى الغلام: أنا فلان بن فلان، خلف لى أبى ثلاثين ألف دينار، فعلقت نفسى بجاريـة مـن القـيان، فأنفقت عليها جملة، ثم أشاروا علىّ بشرائها، فاشتريتها بستة آلاف دينـار، فلمـا حصلت عندى وملكتها قالت: لم اشتريتنى، وما فى الأرض أبغض إلى منك،

وإنى لأرى نظرى إليك عقوبة، فاسترد مالك، فلا متعة لك بى، مع بغضى لك. قال: فبذلت لها كل ما يبذله الناس، فما ازدادت إلا عتوا، فهممت بردها، فقالت لى داية لى: دعها تموت ولا تمــوت أنت. قال: فاعتزلت فى بيت، ولم تأكل ولم تشرب، وإنما كانت تبكى وتتضرع حــتى ضعف الصوت، وأحسسنا منها بالموت، وما مضى يوم إلا وأنا أجئ إليها وأبذل لها الرغائب، وما ينفع ذلك ولا تزداد إلا بغضا لى.

فلمـــا كـــان اليوم الرابع أقبلت عليها وسألتها عما تشتهيه، فاشتهت حريرة فحلفت لا يعملهـــا أحد سواى، وأوقدت النار ونصبت القدر، وبقيت أمرس ما جعل فيها، والنار تعمل، وقد أقبلت علىّ تشكو ما مر بها من الآلام فى هذه الأيام، فأقبلت دايتى، فقالت: يا سيدى سل يدك، قد ذهبت، فرفعتها وقد انسمطت على ما تراها.

قال أبو العباس: فصعقت صعقة، وقلت: يا بأبى هذا فى طلب المعشوق أقبل عليك، فنالك هذا كله.



8 ثلاث قصص عن السماع

أ - سمــِعَ آيـــةً!!

عبد الرحمن الصوفى يقول:

كنـــت بـــبغداد فى سوق النخاسين، فرأيت قوما مجتمعين، فدنوت منهم، فرأيت شابا مصروعا مغشيا عليه، فقلت لواحد منهم: ما الذى أصابه؟ فقال: سمع آية من كتاب الله، عز وجل، فقلت: أية آية كانت؟ فقال: قوله، عز وجل: ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله؟ قال: فلما سمع أفاق، وأنشأ يقول:

ألـــم يـــأن للهجـــران أن يتصـــرما ... وللغصـــن، غصـــن البـــان، أن يتبســـما



وللعاشق الصب الذى ذاب وانحنى ، أما آن أن يبكى عليه ويرحما

كتبت بماء الشوق ، بين جوانحى ، كتابا حكى نقش الوشاة منمنما

ثم صاح صيحة خر مغشيا عليه، فحركناه فإذا هو ميت.

* * * *

ب – سماع

حدثنى جماعة من أهل طبرية منهم أبو يعقوب وأبو على ابنا يعقوب الحذاء وأبو الحسين بن أبى الحارث وأبو الفرج الصوفى وغيرهم:

أنه كان عندهم رجل صوفى يعرف بالقاسم الشراك وكانت له عنيزات يرعاهن. وقال لى بعضهم: إنه لم يكن يحضر معهم مجالس السماع، ويجتذبونه إلى ذلك فلم يكن له رغبة فيه. قالوا: فبينا هو يرعى عنيزاته إذ سمع صبيا من صبيان الصحراء يغنى فى حقل:

إن هواك الذى بقلبى صيرنى سامعًا مطيعا

أخذت قلبى وغمض طرفى ، سلبتنى العقل والهجوعا

فذر فؤادى ، وخذ رقادى ، فقال : لا بل هما جميعا

فراح منى بحاجتيه وبت تحت الهوى صريعا

قال: فاعتراه طرب شديد، فقال للصبى، وأقبل نحوه: كيف قلت؟ ففزع الصبى وعدا، وهو يقول: لا بأس عليك! كيف قلت يا صبى؟ فلم يقف له ورجع إلى قصائدىٌ كان لهم بطبرية يقال له حميد الفاخورى، حاذق بهذا المعنى، فتردد إليه ثلاثة أيام يردد عليه هذه الأبيات، ثم تخلف فى منزله عليلا، يصيح: فؤادى فؤادى، إلى أن قضى، رحمه الله.

* * * *



ج - فــى مجلــس سمــاع

عبد الله بن محمد الدمشقى يقول:

حضـــرت مع الشبلى فى مجلس سماع، وحضر المشايخ، فغنى قوال، فصاح رجل، والقــوم سكوت، فقال له بعض المشايخ: يا أبا بكر أليس هؤلاء سمعوا معك، كما سمعت؟ فقام من بين الجماعة وتواجد، وأنشأ يقول:

لــو يســمعــون كمــا ســمعت كلامهــا   خــــروا لعــــزة ركعاً وسجــوداً[1]

وأنشد على أثره:

لــــى ســــكرتان، وللــــندمان واحـــدة،   شــــئ خصصــت بـــه من بينهم وحدى[2]

9 قصتان عن النظر

أ - النظر إلى الجميل

أبو حمزة قال:[3]

كـــان كامل بن المخارق الصوفى من أحسن ما رأيته من أحداث الصوفية وجها، وكـــان قــد لزم منزله، وأقبل على العبادة، فكان لا يخرج إلا من جمعة إلى جمعة، فإذا

---

(1) هذا البيت لكثير عزة.

(2) هذا البيت لأبى نواس.

(3) أبو حمزة الصوفى: محمد بن إبراهيم البغدادى (توفى 269 هـ).

خرج يريد المسجد، وقف له الناس، ورموه بأبصارهم ينظرون إليه، فقدم به علينا حجار بن قيس المكى دمشق، وكان أحد الفصحاء العقلاء، وكان لى صديقا، فكلمنى جماعة من أصـــحابه أســـأله أن يجلس لهم مجلسا يتكلم عليهم فيه، ويسألونه، فكلمته فوعدهم يوماً، فاتعدنا لذلك اليوم، ودعا الناس بعضهم بعضاً.

فلما أن كان يوم الجمعة وصلى الناس الغداة، أقبلوا من كل ناحية، فوقف يتكلم علينا، فبينا هو كذلك، إذ أقبل كامل بن المخارق، فلما رأته الناس رموه بأبصارهم، وشغلوا بالنظر إلـــيه عن الاستماع منه، وفطن بهم حجار، فقطع كلامه، وقال: يا قوم! مالكم لا ترجون لله وقـــاراً، ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً، وجعل القمر فيهن نوراً، وجعل الشمس سراجاً، فوالله لما تنظرون منهما على بعد هما أعجب إلى من نظركم إلى هذا، فاحذروا أن تعود عليكم النفوس بعوائد حكمها، إذا حالت القلوب فى غامض فكرها، أتنظرون إلى جمال تحول عنه نضرته، ووجه تتخرمه الحادثات بعد خبرته؟ ما هذا نظر المشتاقين، أين تذهب بكـــم الشـــهوات؟ لقـــد عرضـــتكم لمحنة عظيمة على أنكم لا تبلغون منها محبوب نفوسكم ومطالبة قلوبكم إلا بإحدى ثلاث: إما بتوبة يتلافاكم الله، عز وجل، بها، أو عصمة يتغمدكم برحمـــته فـــيها، أو يطلقكم وما تطلبون، فإما أن تحول أقداره بينكم وبين شهواتكم، وإما أن تـــبلغوا منها إرادتكم فتسخطوه عليكم، أما سمعتموه، تعالى ذكره، يقول: ذلك بأنهم اتبعوا ما أســـخط الله وكـــرهوا رضوانه، فأحبط أعمالهم؟ ثم أخذ فى كلامه، فأحصيت من أحرم من مجلسه ذلك اليوم نيف على سبعين بين رجل وغلام.

* * * *

ب – وجهـــه المأمـــول!!

أبو الطيب محمد بن أحمد بن عبد المؤمن أحد الصوفية من أهل سر من رأى، قال:

رأيت ببغداد صوفيا أعور، يعرف بأبى الفتح، فى مجلس أبى عبد الله بن البهلول، فقـــرأ بألحـــان قـــراءة حسنة، وصبى يقرأ: أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر، فزعق الصـــوفى: بلـــى! بلى! دفعات وأغمى عليه طول المجلس، وتفرق الناس عن الموضع،

وكان الاجتماع فى صحن دار كنت أنزلها، فلم يكن الصوفى أفاق فتركته مكانه، فما أفاق إلى أن قرب العصر، ثم قام، فلما كان من بعد أيام سألت عنه، فعرفت أنه حضر عند جارية فى الكرخ تقول بالقضيب، فسمعتها تقول الأبيات التى فيها:

وجهك المأمول حجتنا يوم يأتى الناس بالحجج

فتواجد، وصاح، ودق صدره إلى أن أغمى عليه، فسقط، فلما انقضى المجلس حركوه فوجدوه ميتا، فغسلوه، ودفنوه، واستفاض الخبر بهذا وشاع، وأخبرنى به فئام من الناس، والأبيات لعبد الصمد بن المعذل:

يا بديع الدل والغنج ! لك سلطان على المهج

إن بيتًا أنت ساكنه غير محتاج إلى السرج

وجهك المعشوق حجتنا يوم يأتى الناس بالحجج

والصوفية إذا قالوا: وجهك المأمول، نقلوه إلى ما لهم فى ذلك من المعانى، وكانت قصة هذا الرجل وموته فى سنة خمسين وثلاثمائة، وأمره من مفردات الأخبار.

(10) إحدى عشرة قصة عن الغلام الجميل

أ - فتى وغلام !!



قال أبو حمزة الصوفى:

رأيت ببيت المقدس فتى من الصوفية يصحب غلاماً مدة طويلة، فمات الفتى، وطال حزن الغلام عليه، حتى صار جلداً وعظماً من الضنى والكمد. فقلت له يوماً: لقد طال حزنك على صديقك حتى أظن أنك لا تسلو بعده أبداً. فقال: وكيف أسلو عن رجل

أجــل الله تعــالى أن يعصـــيه معـــى طرفة عين، وصانني عن نجاسة الفسوق فى طول صحبتى له وخلواتى معه فى الليل والنهار.

* * * *

ب - نظــرة استــدراج

قال أبو حمزة:

وكنـــت مـــع ثابت بن السرى الصوفى، فنظر إلى غلام، فقال: يا طول حزناه مما أرتنـــيه عيـــنى، لقـــد تركـــنى وأنا لا آنس إلى نظر بعد نظرتى هذه! يا شر ما أتانى به المقدور فى النظر إلى الغرور، غرنى والله طرفى حتى استمكن من حتفى.

ثم قال: كم أستقيل الله، عز وجل، فيقيلنى، وكم استعفيه فيعفينى، لقد خفت أن يكون ذلك استدراجاً منه حتى يأخذنى بذلك كله، فى وقت حاجتى إليه عند قدومى عليه.

ثم بكى حتى غشى عليه.

* * * *

ج - الغـــلام الجميـــل المجاهـــد

قال أبو حمزة محمد بن إبراهيم الصوفى

كنـــت مـــع عبيد الله بن محمد الاسكندرانى ببلاد الروم فنظر إلى غلام جميل يحمل علـــى علـــج من الروم، ويرجع عنه أحياناً، فدنا منه، وقال: فدتك النفس أما تشتاق إلى أن ترى وجهاً هو أحسن من وجهك وأبهج من شخصك؟ فقال: بلى، والله يا عم. فقال: والله ما بينك وبين أن ترى الله، عز وجل، إلا أن يقتلك هذا العلج، فصاح الغلام، وحمل عليه، فقتله العلج، فكان عبيد الله بن محمد يقول بعد ذلك إذا ذكره: رحمة الله علينا وعليه، إنى لأرجو أن يكون الله، عز وجل، قد ضحك إلى وجهه الحسن الجميل بما بذل له من مهجة نفسه.

* * * *



د- ثمن النظرة إلى غلام جميل

حدثنا الأسود بن مالك الفزارى قال: حدثنى أبى قال:

حضـــرت أبا مسلم سعيد بن جويرية الخشوعى، وقد نظر إلى غلام جميل فأطال الـــنظر إليه، ثم قرأ: إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب، سبحان الله، ما أهجم طرفى على مكروه نفسه، وأقدمه على سخط سيده، وأغراه بما قد نهى عنه، وألهجه بالأمر الذى حذر منه، لقد نظرت إلى هذا نظراً لا أحسبه إلا أنه سيفضـــحنى عـــند جمـــيع من عرفنى فى عرصة القيامة، ولقد تركنى نظرى هذا، وأنا أستحيى من الله، عز وجل، وإن غفر لى، وأرانى وجهه، ثم صعق.

* * * *

هـ - صـــوفى.. وغـــلام

قال أبو حمزة الصوفى:

رأيت مع أحمد بن على الصوفى ببيت المقدس غلاماً جميلاً، فقلت: مذ كم صحبك هـــذا الغـــلام؟ فقال: منذ سنين، فقلت: لو صرتما إلى بعض المنازل فكنتما فيه بحيث لا يراكما الناس كان أجمل بكما من الجلوس فى المساجد والحديث فيها. فقال: أخاف احتيال الشيطان على فيه فى وقت خلوتى به، وإنى لأكره أن يرانى الله معه على معصية فيفرق بينى وبينه يوم يظفر المحبون بأحبابهم.

* * * *



و- صوفى وغلام جميل

قال أبو حمزة:

رأيـت مـع محمد بن قطن الصوفى غلاماً جميلاً، فكانا لا يفترقان فى سفر ولا حضـر، فمكثا بذلك زمناً طويلاً، فمات الغلام، وكمد عليه محمد بن قطن، حتى عاد جلداً وعظماً، فرأيته يوماً، وقد خرج إلى المقابر، فاتبعته، فوقف على قبره قائما يبكى، وينظر إلـيه والسـماء تمطر بالمطر، فما زال واقفا من وقت الضحى إلى أن غربت الشمس لم يـبرح ولـم يجلس، ويده على خده، فانصرفت عنه، وهو كذلك واقفاً، فلما كان من الغد خرجـت لأعـرف خبره، وما كان من أمره، فصرت إلى القبر، فإذا هو مكبوب لوجهه ميت، فدعوت من كان بالحضرة فأعانونى على حمله، فغسلته وكفنته فى ثيابه ودفنته إلى جانب القبر.

* * * *

ز- صوفى نظر إلى غلام جميل

قال أبو حمزة: ونظر محمد بن عبيد الله بن الأشعث الدمشقى، وكان من خيار عباد الله، إلـى غلام جميل فغشى عليه، فحمل إلى منزله، واعتاده السقم حتى أقعد من رجليه، فكـان لا يقـوم عليهما زمنا طويلاً، فكنا نأتيه ونعوده، ونسأله عن حاله وأمره، وكان لا يخـبرنا بقصته ولا بسبب مرضه، وكان الناس يتحدثون بحديث نظره، فبلغ ذلك الغلام، فأتـاه عائداً، فهش إليه وتحرك وضحك فى وجهه، واستبشر برؤيته، فما زال يعوده حتى قام على رجليه، وعاد إلى حالته. فسأله الغلام يوماً المصير إليه معه إلى منزله، فأبى أن يفعـل، فكلمـنى أن أسأله أن يتحول إليه، فسألته، فأبى، فقلت: وما الذى تكره من ذلك؟ فقـال: لسـت بمعصوم من البلاء، ولا آمن من الفتنة، وأخاف أن تقع على من الشيطان

محـــنة أو عـــند ظفر بفرصة فتجرى بينى وبينه معصية فيحتجب الله عنى يوم تظهر فيه الأسرار ويكشف فيه عن ساق فأكون من الخاسرين.

* * * *

ح- نظــر.. فحمــد الله!!

قال أبو حمزة الصوفى

كنت مع سنان بن إبراهيم الصوفى فنظر إلى غلام فقال: الحمد لله على كل حال! كنا أحراراً بطاعته، فصرنا عبيداً بمعصيته لألحاظ قد بلغت بنا جهد البلاء، وأسلمتنا إلى طــول الضناء، فلبثنا مع بلائنا وطول ضنائنا لا نخسر الآخرة، كما تولت عنا الدنيا، ثم بكى، فقلت له: ما يبكيك؟ فقال: كيف لا أبكى، وأنا مقيم على غرور ومتخوف من نزول محذور من نظر شاغل أو بلاء شامل أو سخط نازل، ثم شهق وسقط إلى الأرض.

* * * *

ط - يحــوم حــول الحمـــى!!

حدثــنا أبــو محمد جعفر بن عبد الله الصوفى قال: حدثنا أبو المختار الضبى قال: حدثنى أبى قال:

قلت لأبى الكميت الأندلسى، وكان جوالا فى أرض الله، عز وجل: حدثنى بأعجب مـــا رأيته من الصوفية! قال: صحبت رجلا منهم يقال له مهرجان، وكان مجوسياً، فأسلم وتصوف، فرأيت معه غلاماً جميلاً لا يفارقه، فكان إذا جاء الليل، قام فصلى ثم ينام إلى جانبه ثم يقوم فزعاً، فيصلى ما قدر له، ثم يعود فينام إلى جانبه أيضاً، حتى يفعل ذلك فى اللـــيلة مراراً، فإذا أسفر الصبح، أو كاد أن يسفر، أوتر ثم رفع يديه، فقال: اللهم إنك تعلم

أن الليــل قد مضى على سليما لم أقارف فيه فاحشة، ولا كتبت الحفظة على فيه معصية، وأن الذى أضمره فى قلبى لو حملته الجبال لتصدعت، أو كان بالأرض لتدكدكت.

ثم يقول: يا ليل اشهد بما كان منى فيك، فقد منعنى خوف الله، عز وجل، عن طلب الحرام والتعرض للآثام.

ثــم يقــول: يــا ســيدى! أنت اجمع بيننا على تقى، ولا تفرق بيننا يوم تجمع فيه الأحباب.

فأقمــت معه مدة طويلة أراه يفعل ذلك فى كل ليلة، وأسمع هذا القول، فلما هممت بالانصــراف مــن عنده قلت له: سمعتك تقول، إذا انقضى الليل: كذا وكذا. فقال: أو قد ســمعتنى؟ قلــت: نعم! قال: فوالله يا أخى إنى لأدارى من قلبى ما لو داراه سلطاننا من رعيته، لكان من الله حقيقاً بالمغفرة.

فقلــت: وما الذى يدعوك إلى صحبة من تخاف على نفسك العنت من قبله؟ وذكر كلاماً اختصرته.

* * * *

ى – الموت عشقا بمذكّر

كــان عمرو بن يوحنا النصرانى يسكن فى دار الروم ببغداد، في الجانب الشرقى، وكان من أحسن الناس صورة وأجملهم خلقاً، وكان مدرك بن على الشيبانى يهواه، وكان من أفاضل أهل الأدب، وكان له مجلس يجتمع إليه الأحداث لا غير، فإن حضره شيخ أو كهل قال له : إنه ليقبح بمثلك أن يختلط بالأحداث والصبيان فقم فى حفظ الله.

وكــان عمرو بن يوحنا ممن يحضر مجلسه، فعشقه مدرك، وهام به، فجاء عمرو يوما إلى المجلس، فكتب مدرك رقعة وطرحها فى حجره، فقرأها، فإذا فيها:

بمجـالس العلـم التـى ... بـك تـم جمـع جموعهـا

ألا رثيـت لمقلـة ، ... غرقـت بمـاء دموعهـا

بيـنى وبيـنك حـرمة ، ... الله فـى تضـييعهـا

فقرأ الأبيات، ووقف عليها من كان فى المجلس، وقرأوها واستحيا عمرو من ذلك، فـانقطع عن الحضور، وغلب الأمر على مدرك، فترك مجلسه، ولزم دار الروم، وجعل يتـبع عمـراً حيـث سلك، وقال فيه قصيدة مزدوجة عجيبة، وله أيضا فى عمرو أشعار كثـيرة، ثم اعترى مدركاً الوسواس وسل جسمه، وذهب عقله، وانقطع عن إخوانه، ولزم الفراش، فحضره جماعة فقال لهم: ألست صديقكم القديم العشرة لكم، فما فيكم أحد يسعدنى بالنظر إلى وجه عمرو؟ فمضوا بأجمعهم إليه، وقالوا له: إن كان قتل هذا الفتى ديناً، فإن احـياءه لمـروءة. قال: وما فعل؟ قالوا: قد صار إلى حال ما نحسبك تلحقه، فلبس ثيابه، ونهض معهم، فلما دخلوا عليه سلم عليه عمرو، وأخذ بيده، وقال: كيف تجدك يا سيدى؟ فنظر إليه وأغمى عليه ساعة، ثم أفاق. وفتح عينيه، وهو يقول:

أنـا فـى عافـية ! ... لا مـن الشـوق إليكـا

أيهـا العـائد مـا بـى ... منـك لا يخفـى علـيكا

لا تعـد جسـماً وعـد ... قلـباً رهيـناً فـى يديكـا

كـيف لا يهلـك مـر ... شـوق بسـهمى مقلتـيكا

ثم شهق شهقة فارق الدنيا بها حتى دفنوه.

* * * *



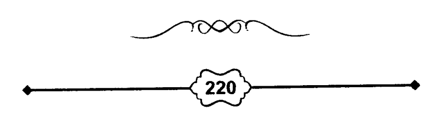
ك – الجميل ضحية الموعظة

قال أبو حمزة الصوفى:

حدثـــنى محمد بن مصعب بن الزبير المكى قال: حدثنى أبى قال حدثنى رجل من أهل المدينة، ونحن ببلاد الروم فى سرية عليها محمد بن مصعب الطرطوسى قال:

كـــان بالمديـــنة غلام من بنى مخزوم موصوف ببراعه الجمال، فإذا كان فى أيام الحـــج حجبه أبوه عن الخروج إلى المسجد حتى يصدر آخر الحاج إشفاقاً عليه من أعين الـــناس وحذراً عليه منهم، فاشتهر بجماله ووصف بكماله، فكانت الرفاق تتحدث بحديثه، فقـــدم عليـــنا رجـــل من الصوفية عند انقضاء عمرتهم، وقد رجعوا من الحج لزيارة قبر النـــبى، صـــلى الله علـــيه وآله وسلم، وما بالمدينة يومئذ أحد من الحاج غيرهم، فخرج المخـــزومى فى ذلك اليوم، فأتى قبر النبى، ﷺ ، فسلم عليه، ثم قعد فى الروضة ينتظر الصلاة، فوقف عليه طلحة ينظر إليه مليا، فرأى شيئاً لم ير مثله قط، ثم قال: يا فتى اسمع عنى مقالتى واعرض على قلبك كلامى، وافهم منى عظتى، فإنى قد بدأتك بالنصيحة لما أملت لك من الله، عز وجل، فيها من حسن الجزاء، وجميل الثناء.

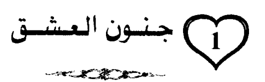
يا حبيبى أتدرى من يراك، ومن يشهد عليك؟ قال: ومن هما يا عم؟ قال: الله تعالى يـــراك، ونبيه، ﷺ، يشهد عليك، فإياك واقتراف المعاصى بحضرة نبيك، ﷺ فإنك لا تـــأتى أمراً فى هذه البلدة يكون عليك فيه تبعة، إلا والله تعالى لـــه حفيظ، والنبى، ﷺ ، علـــيك بـــه شـــهيد، وأصـــحابه لك خصوم، وكفى خصماً أن يكون القاضى عليه خالقه، والشـــاهد علـــيه نبـــيه، ﷺ ، والخصوم لـــه خيرة الله من خلقه الصالحون من عباده. فانتفض الغلام وسقط مغشيا عليه، واجتمع الناس فاحتملوه إلى منزله، فما أتى عليه ثلاثة أيام حتى مات.



الفصل السادس

مجانين العشق





جنون العشق

كان بالمدينة جارية ظريفة حاذقة بالغناء، فهويت فتى من قريش، فكانت لا تفارقه ولا يفارقها، فملها الفتى وتزايدت هي في محبته، وأسفت، فغارت، فولهت وجعل مولاها لا يعبأ بذلك، ولا يرق لشكواها، وتفاقم الأمر بها حتى هامت على وجهها، ومزقت ثيابها، وضربت من لقيها، فلما رأى مولاها ذلك عالجها، فلم ينجح فيها العلاج، وكانت تدور بالليل في السكك مع الأدب والظرف. قال: فلقيها مولاها ذات يوم في الطريق، ومعه أصحاب له، فجعلت تبكي وتقول:

الحب أول ما يكون لجاجة، يأتي به وتسوقه الأقدار

حتى إذا اقتحم الفتى لجج الهوى، جاءت أمور، لا تطاق، كبار

قال: فما بقى أحد إلا رحمها، فقال لها مولاها: يا فلانة امضي معنا إلى البيت، فأبت وقالت:

شغل الحلي أهله أن يعارا(1)

قال: وذكر بعض من رآها ليلة، وقد لقيتها مجنونة أخرى، فقالت لها: فلانة! كيف أنت؟ فقالت: كما لا أحب، فكيف أنت من ولهك وحبك؟ قالت: على ما لم يزل يتزايد بى على مر الأيام. قالت لها: تغني بصوت من أصواتك فإني قريبة الشبه بك. فأخذت قصبة

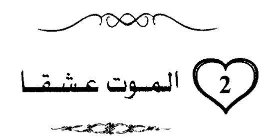
(1) هذا مثل أرادت به الجارية أن ما بها شغلها عن كل شئ فلا فائدة من ذهابها إلى البيت، وهو يضرب للمسؤول شيئا هو . أحوج إليه من السائل، وقد جاء هذا الشطر في بيت من شعر عمر بن أبي ربيعه.



توقع بها وغنت:

يـــا مـــن شـــكا ألمـــا للحـــب شـــبهه	بالــــــنار فـــي القــلب من حزن وتذكار
إنــــي لأعظـــم مـــا بـــي أن أشـــبهه	شــــيئا يقــــاس إلـــى مــــثل ومقـــدار
لـــو أن قلبــــي فـــي نــــار لأحــــرقها	لأن أحــــــزانه أذكــــى مــــن الــــــنار

ثم مضت.



2 المـوت عـشـقـا

أبو الحسين علي ابن الحسين الصوفي قال:

حدثنـــي بعض أصدقائي أنه دخل إلى بعض المارستانات ببغداد فرأى شابا حسن الوجـــه، نظـــيف الثـــياب، جالسا على حصير نظيف، وعن يساره مخدة نظيفة، وفي يده مـــروحة، وإلى جانبه كوز فيه ماء، فسلمت عليه، فرد السلام أحسن رد، فقلت لـــه: هل لك من حاجة؟ فقال: نعم! أريد قرصين وعليهما فالوذج[1]،فمضيت فجئته بذلك، وجلست مقابلـــه حتى أكل، ثم قلت لـــه: أبقى لك حاجة؟ فقال: نعم! ولا أظنك تقدر عليها. فقلت: اذكرها، فلعل الله أن ييسرها. فقال: تمضي إلى نهر الدجاج درب أحمد الدهقان، إلى دار على باب زقاق الغفلة، فاطرق الباب وقل: إن فلانا قال لي:

---

(1) الفالوذج: حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل.

مــــر بالحبيـــــب وقـــــل لـــــــه: مجـــــــنونكم مـــــــن ذا يحلـــــــة ؟

قـــال فمضيت وسألت عن الدرب والزقاق، فدللت عليه، فطرقت الباب، فخرجت إلى عجوز فأبلغتها الرسالة، فدخلت وغابت عني ساعة، ثم خرجت فقالت:

ارجـــــع إلـــــيه وقـــــل لــــــه :   علـــــيلكم مـــــــن ذا أعلـــــــه ؟

فرجعــت إلي الفتى فأخبرته بالجواب، فشهق شهقة فمات، وعدت إلى القوم أخبرهم بذلك، فوجدت الصراخ في الدار، وقد ماتت الجارية، أو كما قال.

3 الـرقـص الـرمـزى

أخبرنا ابن حبيب المفكر قال:

دخلت دار المرضى بنيسابور فرأيت شابا من أبناء النعم، يقال لــه أبو صادق السكري، مشـــدودا، وهو يجلب ويصيح، فلما بصر بي قال: أتروي من الشعر شيئا؟ قلت: نعم! قال: من شعر من؟ قلت من شعر من شئت. قال: من شعر البحتري؟ قلت: أي قصيدة تريد؟ فقال:

ألـــــمع بـــرق ســـرى أم ضـــوء مصباح   أم ابتســـامتها بالـــمــنـــظر الضــــاحي؟[1]

فأنشدته القصيدة، فقال: أفأنشدك قصيدة ؟ قلت: نعم! فأخذ في إنشاد قصيدته:

---

(1) الضاحي: البارز للشمس.

أقصـــــرا ! إن شــــأني الإقصــــار ... وأقــــلا لا يـــنفع الإكـــثار

حتى بلغ قوله:

إن جـــرى بينـــنا وبيـــنك عتـــب، ... أو تــــناءت مــــنا ومــــنك الديــــار

فالغلـــيل الـــذي عهـــدت مقـــيم، ... والـــدموع الـتي شـهـدت غـــزار[1]

فقفز وجعل يرقص في قيده ويصيح إلى أن سقط مغشيا عليه.

4 رسائل تحملها الرياح

محمد بن أبي نصر الأزدي قال:

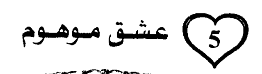
رأيـت بالبصرة مجنونا قاعدا على ظهر الطريق بالمربد، فكلما مر به ركب قال:

ألا أيهـا الركب اليـمانـون عـــرجـوا ... عـلـينا،فـقد أمـسى هــوانا يمانـيا

نســائلكم: هــل ســال نعمــان بعدنــا ... فحــب إلــينا بطــن نعمــان واديــا

قـال: فسألت عنه فقيل: هذا رجل من أهل البصرة، كانت لـه ابنة عم، وكان يحبها فتزوجها رجل من أهل الطائف فنقلها، فتوله عليها.

(1) الغليل: حرارة الحب.



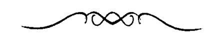
5 عشق موهوم

أبو حفص عمر بن علي قال:

كنت عند بعض إخواني، فبينا نحن على شرابنا وقينة تغنينا، إذ استأذن ماني الموسوس، فدخل، فأتي بطعام، فأكل، وسقيناه، فشرب، فحانت من بعضنا التفاتة، فبصر به وقد أخرج رقعة من جيبه، فقرأها، ثم طواها، وقبلها، ووضعها على عينه، ثم ردها إلى جيبه، فقلنا : إن لهذه الرقعة لشأنا، فلاطفناه، فأخذناها، فإذا هي رقعة من ماجنة من مواجن الكرخ، قد كتبت إليه تصف شغفها به، وأنها على حال التلف، وتطالبه بالجواب، فلما طلب الرقعة في جيبه فلم يجدها هاج وقام، وقال: أين رقعتي؟ فلم نزل نسكته، حتى جلس،، فأنشأ يقول:

وعاشق جاءه كتاب،	**فزال عنه به العذاب**
وقال: قد خصني حبيبي	**بنعمة ما لها ثواب**
فحق لي أن أتيه تيها،	**يقصر عن وصفه الخطاب**
حتى رمته بصرف دهر	**عيون حساده الصلاب**
فاستل منه الكتاب واش	**بحيلة شأنها عجاب**
فليس يهنيه طيب عيش	**ولا طعام ولا شراب**

ثم هاج، وقام، وحلف أن لا يجلس.





7 ثلاث قصص عن غَوْرَك المجنون

أ - مغالبة العشق

محمد بن الزيات قال:

قلت لغورك يوما: متى حدث بك هذا العشق؟ قال: منذ زمان، إلا أني كنت أكتمه، فلما غلب علي بحت به. قلت: أنشدني من أحسن ما قلت في ذلك! فقال:

كتمت جنوني،وهو في القلب كامن　　فلما استوى والحب أعلنه الحب

وخلاه والجسم الصحيح يذيبه،　　فلما أذاب الجسم ذل له القلب

فجسمي نحيل للجنون وللهوى،　　فهذا له نهب، وهذا له نهب

* * * *

ب- عذاب الحب

قال ابو بكر محمد بن فرخان:

لقيت غورك المجنون، وفي عنقه حبل قصير، والصبيان يقودونه، فقال لي: يا أبا بكر! بم يعذب الله أهل جهنم؟ قلت: بأشد العذاب. قال: صف لي، قلت: ومن بصف عذاب رب العالمين؟ قال: أنا في أشد من عذابه، ثم رفع ثوبه عن جسده، فإذا هو ناحل الجسم دقيق العظم، فقال لي:

انظر إلى ما فعل الحب ؟　　لم يبق لي جسم ولا قلب



أتـــحل جـســـمي حــب مــن لم يزل	**مــــن شـــأنها الهجـــران والعتـــب**
مـــا كـــان أغنانـــي عـــن حـــب مَـــن	**مِـــن دونهـــا الأســـتار والحجـــب**

* * * *

ج- جنـــون وعشـــق

إسحاق بن إبراهيم الأبلي قال:

رأيت غورك يوما خارجا من الحمام، والصبيان يؤذونه، فقلت: ما خبرك أبا محمد؟ قـــال: قـــد آذاني هؤلاء الصبيان، أما يكفيني ما أنا فيه من العشق والجنون؟ قلت: ما أظنك مجـــنونا. قال: بلى، والله، وبي عشق شديد. قلت: هل قلت في عشقك وجنونك شيئا؟ قال: نعم، وأنشد:

جــنون وعــشـــق ذا يروح وذا يغــدو،	**فهـــذا لـــــه حـــد، وهـــذا لـــــه حـــد**
همـــا اســـتوطنا جســـمي وقلبـــي كلاهما،	**فلـــم يـــبق لي قلب صحـــيح ، ولا جـــلد**
وقـــد ســـكنا تحـــت الحشـــا، وتحالفـــا	**علـــى مهجتـــي ألا يفارقهـــا الجهـــد**
فـــأي طبيـــب يســـتطيع بحـــيلة	**يعـــالج مـــن داءيـــن مـــا مـــنهما بـــد**

7 حكايتان عن خالد الكاتب

أ- المعنى ببطن السامع!!

كـــان خالد الكاتب، وهو خالد بن يزيد، ويكنى أبا القاسم، من أهل بغداد، وأصله من خراســـان، وكان أحد كتاب الجيش، فوسوس في آخر عمره، وقيل إنَّ السوداء غلبت عليه، وقال قوم: بل كان يهوى جارية لبعض الملوك ببغداد، فلم يقدر عليها، وولاه محمد بن عبد الملك العطاء بالثغور، فخرج، فسمع في طريقه منشدا ينشد، ومغنية تغني:

مـــن كـــان ذا شـــجن بالشـــام يطلـــبه ، ففـــي حمـــى الشـــام لى أهـــل ولي شجن

فبكى حتى سقط على وجهه مغشيا عليه، ثم أفاق مختلطا، واتصل ذلك حتى وسوس وبطل. قال ولخالد مما غنى به:

يـــا تـــارك الجســـم بـــلا قلـــب، إن كنـــت أهـــواك فمـــا ذنبـــي ؟

يـــا مفـــردا بالحســـن أفردتنـــي مـــنك بطـــول الهجـــر والحـــب

إن تـــك عينـــي أبصـــرت فتـــنة، فهـــل علـــى قلبـــي مـــن عتـــب

حســـيبك الله لمـــا بـــي كمـــا أنـــك فـــى فعلـــك بـــي حســـبي

* * * *



ب - تـضـــاد !!

حمزة بن أبي سلالة الشاعر قال:

دخلـــت بغـــداد في بعض السنين، فبينا أنا مار في الجنينة إذا أنا برجل عليه مبطنة نظيفة، وعلى رأسه قلنسوة سوداء، وهو راكب قصبة والصبيان يصيحون خلفه: يا خالد، يا بـــارد! فـــإذا أذوه حمـــل بالقصبة عليهم، فلم أزل أطردهم عنه حتى تفرقوا وأدخلته بستانا هناك، فجلس واستراح، واشتريت له رطبا فأكل. واستنشدته فأنشدني:

قـــد حـــاز قلبـــي فصـــار يملكـــه   فكـــيف أســـلو وكـــيف أتـــركه

رطيـــب جســـم كالمـــاء تحســـبه   يـــخـــطر فـــي الـــقـــلب منه مـــسلكه

يـــكاد يـــجـــري من القميص من النعـــ   ـــمة لـــولا القمـــيص يمســـكه

فاستزدته، فقال: ولا حرف.



8 الـزرع لـمـن ؟



قال عتبة الغلام:

خرجـــت من البصرة والأبلة، فإذا أنا بخباء أعراب قد زرعوا، وإذا أنا بخيمة، وفي الخـــيمة جاريـــة مجـــنونة عليها جبة صوف لا تباع ولا تشترى، فدنوت فسلمت، فلم ترد السلام، ثم وليت فسمعتها تقول:

زهـــــد الـــــزاهدون والعابدونــــــا، إذ لـمـــولاهــم أجـاعـوا الـبـطـونا

أســـهروا الأعـــين الـــقريـــحة فـيه، فـمــضـى ليـلـهم، وهـــم ساهرونا

حـــــيرتهم محــــــبة الله حـــــتى علـــم الـــناس أن فــــيهم جــــنونا

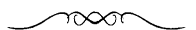
هـــم ألـــبا ذوو عقـــول ولكـــن قـد شـــجاهـم جـمـيع ما يعرفونا[1]

قـــال: فدنـــوت إلـــيها فقلت: لمن الزرع؟ فقالت: لنا إن سلم، فتركتها وأتيت بعض الأخبية، فأرخت السماء كأفواه القرب فقلت: والله لآتينها فأنظر قصتها في هذا المطر، فإذا أنـــا بالزرع قد غرق، وإذا هي قائمة نحوه وهي تقول: والذي أسكن قلبي من طرف سحر بصفي محبة اشتياقك، إن قلبي ليوقن منك بالرضا، ثم التفتت إلي فقالت: يا هذا! إنه زرعه، فأنبـــته، وأقامـــه، فســـنبله، وركبه، وأرسل عليه غيثا فسقاه، واطلع عليه فحفظه، فلما دنا حصاده، أهلكه ! ثم رفعت رأسها نحو السماء فقالت: العباد عبادك، وأرزاقهم عليك، فاصنع ما شئت! فقلت لها: كيف صبرك؟ فقالت: اسكت يا عتبة.

إن إلهــــــي لغنــــــي حمــــــيد، فــي كل يـــــوم مـــنه رزق جـديـد

الحمــــــد لله الـــــذي لـــــم يـــــزل يفعـــل بـــــي أكــــثر ممــــا أريـــد

قال عتبة: فوالله ما ذكرت كلامها إلا هيجني.



(1) ألبا: أصلها الباء، واحدها لبيب : وهو العاقل.

9 عشق مأساوي

عبد الرحمن بن إسحاق القاضي قال:

انحدرت منْ سرّ من رأى مع محمد بن إبراهيم أخي إسحاق، ودجلة تزخر من كثرة مائها. فلما أن سرنا ساعة قال: ارفق بنا، ثم دعا بطعامه، فأكلنا، ثم قال: ما ترى في النبيذ؟ قلت له: أعزك الله أيها الأمير، هذه دجلة قد جاءت بمد عظيم يرعب مثله، وبينك وبين منزلك مبيت ليلة، فلو شئت أخرته. قال: لابد لي من الشرب، فضربت ستارة، واندفعت مغنية تغني، واندفعت أخرى فغنت:

يا رَحْمَتا للعاشقينا ... ما إن أرى لهم معينا

كم يشتمون ويضربو ... ن ويهجرون فيصبرونا

فقالت لها المغنية الأولى: فيصنعون ماذا؟ قالت يصنعون هكذا، فرفعت الستارة، وقذفت بنفسها في دجلة، وكان بين يدي محمد غلام ذكر أنه شراه بألف دينار، وبيده مذبة، لم أر أحسن منه، فوضع المذبة، وقذف بنفسه في دجلة، وهو يقول:

أنت التي غرقتني ... بعد القضا لو تعلمينا

فأراد الملاحون أن يطرحوا أنفسهم خلفهما، فصاح بهم محمد: دعوهما يغرقا إلى لعنة الله! قال: فرأيتهما، وقد خرجا من الماء متعانقين ثم غرقا.



10 الفـراق ... الجنـون

أبا الحسن العيثي المؤدب يقول:

انحدرت من بالس[1]أريد العراق، فدخلت الموصل، فأقمت بها أياما، فبينا أنا مار في بعـض أزقـتها، إذا صـياح وجلـبة، فسألت عنها فقيل: ههنا دار المجانين، وهذا صوت بعضـهم، فدخلـت، فإذا شاب مشدود متشحط في الدم، فسلمت، فرد السلام، وقال: من أين تجـئ؟ قلت: من بالس. قال: وأين تريد؟ قلت: العراق. فقال: أتعرف بني فلان؟ وأشار إلى أهـل بيـت. قلـت: نعم. قال: لا صنع الله لهم ولا خار لهم، هم الذين أدهشوني وتيموني وأحلوني هذا المحل. قلت: وما فعلوا؟ قال:

زمـوا المطايـا واسـتقلوا ضـحى	**ولـم يـبالوا قلـب مـن تـيموا**
مـا ضـرهم، والله يـرعاهم،	**لـو ودعـوا بالطـرف أو سـلموا**
مـا زلـت أذري الـدمع في إثـرهـم،	**حـتى جـرى مـن بعـد دمعـي دم**
مـا أنـصـفوني، يوم بانـوا ضحى،	**ولم يـفوا عهدي ولـم يـرحـموا**

---

(1) بالس: مدينة بالشام بين حلب والرقة تقع على شط الفرات.

11 الحبيب الظالم

أبو المصعب المديني قال:

دخلت على الربيع بن عبيد، وكان قد أخذته زمعة[1] الحب، وتيم عقله، فكان يصيبه كالغفلة حتى يذهب عقله، فسمعته وهو يخاطب نفسه، ويقول:

الحب لو قطعني ما قلت للحب ظلم

قد كنت خلوا، زمنا، فاليوم يبدو ما كتم

قال: قلت كيف أنت يرحمك الله؟ فقال: من أنت؟ فقلت: أنا أخوك أبو المصعب. قال: غشية تجئ، وأخرى تذهب، وأنا أتوقع الموت ما بين ذلك. قلت: الله بينك وبين من ظلمك. قال: مه، والله ما أحب أن يناله مكروه في الدنيا ولا في الآخرة! ثم تنفس حتى رحمته، وهمت دموعه، وذهب عقله، فقمت عنه.

(1) الزمعة : القلق.

12 حُور الدنيا

حبيب الفارسي قال:

دخلـت يوما إلى الرجان[1]، فإذا بمجنون يقال له أُبنًا. قال: فهاج على قلبي آية من كـتاب الله، عز وجل، فقرأت: حورٌ مقصوراتٌ في الخيام، لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان. قال: فهاج ثم أنشأ يقول:

مـن حـب سـيدة تـبوأ جـنة قـد حففـت أنهارهـا بخـيام

مـع خـودة فـي جـوف قصر زبرجد مكـنونة فـي خدرهـا كغـلام

ورصـانة فـي قـولـها وحديثها، لا تأيسـن بـراقد نـوام

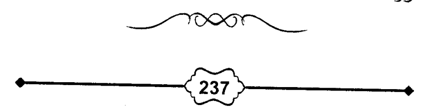
13 السيد والعبد

قال عنبسة الخواص:

كـان عتبة الغلام يزورني، فبات عندي ليلة، فقدمت لـه عشاء، فلم يأكله، فسمعته يقول: يا سيدي إن تعذبني، فإني لك محب، وإن ترحمني، فإني لك محب.

(1) الرجان: لعلها تعني المارستان.

فلما كان في آخر الليل شهق شهقة، وجعل يحشرج كحشرجة الموت، فلما أفاق قلت لــــه: يا أبا عبد الله! ما كان حالك منذ الليلة؟ قال: فصرخ، ثم قال: ياعنبسة، ذكر العرض علــى الله، عز وجل، قطع أوصال المحبين، ثم غشي عليه، ثم أفاق، فسمعته يقول: سيدي أتراك تعذب عبدك؟



14 أيهما : معذور مسلوب العقل !!

الحسن بن جعفر بن سليمان الضبعي قال:

كنت لا أكاد أمر في طريق ولا في حاجة إلا ومعي ألواح، فحججت فرأيت أعرابيا تقدم حتى قام حذاء الكعبة ثم قال: تفهموا عني، واحفظوا مقالتي، ثم رفع صوته فقال:

ألا يــــا مــــن لعيــــن قــــد عصــــتني،	**وقلــــب قــــد أبــــى إلا الحنيــــنا**
ونفــــس لا تــــزال الدهــــر تهفــــو	**كــــأن بهــــا لمــــا تهفــــو جــــنونا**
أحــــب الغانــــيات، ولــــيس قلبــــي	**بســــال مــــا بقيــــت ومــــا بقيــــنا**
وجــــمل، مــــا علــــمت، غــــريم سوء،	**تمنيــــنا وتمطلــــنا الديونــــا**

فرآنــــي وأنا أكتب ما ينشد، ثم قلت لــــه: ويحك! هذا هو الخسران المبين، أتفعل هذا في مثل هذا الموضع؟ قال: بل الخسران المبين ما أنت فيه، أنا معذور مسلوب العقل، جئت مستجيرا بربي لما أجد من قلبي، وأنت تكتب بلايا العاشقين مؤثرا لها في هذا الموضع، تنح عني لا قدس الله روحك!

15 تراجيديا !!

ابن إدريس ، رحمه الله قال:

أن أبا عبد الملك بن مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر، وهـو المعـروف بـالمطلق من بني أمية، كان يعشق جارية كان أبوه قد رباها معه، وذكـرها لــه، ثـم بدا لــه، فاستأثر بها، وخلا معها، فيقال: إنه اشتدت غيرته لذلك وانتضى سيفا وتغفل أباه في بعض خلواته ليلا، فقتله، وعثر على ذلك، فحبسه المنصور محمـد بـن أبي عامر سنين، وقال في السجن أشعاراً رائقة، ثم أطلق فلقب بالمطلق، ويقال أنه من ذلك اعتراه الجنون، وكان يصرع.



16 مجنون وعقلاء

عبد الله بن عبد العزيز السامري قال:

مـررت بدير هرقل أنا وصديق لي، فقال لي: هل لك أن تدخل فترى من فيه من مـلاح المجانين؟ قلت: ذاك إليك. فدخلنا فإذا بشاب حسن الوجه، مرجل الشعر، مكحول العيـن، أزج[1] الحواجب، كأن شعر أجفانه قوادم[2] النسور، وعليه طلاوة تعلوها حلاوة،

(1) أزج : دقيق.

(2) القوادم: ريشات الجناح الكبيرة.

مشدود بسلسلة إلى جدار، فلما بصر بنا قال: مرحبا بالوفد، قرب الله ما نأى منكما، بأبي أنتما. قلنا: وأنت، فأمتع الله الخاصة والعامة بقربك، وآنس جماعة ذوي المروءة بشخصك، وجعلنا وسائر من يحبك فداءك. فقال: أحسن الله عن جميل القول جزاءكما، وتولى مكافأتكما. قلنا: وما تصنع في هذا المكان الذي أنت لغيره أهل؟ فقال:

الله يعلم أنني كمد، ... لا أستطيع أبث ما أجد

نفسان لي: نفس تضمنها ... بلد، وأخرى حازها بلد

أما المقيمة ليس ينفعها ... صبر،وليس بقربها جلد[1]

وأظن غائبتي كشاهدتي، ... بمكانها تجد الذي أجد

ثم التفت إلينا فقال: أحسنت؟ قلنا: نعم! ثم ولينا، فقال: بأبي أنتم ما أسرع مللكم، بالله أعيروني أفهامكم وأذهانكم. قلنا: هات! فقال:

لما أناخوا، قبيل الصبح، عيسهم، ... ورحلوها، فسارت بالهوى الإبل[2]

وقلّبت، من خلال السجف، ناظرها، ... ترنو إلي ودمع العين منهمل[3]

فودعت ببنان ! عقدها عنم ... ناديت لا حملت رجلاك يا جمل[4]

---

(1) قوله: أما المقيمة ليس: حذف الفاء من جواب أما مراعاة للوزن، وهذا خطأ نحوي.

(2) العيس: كرام الإبل ، الواحدة عيساء.

رحلوها: يريد إما وضعوا الرحال على ظهورها، أو جعلوها ترحل. والرحال الواحد رحل، وهو للجمل كالسرج للفرس.

(3) السجف: الستران بينهما فرجة.

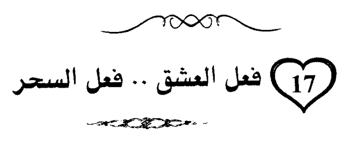
(4) عقدها: أي عقد عليها العنم: شجر له ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضب، الواحدة عنمة.

ويلـــي مـــن البيـــن! مـــاذا حل بي وبها؟   يـــا نـــازح الـــدار حـــل البين وارتحلوا

يـــا راحـــل العـــيس عـــرج كي أودعها،   يـــا راحـــل العـــيس فـــي ترحالك الأجل

إنـــي علـــى العهـــد لـــم أنقض مودتكم،   فليـــت شـــعري، وطـــال العهـــد، ما فعلوا

فقلـــنا ولـــم نعلـــم بحقيقة ما وصف، مجونا منا: ماتوا! فقال: أقسمت عليكم! مـــاتوا؟ فقلنا، لننظر ما يصنع: نعم! ماتوا. قال: إني والله ميت في أثرهم، ثم جذب نفسه في السلسلة جذبة دلع منها لسانه، وندرت [1] لها عيناه، وانبعثت شفتاه بالدماء، فتلبط ساعة، ثم مات. فلا أنسى ندامتنا على ما صنعنا.



17 فعل العشق .. فعل السحر

جابر بن نوح قال:

كنـــت بمديـــنة الرسول، صلى الله عليه وآله وسلم، جالسا عند بعض أهل السوق، فمـــر بي شيخ حسن الوجه حسن الثياب، فقام إليه البائع فسلم عليه، وقال لـــه: يا محمد! أسأل الله أن يعظم أجرك وأن يربط على قلبك بالصبر. فقال الشيخ مجيبا له:

وكـــان يمينـــي فـــي الوغـــي ومساعدي،   فأصـــبحت قـــد خانـــت يمينـــي ذراعها

وأصـــبحت حـــرانا مـــن الـــثكل حائـــرا،   أخـــا كلـــف ضـــاقت علـــى رباعهـــا

(1) ندرت عيناه: خرجت من محجرها.

فقـال الـبائع: أبشر يا أبا محمد، فإن الصبر معول المؤمن، وإني لأرجو أن لا يحرمك الله الأجر على مصيبتك.

فقلت لـه: من هذا الشيخ؟ فقال: رجل منا من الأنصار من الخزرج. فقلت: وما قصته؟ قال: أصيب بابنه، وكان به بارا قد كفاه جميع ما يعنيه وقام به، وميتته أعجب ميـتة. قلـت: ومـا كان سبب ميتته، وما كان خبره؟ قال: أحبته امرأة من الأنصار، فأرسـلت إليه تشكو حبها وتسأله الزيارة، وتدعوه إلى الفاحشة. قال: وكانت ذات بعل، فأرسل إليها:

إن الحـرام سـبيل لسـت أسـلكه ... ولا أمـر بـه مـا عشـت في الناس

ألغـي العـتاب، فإني غـير مـتـبع ... مـا تشـتهين، فكونـي مـنه فـي ياس

فلما قرأت الأبيات كتبت إليه:

دع عـنك هـذا الـذي أصـبحت تذكره، ... وصـر إلـى حاجتـي يـا أيهـا القاسـي

دع التنسـك إنـي غـير ناسـكة، ... ولـيس يدخـل مـا أبديـت فـي راسـي

قـال: فأفشـى ذلك إلى صديق لـه، فقال لـه: لو بعثت إليها بعض أهلك فوعظتها وزجرتها رجوت أن تكف عنك. فقال: والله لا فعلت ولا صرت في الدنيا حديثا، وللعار في الدنيا خير من النار في الآخرة، وقال:

العـار فـي مـدة الدنـيا وقلـتها، ... يفـنى ويـبقى الذي بالـنار يؤذيني

والـنار لا تنقضـي مـادام بـي رمـق ... ولسـت ذاميـتة فـيها، فتفنينـي

لكـن سأصـبر صـبر الحـر محتسبا، ... لـعـل ربي من الـفـردوس يدنيني

قال: وأمسك عنها، فأرسلت إليه: إما أن تزورني، وإما أن أزورك. فأرسل إليها: اربعي أيتها المرأة على نفسك، ودعي عنك التسرع إلى هذا الأمر. قال: فلما أيست منه ذهبت إلى امرأة كانت تعمل السحر، فجعلت لها الرغائب لتهيجه. قال: فعملت لها فيه.

قال: فبينا هو ذات ليلة جالس مع أبيه، إذ خطر ذكرها بقلبه وهاج به أمر لم يكن يعـرفه، واخـتلط، فقـام من بين يدي أبيه مسرعا فصلى واستعاذ وجعل يبكي والأمر يـتزايد، فقال لـه أبوه: يا بني ما قصتك؟ فقال: يا أبت! أدركني بقيد فما أرى إلا وقد غلب علي. قال: فجعل أبوه يبكي ويقول: يا بني حدثني بالقصة، فحدثه بقصته، فقام إليه فقـيده وأدخله بيتا، فجعل يضطرب ويخور كما يخور الثور، ثم هدأ ساعة عند الباب، فإذا هو ميت، وإذا الدم يسيل من منخره.



الفصل السابع

العشق بدويّ



1 يسائلنى عن علتى وهو علتى

علقت فتاة من العرب فتى من قومها، وكان الفتى عاقلا فاضلا، فجعلت تكثر التردد إليه، تسأله عن أمور النساء، وما في قلبها إلا النظر إليه واستماع كلامه، فلما طال ذلك عليها، مرضت وتغيرت، واحتالت في أن خلا لها وجهه وقتا، فتعرضت له ببعض الأمر، فصرفها ودفعها عنه، فتزايد بها المرض، حتى سقطت على الفراش، فقالت له أمه: إن فلانة قد مرضت، ولها علينا حق. قال: فعوديها، وقولي لها: يقول لك ما خبرك؟ فصارت إليها أمه، فقالت لها: ما بك؟ قالت: وجع في فؤادي هو أصل علتي، قالت: فإن ابني يقول لك ما علتك؟ فتنفست الصعداء، وقالت:

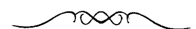
يسائلني عن علتي وهو علتي عجيب من الأنباء جاء به الخبر

فانصرفت أمه إليه، فأخبرته، وقالت له: قد كنت أحب أن نسألها المصير إلينا لنقضي حقها ونلي خدمتها، قال: فسليها ذلك، قالت: قد أردت أن أفعله ولكن أحببت أن يكون عن رأيك. فمضت إليها، فذكرت لها ذلك عنه، فبكت وقبلت، ثم أنشأت تقول:

يباعدني عن قربه ولقائه فلما أذاب الجسم مني تعطفا

فلست بآت موضعا فيه قاتلي، كفاني سقاما أن أموت كذا كفى

فألحت عليها، فأبت. وترامت العلة بها، وتزايد المرض حتى ماتت.



2 تبكي وأنت قتلتها

خرج ناس من بني حنيفة يتنزهون فبصر فتى منهم بجارية فعشقها، فقال لأصحابه: انصرفوا حتى أقيم وأرسل إليها، فطلبوا إليه أن يكف، وأن ينصرف، فأبى، وانصرف القوم، وجعل يراسل الجارية حتى وقع في نفسها، فأقبل في ليلة إضحيان[1] متقلدا قوسا، والجارية نائمة بين اخوتها، فأيقظها، فقالت: يا فاسق انصرف وإلا، والله، أيقظت إخوتي، فقاموا إليك، فقتلوك، فقال: والله للموت أهون علي مما أنا فيه، ولكن أعطيني يدك أضعها على فؤادي وأنصرف. فأعطته يدها، فوضعها على فؤاده وصدره ثم انصرف.

فلما كانت الليلة القابلة أتاها، وهي في مثل حالها، فأيقظها، فقالت له مثل مقالتها الأولى، ورد هو عليها مثل قولها، وقال لك الله على إن أمكنتني من شفتيك أرتشفهما أن أنصرف، ثم لا أعود إليك. فأمكنته من شفتيها ثم انصرف، ووقع في نفسها مثل النار، ونذر به الحي، فقالوا: ما لهذا الفاسق في مثل هذا الحي ذاهبا وجائيا؟ انهضوا بنا حتى نخرجه. فأرسلت إليه أن القوم يأتونك الليلة، فالحذر. فلما أمسى خرج ناحية عن الحي، فقعد على مرقب له ومعه قوسه وأسهمه، وكان أحد الرماة، وأصاب الحي من النهار مطر، فلهوا عنه، فلما كان في آخر الليل ذهب السحاب، وطلع القمر، فخرجت تريده، وقد أصابها الندى، فنشرت شعرها، وكانت معها جارية من الحي، فقالت: هل لك في عباس، وهو اسمه، فخرجتا تمشيان، فنظر إليهما، وهو على المرقب، فظن أنهما ممن يطلبه، فرمى بسهمه فما أخطأ قلب الجارية، ففلقه، وصاحت الجارية التي كانت معها، وانحدر من المرقب الذي كان عليه، فإذا هو بالجارية متضمخة بدمها، فقال عند ذلك، وهو يبكي :

---

(1) إضحيان: لا غيم فيها، مقمرة.

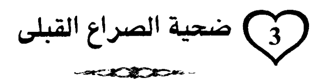


نعـــب الغــــراب بمـــا كــــرهـــ ـــــــت ولا إزالـــــة للقـــــدر

تــــبكى، وأنـــــت قتلـــتها، فاصــــبر، وإلا فانـــتحر

قـــال: ثم وجأ نفسه بمشاقصة[1]، حتى مات. وجاء الحي فوجدوهما ميتين، فدفنوهما في قبر واحد.





3 ضحية الصراع القبلى

نزل أعرابي من بني أسد بأعرابية من طي في يوم صائف، فأتته بقرى حاضر وماء بـارد، فنظر إليها، ففتنته بنظرها من وراء البرقع، فراودها عن نفسها، فقالت: يا هذا! أما يقذعك[2] الإسلام والكرم؟ كل وقل[3]، وإن أردت غير ذلك فارتحل، فأنشأ الأسدي يقول:

تقـول لـي عـمـرة قـول لـمـبـتغ: للضـيف حق يا فتى فـكل وقـل

فعـندنا مـا شـئت من برد وظل، أمـا الـذي تـطـلبه، فلايـحـل

يمنع مـنه الديـن والـعـرق الأصل[4]

قـال: وعلقها، فقال: فزوجيني نفسك. فقالت: شأنك وأوليائي! فأتاهم، فخاف أن لا

(1) المشاقص، الواحد مشقص: سهم فيه نصل عريض.

(2) أرادت بيقذعك: ينهاك.

(3) قل: نم القيلولة وهي نومة نصف النهار.

(4) الأصل: ذو الأصل.

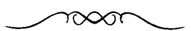
يـــزوجوه للعداوة التي بينهم، فانتسب عذريا، فزوجوه ، فأقام معها زمانا ثم علم به أهلها، فقـــالوا : يـــا هـــذا والله إنك لكفؤ كريم، ولكنا نكره أن تنكح منا وأنت حربنا، فخل عن صـــاحبتنا، وقـــد كان تزايد وجده بها لما رأى من موافقتها وحسنها، وكانت تهالكه عند الجماع، فطلقها وقال:

أحـــبك يـــا عمـــر حـــب المســـر، لطـــول الحـــياة وأمـــن الغـــير

ويعجبنـــي مـــنك عـــند الجمـــــاع حـــياة الكـــلام ومـــوت الـــنظر

وهجـــرك يرميـــن بالمـــنكرات أغالـــيط ذو الســـكر المبـــتهر [1]

وذو أشـــر بـــارد طعمـــه، ورابـــي المجســـة سُـــخن القعـــر



4 تتسول لتصون الذكرى

رأيـــت أعرابـــية ذات جمـــال فـــائق بمنى، وهي تتصدق [2]، فقلت لها: يا أمة الله تتصـــدقين، ولك هذا الجمال؟ فقالت: قدر الله فما أصنع؟ قلت: فمن أين معاشكم؟ قالت هذا الحاج نتقممهم [3]، ونغسل ثيابهم. قلت: فإذا ذهب الحاج، فمن أين؟ فنظرت إلي، وقالت لي: يا صلت الجبين! لو كنا إنما نعيش من حيث تعلم لما عشنا.

فوقعت بقلبي. فقلت لها: هل لك زوج يعفك ويغنيك الله بسعيه وكده؟ قالت: هيهات،

---

(1) قوله: يرمين، هكذا في الأصل. المبتهر : المبالغ في الشيء.

(2) تتصدق : تتسول، تطلب الصدقة.

(3) تقمم : تتبع القمامات.

مـــا أنـــا إذا مـــن العرب، ولم أف لـــه! فعلمت أن زوجها توفي وآلت أن لا تتزوج بعده، فتركتها.

5 لـقـاء وحيـد !!

أبو جعفر محمد بن عبد الله بن يزيد، حدثتني أمي، وكانت من عذرة، عن أبيها أنها سمعته يحدث إخوانا له قال:

أحببت جارية من العرب، وكانت ذات عقل وأدب، فما زلت أحتال في أمرها حتى اجتمعت معها في ليلة مظلمة شديدة السواد، في موضع خال، فحادثتها ساعة.

ثـــم دعتني نفسي إليها، فقلت: يا هذه! قد طال شوقي إليك، فقالت: وأنا كذلك. فقلت لهـــا: وقد عسر اللقاء. قالت: نحن كذلك. قلت: هذا الليل قد ذهب، والصبح قد قرب. قالت: وهكـــذا تفنى الشهوات وتنقطع اللذات. قلت لها: لو أدنيتني منك؟ فقالت: هيهات هيهات إني أخـــاف العقوبة من الله تعالى. قلت لها: فما الذي دعاك إلى الحضور معي في هذا المكان؟ قالـــت: شقوتي وبلائي، قلت: فمتى أراك؟ قالت: ما أراني أنساك، وأما الاجتماع معك فما أراه يكون.

قال: ثم تولت من بين يدي، فاستحيت مما سمعت منها، فرجعت، وقد خرج من قلبي ما كنت أجد من حبها ثم أنشأت أقول:

توقـــت عـــذابـــا لا يطاق انتـــقامه،	ولـــم تـــأت مـــا تخشى بـــه أن تعذبا
وقالـــت مقـــالا كـــدت مـــن شـــدة الحـــيا	أهـــيم عـــلى وجـــهـي حـيا وتعـــجبا



ألا أف للحب الذي يورث العمى ... ويورد نارا لا تمل لتوثبا

فأقبل عودي فوق بدء مفكرا، ... وقد زال عن قلبي العمى فتسربا

قال: فلم أر امرأة كانت أصون منها لدينها ولا أعقل.

6 رسائل حب منظومة

كان رجل من كلب عاشقا لابنة عم له، وكانت هي له كذلك، وكان الفتى مقلا، فخطبها إلى عمه، فأبى وسأله مالا كثيرا، فلما رأت الجارية شدة أبيها على ابن عمها، أرسلت إليه أن اخرج فاطلب الرزق، ولك علي أن اصبر عامين على أن تحلف لي وتوثق لي أنك إن أصبت مالا، لا تتزوج إلا أن يبلغك موتي. فحلف لها، وحلفت له، فخرج الفتى، فرزقه الله مالا، فبلغ الجارية أنه قد تزوج، فكتبت إليه:

ألا ليت شعري هل تغيرت بعدنا ... أم أنت على العهد الذي كنت أعهد

فكتب إليها:

عليك بحسن الظن يا هند، واعلمي ... بأن وصالي، ما حييت، مجدد

فكتبت إليه:

إن الرجال أولو غدر، وإن حلفوا ... وقولهم غرر، ولود ممنوق

فكتب إليها:



أمنــت مــــن غدرنا مــا دمت سالمة، وما أضـــاء لنا ، يا حمدة، الأفق

فكتبت إليه:

لـــو كــان غـيــرك ما صدقـــته أبــدا، وأنـــت عـندي امـرؤ بالصدق معروف

فكتب إليها:

إن كنـت عـنـدك ذا صـــدق وذا ثقــة فــإن قلبـي بكم، يا حمد، مشغوف

فكتبت إليه:

أقــبل إليـنــا وعجـل مــا استطعت ولا تمكــث، فــإن أبي قد قارب الأجلا

فكتب إليها:

إنـــي إلـيك ســــريع، فاعـلمـيه إذا هــــل الهلال، فلا تبغي لي العللا

فقدم، وقد مات أبوها، فتزوجها.



7 عاشقة قوية وعاشق مطيع

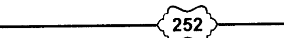
عن أبي زكريا العجلاني:

أن رجــلا من بني عقيل يسمى صخرا، وكانت له ابنة عم تدعى ليلى، وكان بينهما ود شــديد، وحب مبرح، ولم يكن واحد منهما يفتر عن صاحبه ساعة، ولا يوما، وكان لهما مكـــان يلتقــيان فيه، ولليلى جارية تبلغ صخرا رسائلها، وتبلغها عنه، وتسعى بينهما، حتى طال ذلك منهما، وكانا يتحدثان في كل ليلة، ثم ينصرفان إلى منازلهما.

ثــم أن أبا صخر زوج صخراً امرأة من الأزد وصخر لذلك كاره مخافة أن تصرمه ليلى، فلما بلغ ليلى خبره، قطعته وتركت إتيان المكان الذي كانا يلتقيان فيه، فمرض صخر مرضًــا شديدا، وكان قد أفشى سره إلى ابن عم لـــه، وكانوا يقولون : قد سحرته ليلى، لما كـــان يصـــنع بنفسه. فكان ابن عمه يحمله إلى ذلك المكان الذي كانا يلتقيان فيه، فلا يزال يبكي على آثارها وعهدها حتى يصبح، وابن عمه يسعفه ثم يرده.

وكانت ليلى أشد وجدا به، وحبا له منه لها، فأرسلت جاريتها إليه، وقالت: اذهبي إلى مكاننا، فانظري هل ترين صخرا هنالك، فإذا رأيته فقولي له:

تعســا لمــن لغـير ذنــب يصــرم، قـــد كـنت يا صخر زمانا تزعـم :
أنـــك مشـــغوف بـــنا متـــيم، فـــالحمد لله علـــى مـــا يـــنعم
لمـــا بـــدا مـــنك لـــنا المجمجـــم، والله ربـــي شـــاهد قـــد يعلـــم



أن رب خطب شـأنـه يعظم ... رددتـه والأنـف منه يرغم [1]

قـال: فانطلقـت الجارية، فإذا هي بصخر، فأبلغته قولها، فوجدته كالشن[2] البالي قد هلـك حـزنا ووجدا. فقال لها: يا حسن أحسني بي فعلا، وأبيني لي عذرا، وسلي لي غفرا وصلحا، فوالله ما ملكت أمري، وقولي لها:

فهمـت الـذي عيرت يا خير من مشى ... ومـا كـان عن رأيي وما كان عن أمري

دعيت فلم أفعل، وزوجت كـارهـا ... وما لي ذنـب، فاقـبلي واضح العذر

فـإن كنـت قد سميت صخرا، فإنني ... لأضـعف عـن حمل القليل من الصخر

ولسـت، ورب البيت، أبغي مـحدثا ... سـواك، ولـو عشنا إلى ملتقى الحشر

فقالـت له: حسـن يا صخر! إن كنت تزعم أنك كاره تزويج أبيك إياك فاجعل أمر امـرأتك بيدي لأعلم ليلى أنك لها محب ولغيرها قال، وأنك كنت مكرها. فقال: لا! ولكن قد جعلت ذلك في يد ابنة عمي.

فانصرفت إليها فأخبرتها بما دار بينهما، وقالت: قد جعل الأمر إليك، وما عليه عتب فطلقيها منه. قالت ليلى: هذا قبيح، ولكن عدية الليلة إلى موضع متحدثنا، ثم أطلق إن جعل أمرها إليك، فإنه لم يكن ليردك بحضرتي.

فمضت الجارية، فأخذت موعده، فاجتمعا وتشاكيا، وتعاتبا، ثم قالت لـه الجارية: اجعل أمـر أهلك إلي، فوالله إن ليلى لأفضل بني عقيل نسبا وأكرمهم أبا وحسبا، وإنها لأشد لك حبا، فقال صخر: فأمرها في يدك. قالت: فهي طالق منك ثلاثا، فأظهرت ليلى من ذلك جزعا، وأن الـذي فعلـت جاريتها شق عليها. فتراجعا إلى ما كانا عليه من اللقاء ولم يظهر صخر طلاق

---

(1) الخطب : الذي يخطب المرأة.

(2) الشن: اليابس البالي.

امرأته حتى قال لــه أبوه: يا صخر ألا تبني بأهلك؟ قال لــه: وكيف أبني بها، وقد بانت مني عصمتها في يمين حلفت بها؟ فأعلم أبوه أهل المرأة، وقالت المرأة تهجو ليلى وقومها:

ألا أبلغــا عــنى عقــيلا رســالة، ومــا لعقــيل مــن حــياء ولا فضــل

نســاؤهم شــر النســاء، وأنــتم كذلك، إن الفــرع يجري على الأصــل

أمــا فــيكم حــر يغــار علــى اخــته، ومــا خــير حــي لا يغــار علــى الأهــل

قــال: وهجــتها لــيلى، وتقاولتا حتى شاع خبرهما، فأجمعوا على تزويج ليلى من صخر، لما انكشف لهم من وجد كل واحد منهما بصاحبه، فزوجوها من صخر، فعاشا على أنعم حال وأحسن مودة.



8 يقتل الأسد ثم يقتل نفسه !!

أحمد بن عمر الزهري، حدثني عمي عن أبيه قال:

خرجت في نشدان ضالة لي، فآواني المبيت إلى خيمة أعرابي، فقلت: هل من قرى؟ فقال لي: انزل! فنزلت، فثنى لي وسادة، وأقبل علي يحدثني، ثم أتاني بقرى، فأكلت.

فبيــنا أنــا بين النائم واليقظان، إذا بفتاة قد أقبلت لم أر مثلها جمالا وحسنا، فجلست وجعلــت تحدث الأعرابي ويحدثها، ليس غير ذلك، حتى طلع الفجر، ثم انصرفت، فقلت: والله لا أبرح موضعي هذا، حتى أعرف خبر الجارية والأعرابي.

قــال: فمضــيت في طلب ضالتي يوما، ثم أتيته عند الليل، فأتى بقرى، فبينا أنا بين

الـــنائم والـــيقظان، وقد أبطأت الجارية عن وقتها، قلق الأعرابي، فكان يذهب ويجئ وهو يقول:

مـــا بـــال مـــية لا تأتـــي لعلـــتها، أعاجهـــا طـــرب أم صـــدها شـــغل

لكـــن قلبـــي عـــنكم لـــيس يشـــغله حـــتى الممـــات، ومالـــي غـــيركم أمـــل

لـــو تعلميـــن الـــذي بـــي مـــن فـــراقكم لمـــا اعـــتذرت ولا طابـــت لـــك العلـــل

نفســـي فـــداؤك قـــد أحللـــت بـــي سقما تكـــاد مـــن حـــره الأعضـــاء تنفصـــل

لـــو أن غاديـــة مـــنه علـــى جـــبل، لمـــاد وانهـــدّ مـــن أركانـــه الجـــبل

ثـــم أتاني فأنبهني، ثم قال لي: إن خلتي التي رأيت بالأمس، قد أبطأت علي، وبيني وبيـــنها غيضـــة، ولست آمن السبع عليها، فانظر ما ههنا حتى أعلم علمها، ثم مضى فأبطأ قلـــيلا، ثم جاء بها يحملها، وإذا السبع قد أصابها، فوضعها بين يدي، ثم أخذ سيفه، ومضى فلم أشعر إلا وقد جاء بالأسد يجره مقتولا، ثم أنشأ يقول:

ألا أيهـــا الليـــث المضـــر بنفســـه، هبلـــت لقـــد جـــرت يـــداك لـــك الشـــرا

أخلفتنـــي فـــردا وحـــيدا مدلهـــا وصـــيرت آفـــاق الـــبلاد بهـــا قـــبرا

أأصـــحب دهـــرا خانني بفـــراقها ؟ معـــاذ إلهـــي أن أكـــون بهـــا بـــرا [1]

ثـــم أقـــبل علـــي فقال: هذه ابنة عمي كانت من أحب الناس إلي، فمنعني أبوها أن أتزوجها، فزوجها رجلا من أهل هذه الأبيات، فخرجت من مالي كله ورضيت بالمقام ههنا علـــى مـــا ترى، فكانت إذا وجدت خلوة أو غفلة من زوجها أتتني، فحدثتني وحدثتها، كما رأيـــت لـــيس شيء غيره، وقد آليت على نفسي أن لا أعيش بعدها، فأسألك بالحرمة التي

(1) قوله : أن أكون بها برا، هكذا في الأصل. ولعله أراد أن لا أكون بها برا فحذف لا ليستقيم الوزن.

جــرت بيني وبينك، إذا أنا مت فلففني وإياها في هذا الثوب، وادفنا في مكاننا هذا، واكتب على قبرنا هذا الشعر:

كـــنا عــلى ظهرها والدهـــر في مهل، والعــيش يجمعــنا والــدار والوطــن

ففـــرق الدهـــر بالتصـــريف ألفتـــنا، فالــيوم يجمعــنا فــي بطــنها الكفــن

ثــم اتكـأ على سيفه، فخرج من ظهره فسقط ميتا، فلففتهما في الثوب وحفرت لهما فدفنتهما في قبر واحد وكتبت عليه كما أمرني.

9 معاوية وحسناء بنى عذرة

أذن معاويــة بــن أبــي ســفيان للناس يوما، فكان في من دخل عليه فتى من بني عذرة،فلما أخذ الناس مجالسهم قام الفتى العذري بين السماطين، ثم أنشأ يقول:

مــعــاوي! يا ذا الــحـلم والفضل والعقل وذا الــبر والإحــسان والجــود والبــذل

أتــيـــتك لمــا ضاق في الأرض مسكني، وأنكــرت ممــا قــد أصــيب بــه عقلــي

ففـــرج، كـــلاك الله عنـــي، فإنـنـــي لقيــت الــذي لــم يلقــه أحــد قبلــي

وخــذ لــي، هــداك الله، حقــي من الذي رمانـــي بســـهم كـــان أهونـــه قتلـــي

وكنـــت أرجـــي عدلـــه إذ أتيـــته، فأكـــثر تـــردادي مع الحـــبس والكبل[1]

---

(1) الكبل: القيد.

فطلقــتها مـــن جهـــد مـــا قـــد أصـــابني، فهـــذا أمـــير المؤمنيـــن مـــن العـــدل ؟

فقـــال لـــــه معاويـــة:ادن. بارك الله عليك، ما خطبك؟ فقال: أطال الله بقاء أمير المؤمنيـــن! إنني رجل من بني عذرة تزوجت ابنة عم لي. وكانت لي صرمة [1] من إبل وشـــويهات، فأنفقـــت ذلك عليها، فلما أصابتني نائبة الزمان وحادثات الدهر رغب عني أبوها، فكرهت مخالفة أبيها، فأتيت عاملك ابن أم الحكم، فذكرت ذلك لـــه، وبلغه جمالها، فـــأعطى أباها عشرة آلاف درهم وتزوجها، وأخذني فحبسني وضيق علي، فلما أصابني مـــس الحديـــد وألم العذاب طلقتها، وقد أتيتك، يا أمير المؤمنين، وأنت غياث المحروب، وسند المسلوب، فهل من فرج؟ ثم بكى وقال في بكائه:

فـــي القلـــب منـــي نـــار، والـــنار فـــيها شـــنار [2]

وفـــي فـــؤادي جمـــر والجمـــر فـــيه شـــرار

والجســـم منـــي نحـــيل واللـــون فـــيه أصـــفرار

وأعيـــن تبكـــي بشـــجو فدمعهـــا مـــدرار

والحـــب داء عســـير فـــيه الطبيـــب يحـــار

حملـــت مـــنه عظـــيما فمـــا علـــيه اصـــطبار

فلـــيس ليلـــي لـــيلا ولا نهـــاري نهـــار

فرق له معاوية، وكتب له إلى ابن أم الحكم كتابا غليظا، وكتب في آخره:

ركبـــت أمـــرا عـــظيما لـــست أعرفه، أســـتغـــفـــر الله مـــن جـــور امرئ زان

---

(1) الصرمة : القطعة من الإبل.

(2) الشنار : العيب.

قد كنت تشبه صوفيا له كتب	من الفرائض أو آيات فرقان
حتى أتانى الفتى العذري منتحبا،	يشكو إلىّ بحق غير بهتان
أعطي الإله عهودا لا أخيس بها	أو لا فأبرأ من دين وإيمان
إن أنت راجعتني في ما كتبت به	لأجعلنك لحما بين عقبان
طلّق سعاد، وفارقها بمجتمع	أشهد على ذاك نصرا وابن طيبان
فما سمعت كما بلغت من عجب،	ولا فعالك حقا فعل إنسان

فلما ورد كتاب معاوية على ابن أم الحكم تنفس الصعداء وقال: وددت أن أمير المؤمنين خلى بيني وبينها سنة، ثم عرضني على السيف، وجعل يؤامر نفسه في طلاقها ولا يقدر، فلما أزعجه الوفد طلقها، ثم قال: اخرجي يا سعاد، فخرجت شكلة[1] غنجة، ذات هيبة وجمال، فلما رآها الوفد قالوا: ما تصلح هذه إلا لأمير المؤمنين لا لأعرابي، وكتب جواب كتابه:

لا تحنثن، أمير المؤمنين، وفي	بعهدك اليوم في رفق وأحسانِ [2]
وما ركبت حراما حين أعجبني،	فكيف سميت باسم الخائن الزاني!
وسوف تأتيك شمس لاخفاء بها	أبهى البرية من إنس ومن جان
حوراء يقصرعنها الوصف إن وصفت	أقول ذلك في سر وإعلان

فلما ورد على معاوية الكتاب قال: إن كانت أعطيت حسن النغمة مع هذه الصفة،

(1) شكلة: ذات دلال و غنج.

(2) قوله: في بعهد الوجه : ف، أمر من وفى اشبع الكسرة فتولدت منها ياء.

فهـي أكمـل البرية، فاستنطقها، فإذا هي أحسن الناس كلاما،وأكملهم شكلا ودلا، فقال: يا أعرابي! هل من سلو عنها بأفضل الرغبة؟ قال: نعم، إذا فرقت بين رأسي وجسدي، ثم أنشأ يقول:

لا تجعلنـي، والأمثال تـضرب بي، كالمستغيث من الـرمـضاء بالـنار

أردد سـعاد علـى حـران مكتئـب يمسـي ويصـبح فـي هـم وتذكـار

قـد شـفه قلـق مـا مـثله قلـق، وأشـعر القلـب مـنه أي إشـعار

والله والله لا أنسـى محبـتها حـتى أغـيب في رمـس وأحـجار

كـيف السـلو وقـد هـام الفـؤاد بها وأصـبح القـلب عـنها غـير صـبار

قال: فغضب معاوية غضباً شديدا، ثم قال لها: اختاري، إن شئت، أنا، وإن شئت ابن أم الحكم، وإن شئت الأعرابي، فأنشأت سعاد تقول:

هـذا، وإن أصـبح فـي أطمـار، وكان في نـقـص من اليـسار

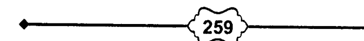
أعـز عـندي مـن أبـي وجـاري، وصـاحب الدرهـم والديـنار

أخـشـى إذا غـدرت ، حـر الـنار

فقال معاوية: خذها لا بارك الله لك فيها، فأنشأ الأعرابي يقول:

خلـوا عـن الطـريق للأعرابـي ، إن لـم تـرقـوا ويـحـكم لـما بى

قال: فضحك معاوية وأمر لـه بعشرة آلاف درهم، وناقة ووطاء، وأمر بها، فأدخلت بعض قصوره حتى انقضت عدتها من ابن أم الحكم ثم أمر بدفعها إلى الأعرابي.



10 مطاردة عاشق

كـــان فتى من بني مرة يقال له عمر بن عون، وكان يحب جارية من قومه يقال لها بيا[1] بنت الركين، فتزوجها رجل من قومه يقال له دهيم، وأبت بيا إلا حب عمر بن عون، وأبى عمر إلا حبها وقول الشعر فيها، فخرج زوجها بها هاربا منه حتى وقع باليمن في بني الحـــارث بـــن كعب، فطلبها عمر، فخفي عليه أمرها، ولم يعلم موضعها، فمكث حينا يبكي ويبكـــي له من عرفه، ثم خرج حاجا على ناقة لـــه، ومعه صحابة لـــه، وقال: لعلي أتعلق بأستار الكعبة، أسأل الله، فعسى أن يرحمني، فيردها علي، أو يذهب بقلبي عن حبها.

فلما كان بمنى نظر إليه فتى من بني الحارث بن كعب، فأعجبه، فجلس إليه يتحدث معـــه، وأنشده عمر بعض شعره في بيا، وشكا إليه بعض ما هو فيه من البلاء، فرق له، فقـــال الفتى، وسأله عن صفتها وصفة زوجها، فوصفها لـــه، فقال الفتى: عندي خبر هذه المـــرأة، وهذا الرجل، منذ سنوات، فخر عمر لله تعالى ساجدا، ثم سأله عن حالها، فذكر لـــــه أنها سالمة، وأنها باكية حزينة لا يهنؤها شئ من العيش. فقال له عمر: هل لك في صـــنيعة عـــند مـــن يحســـن الشكر؟ فقال لـــه الفتى: أفعل ماذا ؟ قال عمر: تخلف عن أصحابك، وأتخلف عن أصحابي حتى لا يكون عند أحد منا علم، ثم أمضى معك متنكرا. فقال الفتى: ذلك لك في عنقي.

فلمـــا كان النفر تخلف كل واحد منهما عن صاحبه، وأقاما بمكة أياما ثلاثة أو أربعة حـــتى ارتحـــل الحـــاج، ثم مضيا حتى وصل الفتى إلى أهله، فأدخله مع امرأته وأخته في منزلهما، ومضى إلى بيا، وأخبرها، فكانت تجيئه كل يوم فيتحدثان ويشكوان ما كانا فيه من الـــبلاء والوحشة، واستراب زوجها بغشيانها ذلك البيت، ولم تكن من قبل تغشاه، ولا تقرب

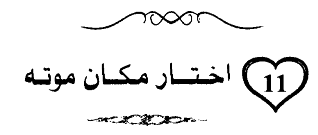
(1) بيا: وصف من بياه: إذا قربه وأضحكه وسره.

أهلـــه، واستراب بطيب نفسها، وأنها ليست كما كانت، فخرج في رفقة إلى نجران على أن يغيـــب عشر ليال، فأقام ليلتين مختفيا في موضع، ثم أقبل راجعا في الليلة الثالثة، وقد أمنه عمر، وظن أنه قد ذهب فأتاها، ففرشت له بساطا قدام البيت، فتحدثا ثم غلبهما النوم، وهي مضـــطجعة على جانب البساط، وعمر على جانبه الآخر، فأقبل الزوج، فوجدهما على تلك الحال، فنظر في وجه عمر، فعرفه فأثبته، وانتبه عمر فوثب بالسيف فزعا. فقال له الزوج: ويلك يا عمر ما ينجيني منك بر ولا بحر.

فقـــال عمر يا ابن عمي! ما أنا على ريبة، وما يسائلني الله تعالى عن أهلك عن قبيح قـــط، ولكـــن نشأت أنا وهي فألفتها وألفتني، ونحن صبيان، فلست أعطي عنها صبرا، وما بيننا شئ أكثر من هذا الحديث الذي ترى.

قال له الزوج: أما أنا فلم أهرب إلى هذه البلاد إلا منك، فأما بعد أن صح عندي من عفتك وصدق قولك فإني لا أهرب منك أبدا.

فأقـــاموا ســـنوات، وهـــم على تلك الحال، فمات عمر وجدا بها، فكانت تبكي عليه الدماء، فضلا عن الدموع، ثم مات دهيم بعد ذلك وعمرت هي.



11 اختـــار مكـــان موتـه



جبر بن حبيب قال:

أقبلـــت من مكة أريد اليمامة فنزلت بحي من عامر، فأكرموا مثواي، فإذا فتى حسن الهيـــئة قد جاءني، فسلم علي، فقال: أين يريد الراكب؟ قلت: اليمامة. قال: ومن أين أقبلت؟ قلـــت: مـــن مكـــة. فجلس إلي، فحادثني أحسن الحديث ثم قال لي: أتأذن في صحبتك إلى

الـــيمامة؟ قلت: أحب خير مصحوب، فقام، فما لبث أن جاء بناقة كأنها قلعة بيضاء، وعليها أداة حســـنة، فأناخها قريبا من مبيتي، وتوسد ذراعها، فلما هممت بالرحيل أيقظته فكأنه لم يكـــن نائمـــا، فقام فأصلح رحله فركب وركبت، فقصر علي يومي بصحبته، وسهلت علي وعوث[1] سفري، فلما رأينا بياض قصور اليمامة تمثل:

وأعرضـــــت الـــــيمامة واشـــــمخرت كأســــــيف بــــــأيدي مصـــــلتينا [2]

وهو في ذلك كله لا ينشدني إلا بيتا معجبا في الهوى، فلما قربنا من اليمامة مال عن الطريق إلى أبيات قريبة منا، فقلت له: لعلك تحاول حاجة في هذه الأبيات؟ قال: أجل! قلت: انطلـــق راشدا. فقال: هل أنت موف حق الصحبة؟ قلت: أفعل. قال: مل معي! فملت معه، فلمـــا رآه أهل الصرم[3] ابتدوره، وإذا فتيان لهم شارة، فأناخوا بنا وعقلوا ناقتينا، وأظهروا السرور، وأكثروا البر، ورأيتهم أشد شئ لـــه تعظيما، ثم قال: قوموا إن شئتم، فقام، وقمت لقيامه، حتى إذا صرنا إلى قبر حديث التطبين ألقى نفسه عليه، وأنشأ يقول:

لئـــن منعونـــي فـــي حياتـــي زيـــارة أحامـــي بهـــا نفســـا تملكهـــا الحـــب

فلـــن يمنعونـــي أن أجـــاور لحدهـــا فـــيجمع جســـمينا الـــتجاور والـــترب

ثم أن أنات، فمات. فأقمت مع الفتيان حتى احتفروا لـــه ودفناه. فسألت عنه، فقالوا: ابـــن سيد هذا الحي، وهذه ابنة عمه، وهي إحدى نساء قومه، وكان بها مغرما، فماتت منذ ثلاث، فأقبل إليها وقد رأيت ما آل إليه أمره. فركبت وكأنني والله قد ثكلت حميما.

---

(1) وعوث، الواحد وعث: السفر الشاق.

(2) أعرضت: ظهرت اشمخرت : ظهرت مستطيلة.

(3) الصرم: جماعة البيوت.

12 أبو مسهر العذرى

قـــال حمـــاد الراوية: أتيت مكة فجلست في حلقة فيها عمر بن أبي ربيعة، فتذاكروا العذرييـــن وعشـــقهم وصبابتهم، فقال عمر: أحدثكم عن بعض ذلك: إنه كان لي خليل من عـــذرة، وكان مستهترا[1] بحديث النساء، يشبب بهن، وينشد فيهن على أنه لا عاهر الخلوة ولا سريع السلوة، وكان يوافي الموسم كل سنة، فإذا أبطأ ترجمت له الأخبار، وتوكفت[2] له الســـفار، حتى يقدم، وإنه راث عني ذات سنة خبره، وقدم وفد عذرة، فأتيت القوم أنشد عن صـــاحبي، فـــإذا غلام قد تنفس الصعداء، ثم قال: عن أبي المسهر تسأل؟ قلت: عنه نشدت وإيـــاه أردت. قال: هيهات أصبح، والله، أبو مسهر لا موئسًا منه فيهمل، ولا مرجوا فيعلل، وأصبح والله كما قال:

لعمـــرك مـــا حبـــي لأســـماء تاركـــي صـــحيحا، ولا أقـــضي بـــه فأمـــوت

قـــال قلـــت: ومـــا الذي به؟ قال: به مثل الذي بك من طول تهكمكما[3] في الضلاء، وجركما أذيال الخسار، كأن لم تسمعا بجنة ولا نار. قال قلت: من أنت منه يا ابن أخي؟ قال: أنـــا أخوه. قال قلت: والله ما يمنعك من أن تركب طريق أخيك التي ركبها، وتسلك مسلكه الذي سلك، إلا أنك وأخاك كالوشي والبجاد[4]، لا يرقعك ولا ترقعه، ثم انطلقت وأنا أقول:

أرائحـــة حجـــاج عـــذرة روحـــة، ولمـــا يـــرح في القوم جعد بن مهجع

---

(1) المستهتر بالشئ: المولع به ولعا شديدا.

(2) توكفت الأخبار: تتبعتها وانتظرت ظهورها.

(3) تهكمكما: تجاوزكما الحد.

(4)الوشي: النقش البجاد: الثوب المخطط.

خليليــن نشــكو ما نلاقي من الهوى، فــتى مــا أقــل يســمع وإن قال أسمع

فـــلا بــــبعدنك الله خــــلا، فإننـــــي ســـألقي كمـــا لاقيت في الحب مصرعي

فلما حججت وقفت في الموضع الذي كنت أنا وهو نقف فيه بعرفات، وإذا أنا براكب قــد أقبل حتى وقف، وقد تغير لونه وساءت هيئته، فما عرفته إلا بناقته، فأقبل حتى خالف بيــن عــنق ناقتي وناقته، ثم اعتنقني وجعل يبكي. فقلت: ما الذى دهاك وما غالك؟ فقال: برح[1] العذل وطول المطل، ثم أنشأ يقول:

لئــــن كانـــــت عديلــــة ذات بـــث لقـــــد علمــــت بــــأن الحــــب داء

ألـــم تـــنظر إلــــى تغيـــير جســـمي، وأنـــــــي لا يزايلنـــــــي الـــــــبكاء

وأنــــي لـــو تكلفـــت الــــذي بــــي لعفـــى الكلـــم وانكشـــف الغطـــاء [2]

وإن معاشـــــري ورجــــال قومـــــي حـــــتوفهم الصــــبابة واللقـــــاء

إذا العــــذري مــــات بحـــتف أنـــف، فـــذاك العـــبد يبكـــيه الرشــــاء [3]

فقلــت: يــا أبا مسهر! إنها ساعة عظيمة، وإنك في جمع من أقطار الأرض، ولو دعــوت كنت قمينا أن تظفر بحاجتك، وأن تنصر على عدوك. قال: فجعل يدعو حتى إذا تدلت الشمس للغروب وهم الناس بأن يفيضوا سمعته يهمهم[4]، فأصخت له مستمعا، فإذا هو يقول:

---

(1) برح به: جهده وأذاه أذى شديدا.

(2) عفى : أهلك.

(3) مات حتف أنفه : أي على فراشه الرشاء : حبل الدلو.

(4) يفيضوا من أفاض الناس من عرفات: دفعوا ورجعوا وتفرقوا، أو اسرعوا منها إلى مكان آخر.

يـــــارب كـــــل غـــــدوة وروحـــــه ... مـــن مـــحرم يـــشكو الضحى ولوحه

أنـــت حـــسيب الخـــطب يـــوم الدوحة[1]

فقلـــت لـــه: وما يوم الدوحة؟ قال: سأخبرك إن شاء الله! إني امرؤ ذو مال كثير من نعـــم وشاء، وإني خشيت على مالي التلف، فأتيت أخوالي من كلب، فأوسعوا لي عن صدر المجلس وسقوني بجمة البئر[2]، فكانوا خير أخوال حتى هممت بمواقعة[3] إبل لي بماء يقال له الخرزات، فركبت وتعلقت معي شرابا كان أهداه إلي بعض الكلبيين، وانطلقت، حتى إذا كنت بين الحي ومرعى النعم، رفعت لي دوحة عظيمة، فقلت: لو نزلت تحت هذه الشجرة، وتروحـــت مبردا[4]؟ فنزلت فشددت فرسي بغصن من أغصانها ثم جلست تحتها، فإذا بغبار قد سطع، فتبينت فبدت لي شخوص ثلاثة، فإذا رجل يطرد مسحلا وأتانا [5]، فلما قرب مني إذا عليه درع أصفر وعمامة خز سوداء، وإذا هو تنال فروع شعره كتفيه، فقلت في نفسي: غلام حديث عهد بعرس، فأعجلته لذة الصيد فنسى ثوبه وأخذ ثوب امرأته. فما لبث أن لحق بالمسحل فصرعه ثم ثني طعنة الأتان فصرعها، ثم أقبل، وهو يقول:

نطعـــــنهم ســـــلكى ومخلوجـــــة ... كـــــرك لأميـــــن علـــــى نـــــابل [6]

قال فقلت: إنك قد تعبت وأتعبت. فلو نزلت. فثنى رجله فنزل فشد فرسه بغصن من أغصان الشجرة ثم أقبل حتى جلس قريبا مني، فجعل يحدثني حديثا ذكرت به قول الشاعر

---

(1) اللوح: العطش   الدوحة: الشجرة العظيمة.

(2) جمة البئر: الماء الكثير.

(3) مواقعة: مداناة، مقاربة.

(4) تروحت: ذهبت عند الرواح، أي المساء   مبردا: أي داخلا في البرد، ، أي حينما يكون قد برد الهواء.

(5) المسحل الحمار الوحشي   الأتان: أنثاه.

(6) السلكي: الطعنة المستقيمة تلقاء الوجه   المخلوجة: الطعنة إلى جانب .كرك: دفعك بسرعة   اللأمين: الوحد لأم: ما يوضع من الريش على السهام   النابل: صانع النبال وصف قومه بسرعة الطعن و شبههم بمن يدفع الريشة إلى النبال في السرعة لأن الغراء إذا برد يلزق ، فيستعمل حارا.

وإن حديثا منك، تبذلينه، جنى النخل في ألبان عود مطافل [1]

قال: فبينا هو كذلك إذ حك بالسوط على ثنيته، فرأيت، والله يا ابن أبى ربيعة ظل السوط بينهما، فما ملكت نفسي أن قبضت على السوط فقلت: مه! فقال: ولم؟ قلت: إني أخاف أن تكسرهما، فإنهما رقيقتان. قال: هما عذبتان، ثم رفع عقيرته[2] فجعل يغني:

إذا قبل الإنسان آخر يشتهي ثناياه لم يأثم وكان له أجرا

فإن زاد زاد الله في حسناته مثاقيل يمحو الله عنه بها الوزرا

ثم قال لي: ما هذا الذي تعلقت في سرجك؟ قلت: شراب أهداه إلي بعض أهلك، فهل لك فيه؟ قال: وما أكرهه. فأتيته به فوضعه بيني وبينه، فلما شرب منه شيئا نظرت إلى عينيه كأنهما عينا مهاة، قد أضلت ولدا، أو ذعرها قانص، فعلم أين نظري، فرفع عقيرته يغني:

إن العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به، وهن أضعف خلق الله أركانا

فقلت له: من أين لك بهذا الشعر؟ قال: وقع رجل منا باليمامة وأنشدنيه، ثم قمت لأصلح شيئا من أمر فرسي، فرجعت وقد جر العمامة عن رأسه، وإذا غلام كأنه الدينار المنقوش، فقلت: سبحانك اللهم ما أعظم قدرتك وأحسن صنعتك! قال: كيف قلت ذاك؟ قلت: مما راعني من نورك وبهرني من جمالك. قال: وما الذي يروعك من زرق [3] الدواب وحبيس التراب، ثم لا تدري أينعم بعد ذلك أم ييأس.

---

(1) العود من النياف: المسنة المطافل: ذوات الأطفال.

(2) عقيرته : صوته.

(3) الزرق : التحجيل.

ثم قام إلى فرسه، فلما أقبل برقت لي بارقة الدرع، فإذا ثدي كأنه حق. قلت: نشدتك الله أإمـــرأة؟ قال: إي، والله ، امرأة تكره العهر، وتحب الغزل. قلت: والله وأنا كذلك. قال: فجلست تحدثني، ما أفقد من أنسها حتى مالت على الدوحة سكرا، واستحسنت، والله ، يا ابن أبـــي ربــيعة الغــدر، وزيّن في عيني، ثم إن الله، عز وجل، عصمني بمنه، فجلست منها حجرة، فما لبثت أن انتبهت مذعورة، فلاثت[1] عمامتها برأسها، وأخذت الرمح، وجالت في متن فرسها، فقلت: أما تزوديني منك زادا؟ فأعطتني ثيابها، فشممت منها كالنبات الممطور، ثم قلت: أين الموعد؟ فقالت: إن لي إخوة شرسين، وأبا غيورا، ووالله لأن أسرك أحب إلي مـــن أن أضرك. قال: ثم مضت، فكان آخر العهد بها إلى يومي هذا فهي، والله، التي بلغت بي ما تراه من هذا المبلغ، وأحلتني هذا المحل.

قـــال قلت: وأنت والله يا أبا مسهر ما استحسن الغدر إلا بك، فإذا قد اخضلت لحيته بدموعـــه. قـــال قلـــت: والله مـــا قلت لك ذلك إلا مازحا، وداخلتني لـــه رقة، فلما انقضى الموسم، شددت على ناقتي، وشد على ناقته، وحملت غلاما لي على بعير، وحملت عليه قبة أدم خضـــراء كانت لأبي ربيعة، وأخذت معي ألف دينار ومطرف[2] خز، ثم خرجت حتى أتيـــنا كلبا، فإذا الشيخ في نادي قومه، فأتيته، فسلمت عليه، فقال: وعليك السلام، من أنت؟ قلـــت: عمر بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي. قال: المعروف غير المجهول، فما الذي جـــاء بـــك؟ فقلـــت جئت خاطبا. قال: أنت الكفؤ لا يرغب عن حسبه، والرجل لا يرد عن حاجته.

قـــال قلـــت: إني لم آتك في نفسي، وإن كنت موضع رغبة، ولكن أتيتكم لابن أختكم العذري.

قـــال: والله إنه لكفئ الحسب كريم المنصب، غير أن بناتي لم يقعن إلا في هذا الحي

---

(1) حجرة: ناحية   لاثت عمامتها: لفتها وعصبتها.

(2) المطرف: رداء خز ذو أعلام.

مــن قــريش. قــال فعرف الجزع من ذلك في وجهي، فقال: أما إني لم أصنع بك شيئا لم أصنعه بغيرك، أخيرها ما اختارت.

قال قلت لـــه: والله ما أنصفتني، قال: وكيف ذاك؟ قال: كنت تختار لغيري، ووليت الخــيار لـــي غيرك. فأومأ إلى صاحبي أن دعه يخيرها. قلت: خيرها. فأرسل إليها أن من الأمــر كذا وكذا، فارتإي رأيك. قال: فأرسلت إليه: ما كنت لأستبد برأي دون القرشي، أما الخيار فخياري ما اختار. قال: قد صيرت الأمر إليك. فحمدت الله تعالى وصليت على نبيه، وقلت قد زوجتها الجعد بن مهجع، وأصدقتها هذه الألف دينار وجعلت تكرمتها العبد والقبة، وكســوت الشيخ المطرف، فقبله وسر به، وسألته أن يبني بها من ليلته، فأجابني إلى ذلك، وضــربت القــبة وســط الحي وأهديت إليه ليلا وبت عند الشيخ خير مبيت. فلما أصبحت غدوت،فقمت بباب القبة، فخرج إلي وقد تبين الجذل في وجهه. قال: فقلت لـــه: كيف كنت بعدي، وكيف هي بعدك؟ فقال: أبدت لي كثيرا مما أخفت يوم رأيتها. فقلت: ما حملك على ذلك؟ فأنشأ يقول:

كتمـــت الهـــوى إنـــي رأيـــتك جازعـــا فقلـــت فـــتى بعـــض الصـــديق يـــريد

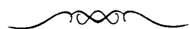
وإن تطرحنــــــي أو تقــــول : فتــــية يضـــر بهـــا بـــرح الهـــوى فـــتعود

فوريـــت عمـــا بـــي وفـــي الكـــبد الحشا مـــن الوجـــد بـــرح فاعلمـــن، شـــديد

قال فقلت: أقم على أهلك، بارك الله لك! وانطلقت إلى أهلي، وأنا أقول:

كفيــت أخـــي العـــذري مـــا كـــان نابـــه ومثلــــي لأثقـــال النوئـــب أحمـــل

أمـــا استحسنت مني المكارم والعـــلى، إذا اطرحـــت، أنـــي أقـــول وأفعـــل



13 إيقاعات حب

رجل من بني الصيداء من أهل الصريم قال:

كنت أهوى جارية من باهلة، وكان قومها قد أخافوني، وأخذوا علي المسالك، فخرجت ذات يوم، فإذا حمامات يسجعن على أفنان أيكات متناوحات في سرارة واد[1]، فاستفزني من الشوق ما لم أعقل معه بشئ، فركبت، وأنا أقول:

دعت، فوق أغصانٍ من الأيك موهنا، مطوقة ورقاء في إثر آلف [2]

فهاجت عقابيل الهوى، إذ ترنمت وشبت ضرام الشوق بين الشراسف[3]

لكني خرجت فآواني الليل إلى حي فخفت أن يكونوا من قومها فبت في القفر، فلما هدأت الرجل إذا قائل يقول:

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار [4]

فتألمت من ذلك ثم غلبتني عيناي، فإذا آخر يقول:

ولا شئ بعد اليوم إلا تعلة من الطيف أو تلقى بها منزلا قفرا

---

(1) سرارة الوادي: بطنه.

(2) موهنا: ليلا.

(3) العقابيل: الواحدة عقبولة : بقايا العلة الشراسف: أطراف الضلوع المشرفة على البطن ، الواحد: شرسوف.

(4) العرار : النرجس البري.

فزادني ذلك قلقا، ثم نمت فإذا ثالث يقول:

لـــن يلبـــث القـــرناء أن يـــتفرقوا، لـــيل يكـــر علــــيهم ونهــــار

فقمت، فغيرت، وركبت متنكبا عن الطريق، فلما برق الفجر، إذا راع مع الشروق قد سرح غنمه وهم يتمثل:

كفـــى بالـــليالى مخلقـــات لجـــدة، وبـــالموت قطاعـــا حـــبال القرائـــن

فأظلمـــت على الأرض فتأملته فعرفته، فقلت، فلان؟ قال: فلان. قلت ما وراءك؟ قـــال: ضاجعت، والله، رملة الثرى، فما لبثت أن سقطت عن بعيري فما أفقت حتى حميت الشمس علي، وقد عقل الغلام ناقتي، وقد مضى، فكررت إلى أهلي، وأنشأت أقول:

يـــا راعـــي الضـــأن! قـــد أبقيت لي كمدا يبقـــي ويتلفنـــي، يـــا راعـــي الضـــان

نعيــت نفســـي إلـــى نفســـي، فكـــيف إذا أبقـــى، ونفســـي فـــي أثـــناء أكفانـــي ؟

لـــو كنـــت تعلـــم مـــا أســـأرت في كبدي، بكيـــت ممـــا تـــراه الـــيوم أبكانـــي [1]



(1) أسأرت: أبقيت.

14 مراسلة بالشعر

قـال أبو شراعة: بينا أنا أمشي بالبادية ناحية السماوة مصعدا إذا بفتى من الأعراب ملوح الجسم معروقه، عليه قطيريتان[1]، وهو محتضن صبيا يقول له: إذا حاذيت أبيات آل فـلان، فـارفع صوتك منشدا بهذه الأبيات، ولك إحدى بردتي هاتين. فجعل يكررها عليه ليحفظها فحفظها:

مـريض بأفـناء البـيوت مطـوح، أبـى مـا بـه من لاعج الشوق يبرح[2]

يقولـون: لـو جئـت النطاسـي علىّ ما تشـكاه مـن آلام وجـدك يمصـح [3]

ولـيس دواء الـداء إلا بخـيلة أضـر بـنا فـيها غـرام مـبرح

إذا مـا سـألناها وصـالا تنـيله فصـم الصـفا مـنها بذلـك أسـمح [4]

فتبعت الصبي، وهو لا يشعر بي، فلما حاذاها رفع عقيرته بالأبيات ينشدها، فسمعت من بعض الأبيات قائلا يقول:

رعـى الله مـن هـام الفـؤاد بحـبه، ومـن كـدت مـن شـوق إلـيه أطـير

([1]) قوله قطيريتان: لم نعثر على هذه اللفظة في المعاجم ولعلها تعني ضربا من الثياب كالبرود.

(2) مطوح: مضيع لاعج: نار.

(3) النطاسي: الطبيب الحاذق يمصح: يذهب وينقطع.

(4) الصفا: الحجارة.

لئـــن كـــثرت بلقـــاب أبـــراح لوعـــة، فـــإن الوشـــاة الحاضـــرين كثـــير [1]

يمشـــون يستشـــرون غـــيظا وشـــرة، ومـــا مـــنهم إلا أبـــل غـــيور [2]

فـــإن لـــم أزر بالجســـم رهـــبة مرصـــد، فبالقلـــب آتـــي نحوكـــم فـــأزور [3]

فرجع بها الصبي إليه، فتبعته، فأنشده إياها فسقط مغشيا عليه، ثم أفاق بعد لأى، وهو يقول:

أظـــن هـــوى الخـــود الغريـــرة قـــاتلي، فـــيا ليت شعري ما بنو العم صنع[4]

أراهـــم، وللرحمـــن در صـــنيعهم، تـــراكى دمي هدرا، وخاب المضيع[5]

15 ضحـايـا العشـق

يونس قال:

انصـــرفت مـــن الحـــج فمـــررت بماويـــة وكان لي فيها صديق من بني عامر بن صعصـــعة، فصـــرت إلـــيه مسلما، فأنزلني، فبينا أنا عنده، ونحن قاعدان بفنائه، إذا نساء مستبشـــرات، وهن يقلن: تكلم! فقلت: ما هذا؟ فقالوا: فتى منا كان يعشق ابنة عم لـــه،

(1) الأبراح: الواحد برح! الشر والأذى.

(2) يمشون : يعادون ويخاصمون يستشرون غيظا: يتفاقم غيظهم وشرهم.

(3) المرصد: من أرصده: وضعه على الطريق للمراقبة.

(4) الخود: الشابة الحسنة الغريرة : التي لا تجربة لها.

(5) هدرا: ضياعا.

فزوجـــت، وحملت إلى ناحية الحجاز، فإنه لعلى فراشه منذ حول ما تكلم، ولا أكل، إلا أن يؤتـــى بما يأكله ويشربه. فقلت أحب أن أراه. فقام، وقمت معه فمشينا غير بعيد، وإذا بفتى مضـــطجع بفناء بيت من تلك البيوت، لم يبق منه إلا خيال، فأكب الشيخ عليه يسأله، وأمه واقفة، فقالت: يا مالك! هذا عمك أبو فلان يعودك، ففتح عينيه ، وأنشأ يقول:

ليبكنـــي الـــيوم أهـــل الـــود والشـــفق، لـــم يـــبق مـــن مهجتـــي إلا شـــفا رمق

الـــيوم آخـــر عهـــدي بالحـــياة، فقـــد أطلقـــت مـــن ربقـــة الأحـــزان والقلـــق

ثـــم تنفس الصعداء فإذا هو ميت، فقام الشيخ، وقمت فانصرفت إلى خبائه فإذا جارية بضة تبكي وتتفجع، فقال الشيخ ما يبكيك؟ فأنشأت تقول:

ألا أبكـــي لصـــب شـــف مهجـــته طـــول الســـقام وأضـــنى جســـمه الكمـــد

يـــا ليـــت مـــن خلـــف القلب الهيوم به، عـــندي فأشـــكو إلـــيه بعـــض مـــا أجـــد

أنشـــر تـــربك أســـرى لـــي النســـيم به، أم أنـــت حيـــث يناط السحر والكبد [1]

ثـــم انثنت على كبدها، وشهقت، فإذا هي ميتة. قال يونس: فقمت من عند الشيخ وأنا وقيذ [2].



(1) يناط: يعلق السحر: الرئة.

(2) الوقيذ: الحزين القلب.



الفصل الثامن

العشق واعظا



1 وإذا الصحف نشرت

عن أبي هاشم المذكِّر قال:

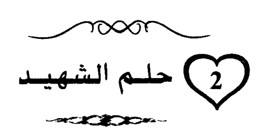
أردت البصرة، فجئت إلى سفينة أكتريها، وفيها رجل ومعه جارية. فقال الرجل ليس ههـنا موضع! فسألته الجارية أن يحملني، فحملني، فلما سرنا دعا الرجل بالغداء، فوضع، فقـال: انـزلوا بهذا المسكين ليتغدى، فأنزلت على أنني مسكين، فلما تغدينا، قال: يا جارية هاتـي شـرابك، فشـرب، وأمـرها أن تسقيني، فقلت: رحمك الله، إن للضيف حقا، وهذا يؤذينـي. قـال: فتركنـي، فلما دب فيه النبيذ قال: يا جارية هاتي العود وهاتي ما عندك، فأخذت العود، ثم غنت:

وكـنا كغـصـني بانـة ليس واحـد	**يزول على الحالات عن رأي واحـد**
تـبدل بـي خـلا فخـاللـت غيره،	**وخليـته لمـا أراد تـباعدي**
فـلو أن كفـى لـم تـردني أبـنـتها،	**ولـم يصـطحبها، بعـد ذلـك، ساعدي**
ألا قـبح الرحمـن كـل ممـاذق	**يكـون أخـا في الخفض لا في الشدائد[1]**

ثـم التفـت إلـي فقال: أتحسن مثل هذا؟ فقلت أحسن خيرا منه، فقرأت: إذا الشمس كـورت، وإذا النجوم انكدرت، وإذا الجبال سيرت، فجعل يبكي، فلما انتهيت إلى قوله: وإذا الصـحف نشرت، قال: يا جارية اذهبي، فأنت حرة لوجه الله، عز وجل، وألقى ما معه من الشـراب في الماء، وكسر العود، ثم دنا إلي، فاعتنقني وقال: يا أخي أترى الله يقبل توبتي؟

(1) المماذق: الذي لم يخلص الود. الخفض: سعة العيش.

فقلت: إن الله يحب التوابين، ويحب المتطهرين، قال: فآخيته بعد ذلك أربعين سنة حتى مات قبلي، فرأيته في المنام فقلت: إلام صرت بعدي؟ فقال: إلى الجنة. فقلت: يا أخي بم صرت إلى الجنة ؟ قال: بقراءتك علي: وإذا الصحف نشرت.



حلم الشهيد



عن الحارث عن ابن وهب قال: حدثني بكر بن مضر أن عبد الكريم بن الحارث حدثه عن رجل أنهم كانوا مرابطين في حصن، فخرج رجلان إلى الجيش، فقال أحدهما لصاحبه: هل لك أن تغتسل لعل الله يعرضنا للشهادة ؟ فقال صاحبه: ما أريد أن أغتسل، فاغتسل صاحبه، فلما فرغ سقط حجر من الحصن فأصاب الرجل، فمررت بهم، وهم يجرونه إلى خيامهم، فسألتهم ما شأنه؟ فأخبروني الخبر، فانصرفت إلى أصحابي، ثم رجعت إليهم، فأقمت عندهم، وهم يشكون هل مات أو عاد إليه الروح.

فبينا هو كذلك إذ ضحك فقلنا: إنه حي، ثم مكث مليا، ثم ضحك ثم مكث مليا، ثم بكى، ففتح عينيه. فقلنا: ابشر يا فلان، فلا بأس عليك، لقد رأينا منك عجبا، كنا نظن أنك قد مت إذ ضحكت، ثم مكثت مليا. قال: إني لما أصابني ما أصابني أتاني رجل فأخذ بيدي فمضى بي إلى قصر من ياقوتة، فوقف بي على الباب، فخرج إلي غلمان مشمرين لم أر مثلهم، فقالوا: مرحبا بسيدنا! فقلت: من أنتم، بارك الله فيكم؟ قالوا: نحن خلقنا لك.

ثم مضى بي حتى أتى قصرا آخر، وخرج منه غلمان مشمرين هم أفضل من الأولين فقالوا: مرحبا وأهلا بسيدنا! فقلت: من أنتم، بارك الله فيكم؟ فقالوا: نحن خلقنا لك.

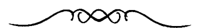
ثم مضى بي إلى بيت لا أدري من ياقوت أو زبرجد أو لؤلؤ، فخرج إلي غلمان

مشـــمرين سوى الأولين فقالوا مثل ما قال الأولون، وقلت لهم مثل ذلك، فوقف بي على بـــاب البيت، فإذا ببيت مبسوط فيه فرش موضوعة بعضها فوق بعض ونمارق مبسوطة، فأدخلنـــي البيـــت، وفيه بابان، فألقيت نفسي بين الوسادتين، فقال: أقسمت عليك ألا ألقيت نفسك فوق هذه الفرش، فإنك قد نصبت في يومك هذا. فقمت فاضطجعت على تلك الفرش على وطاء لم أضع جنبي على مثله قط.

فبيـــنا أنـــا كذلك إذ سمعت حسا من أحد البابين، فإذا أنا بامرأة لم أر مثل جمالها، وعلـــيها حلي وثياب لم أر مثلها، وأقبلت حتى وقفت علي، ولم تتخط تلك النمارق، ولكن أقبلـــت بين السماطين حتى وقفت وسلمت، فرددت عليها السلام. فقلت: من أنت بارك الله فـــيك؟ فقالـــت: أنـــا زوجـــتك من الحور العين[1]، فضحكت فرحاً بها، فأقامت تحدثني، وتذكرني أمر نساء أهل الدنيا، كأن ذلك معها في كتاب.

فبيـــنا أنا كذلك إذ سمعت حسا من الشق الآخر، فإذا أنا بامرأة لم أر مثلها ولا مثل حلـــيها وجمالهـــا، فأقبلـــت، حـــتى وقفت كنحو ما صنعت صاحبتها، ثم مكثت تحدثني، فأقصرت الأخرى، فأهويت بيدي إلى إحداهما، فقالت: تأن لم يأن لك، إن ذلك مع صلاة الظهر، فما أدري أقالت ذلك أم رمي بي إلى صحراء، فلم أر منهم أحدا، فبكيت عند ذلك.

فقال الرجل: فما صليت الظهر أو عند الظهر، حتى قبضه الله، عز وجل.



(1) الحور: الواحدة حوراء: التي اشتد بياض بياض عينها وسواد سوادها. العين، الواحدة عيناء: التي عظم سواد عينها مع سعة، وقيل للنساء الحور العين تشبيها لهن بالظباء أو ببقر الوحش في جمال عينها.



3 حور عين فى ياقوت مكنون



ثابت البناني قال:

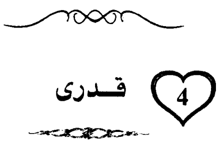
كنـــت عند أنس بن مالك، إذ قدم عليه ابن له من غزاة، يقال لـــه أبو بكر، فساءله، فقـــال: ألا أخـــبرك عـــن صاحبنا فلان؟ بينا نحن قائلون في غزاتنا إذ ثار، وهو يقول: وا أهـــلاه، وا أهلاه، فثرنا إليه، وظننا أن عارضا عرض لـــه، فقلنا: ما لك؟ فقال: إني كنت أحدث نفسي ألا أتزوج حتى أستشهد، فيزوجني الله تعالى من الحور العين، فلما طالت علي الشهادة قلت في سفرتي هذه: إن أنا رجعت، هذه المرة، تزوجت، فأتاني آت في المنام قال: ألنت القائل إن رجعت تزوجت؟ قم، فقد زوجك الله العيناء، فانطلق بي إلى روضة خضراء معشبة، فيها عشر جوارٍ.

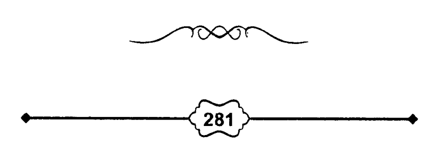
(وذكـــر الحديث وقطع الحديث، بسبب ما وقع في الجامع، وذلك أنه تكلم رجل في المذهب، فعاونه رجل فضولي في رواق الجامع، وأخرجوه فقتل وانقطع عنا الحديث، وقبر فـــي غـــد في قبر معروف، فسئل الشافعي أن يملي تمام هذا الحديث، في يوم الجمعة لسبع خلـــون من جمادى الأولى، فأملاه علينا) وبيد كل واحدة صنعة تصنعها، لم أر مثلهن فى الحســـن والجمال. فقلت: أفيكن العيناء؟ فقلن: نحن من خدمها، وهي أمامك . فمضيت، فإذا روضـــــة أعشب من الأولى، وأحسن، فيها عشرون جارية في يد كل واحدة صنعة تصنعها، ولـــيس العشـــر إليها بشئ في الحسن والجمال، قلت: أفيكن العيناء؟ قلن: نحن من خدمها وهي أمامك.

فمضـــيت، فـــإذا بروضـــــة هى أعشب من الأولى والثانية في الحسن والجمال، فيها أربعـــون جارية في يد كل واحدة منهن صنعة تصنعها، وليس العشر والعشرون إليهن بشئ في الحسن والجمال، قلت: أفيكن العيناء؟ قلن: نحن من خدمها وهي أمامك.

فمضـــيت فإذا أنا بياقوتة مجوفة فيها سرير عليه امرأة قد فضل جنباها عن السرير، فقلت: أأنت العيناء؟ قالت: نعم! مرحبا بك، فأردت أن أضع يدي عليها، قالت: مه، إن فيك شيئا من الروح بعد، ولكن تفطر عندنا الليلة، قال: فانتبهت.

قال: فما فرغ الرجل من حديثه، حتى نادى المنادي: يا خيل الله اركبي، قال: فركبنا فصـــاف الـــرجل العدو، وقال: فإني لأنظر الرجل، وأنظر إلى الشمس، وأذكر حديثه، فما أدري أرأسه سقط أم الشمس سقطت.





4 قــدرى

أخبرنا محمد بن عبدالله بن ساذان المزكي قال: سمعت طيبا المخملي بالبصرة يقول: سمعت سعيد بن العطار:

مـــررت بعبادان بمكفوف مجذوم، وإذا الزنبور يقع عليه، فيقطع لحمه. فقلت: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاه، وفتح من عيني مما أغلق من عينيه!

قـــال: فبينا أنا أردد الحمد إذ صرع، فبينا هو يتخبط نظرت إليه، فإذا هو مقعد، فقالت مكفوف يصرع، ومقعد مجذوم؟ قال: فما استتممت كلامي حتى صاح: يا مكلف! ما دخولك فى ما بيني وبين ربي؟ دعه يعمل بي ما شاء. ثم قال: وعزتك وجلالك لو قطعتني إربا إربا، وصببت علي العذاب صبا، ما ازددت لك إلا حبا.

5 نومة عبود !

عبد الله بن محمد أبو جمعة الوراق قال:

أخبرت أن المهدي دخل الكوفة فقال لأبي الأحوص محمد بن حيان الكوفي: حدثنا حديثا من طرائف الأخبار بما حضرك، قال:

كان في الزمان الأول رجل يقال له عبود وكان عاشقا لابنه عم له فحضرتها الوفاة، فأزعجه ذلك، وأقلقه، فلما توفيت صار إلى المسيح، فسأله أن يحييها قال: لن يتهيأ ذلك أو تهب لها من عمرك شيئا. قال: قد وهبت لها نصف عمري، فصار المسيح إلى تربتها، فوقف عليها، وسأل ربه أن يحييها فأحياها، فأخذ بيدها عبود، ومضى يريد بها أهله، فأدركه الفتور في بعض الطريق، فحط رحله، ووضع رأسه في حجرها، واستقل نوما.

فاجتاز بها ملك الناحية فرأى وجها جميلا وخلقا حسنا، فعرض عليها صحبته، فأجابته، فأمرها، فوضعت رأسه من حجرها، وحملها في قبة كانت معه، فلما انتبه عبود بقي متلددا [1]، فبينا هو كذلك إذ تلقاه نفر يتواصفون الجارية وبراعة خلقها، فسألهم عن الخبر، فأعلموه أنهم رأوا مع الملك امرأة قد حملها في قبة، من حالها وصفتها، فلم يزل يقفو الأثر حتى لحقها فجعل يذكرها العهد، وهي ساكتة، ويسألها النزوع عما هي عليه، وهي مزورة عنه[2]، إلى أن قال: ويحك قد كنت توفيت، فصرت في جملة الموتى، فسألت المسيح، فأحياك لي على أني أعطيتك من عمري نصفه، فإن كنت لا تساعدينني ولا

---

(1) متلددا: متحيرا.

(2) مزورة عنه: معرضة عنه.



تصيرين معي إلى أهلي وأهلك، فردي علي ما وهبت لك من عمري.

قالت: فإني قد رددته عليك، ولا حاجة لي فيه، فما أتمت هذه الكلمة حتى وقعت ميتة، وانصرف عبود إلى أهله مغتبطا، فضربت العرب بنومة عبود مثلا.

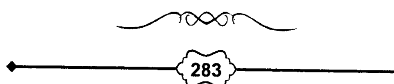
6 موعظة اللاشعور

حدثني إسماعيل بن أبى خالد قال:

كان عندنا فتى باليمن بطال مسرف على نفسه. وكان مع ذاك ذا مال وجمال، فرأى ليلة، في نومه، جارية، قد أقبلت إليه، وعليها ثوب من اللؤلؤ تتثنى أطرافه، وبيدها كتاب من حرير أخضر مكتوب بالذهب، فقالت له: بأبي أنت اقرأ لي هذا الكتاب، فقرأه فإذا هو:

من التي صاغها الرحمن فى غرف،	من مسكة عجنت في ماء نسرين
إلى الذي حبه في القلب محتبس،	وقلبه عنه في لهو وتفتين
يا سهل بادر، فقد أورثتني حزنا،	كم عنك ما لا أحب، الدهر، يأتيني
ألست تشتاق أن تلهو على فرش	موضونة مع جوار خرد عين؟

قال: فأصبح الفتى تاركا لكل ما كان عليه من البطالة والصبى، ولم يزل متنسكا أحسن تنسك حتى مات. قال: وكان اسمه سهلا. قال أبو بكر بن الأنباري: الخردالحسان. والموضونة: المنسوجة بالذهب. والعين: الحسان الأعين.



7 قصر فى البصرة أم قصر فى الجنة

منصور بن عمار قال:

بينـــا أنا سائر في بعض طرقات البصرة، إذا أنا بقصر مشيد، وخدم وعبيد، وبسمر القـــنا منصـــوبة وقباب الأدم مضروبة، وإذا حاجب قد جلس على كرسي من حديد، وثنى رجلا على رجل، كأنه جبار عنيد، فهممت بأن أدنو من القصر، فصاح بي تجبرا وتحكما: ويحـــك! أمـــا كـــان لك قصد غير هذا الطريق إلى غيره؟ قلت: هذا ملك يموت والحي في السماء ملك لا يموت، والله لأدنون من القصر، فانظر لمن هو.

فدنـــوت مـــن ورائه فإذا أنا بمنابر طوال مشبكة بقضبان الذهب والفضة، وإذا بغلام جـــالس علـــى كرسي من ذهب مرصع بأنواع الجوهر، كـــأنه غصن بان أو مشق قضيب ريحـــان، أخضـــر الشارب صلت الجبين، سهل الخدين مقرون الحاجبين، كأن لبته صفحة فضـــة، وخده أشبه بخدود النساء من خدود الرجال، قد حزق في الفنك والسمور[1]، ورقيق الكتان، وهو ينادي بحنين جرمه: يا نشوان! فما لبثت أن خرجت علي جارية كأنه خوط بان أو مشق قضيب ريحان، عليها مرط[2] حرير أخضر، قد لصق على رطوبة جسمها، تمشي علـــى فاضل شعرها تطرق بنعلها، وتفتن، والله، من رآها، فلا أدري، والله، الجارية كانت أحســـن أم الغـــلام، فخشيت أن تغشاني، ففتحت الأبواب، فخرج الغلمان فتلببوني[3] وقالوا: ويحك! ما كان لك قصد غير هذا الطريق إلى غيره حتى نظرت إلى حرمة الملك.

---

(1) حـــزق: عصب، وضغط. الفنك: جنس من الثعالب صغير القد، وفروته من أحسن الفراء. السمور: حيوان يشبه ابن عرس لونه أحمر مائل إلى السواد يتخذ من جلده فراء ثمينة.

(2) الخوط: الغصن الطري المرط: كل ثوب غير مخيط.

(3) تلببه: أخذه بتلبيبه أي بطوقه وجره.

فقلت: لمن يكون هذا القصر؟

فقالوا: لملك البصرة، وابن سيدها.

فدخلت إليه فنظر إليّ وأجال حماليق عينيه، كأنهما عينا ظبي تتفرس إلي، فقال لي: لقد اجترأت علي إذ نظرت إلى حرمتي.

فقلت: أيها الملك! جد بعفوك على ضعفي، وبحلمك على جهلي، فإني رجل طبيب، ولا يرى في كتب الحكماء قتل الطبيب، وإني لأرى في جسمك هذا مدخلا قد التوت عليه الضلوع والأعضاء، وهو رقيق في الضمير، ما بين الأحشاء. يا غلام قد حزقت في الفنك والسمور، هــل لك صبر على مقطعات النيران، وسرابيل القطران[1]، وصوت مالك وعرض الرحمن؟ أما سمعت أنه ينادي بالنار يوم القيامة بأربعة أصوات: يا نار كلي ولا تقتلي، يا نار أحرقي، يــا نــار أنضـــحي، يا نار اشتفي، فإذا سمعت النار يا نار كلي، أكلت بوهج اللهب من بين أطـــباقها، فويل للطبقة السفلى من الطبقة العليا كيف يتراكب عليهم الصديد كالزيت المغلي، وويل للطبقة العليا من الطبقة السفلى كيف يتراكب عليهم الدخان من بعد مهاويها، وقد شدوا في سلاسلها وقرنوا مع شياطينها، وأرسلت عليهم حياتها وعقاربها.

فصرخ الغلام صرخة، ثم قال: يا طبيب قتلتني، وبأسهم المنايا رشقتني، فما أخطأت صميم كبدي، ويحك يا طبيب، ما أحر مكاويك، وأرشق نبلك.

فقلــت لــــه: حبيبـــي قد أعجبتك نشوان، فلو نظرت إليها بعد ثالثة من وفاتها، وقد تمعــط شعرها، وسال صديدها، وبلي بدنها، إذن لمقتها، أفلا أصف لك نشوان الجنان التي ذكــرها الله تعالى في القرآن: إنا أنشأناهن إنشاء، فجعلناهن أبكارا عربا [2] أترابا لأصحاب اليميـــن،جارية إذا خطــرت مالت الأشجار إلى حسن وجهها، وصفرت الطير إلى جمالها طـــربا، وإذا وقفت وقف جاري الماء لوقوفها، وإذا مشت تبسمت الخضرة من تحت زمام

---

(1) مقطعات: القصار من الثياب، الواحدة مقطعة   السرابيل: الواحدة : سربال: القميص.

(2) العرب: الواحدة عروب: الضحاكة.

نعلهـــا، ويكاد ينطوي من رطوبة جسمها، جارية خلقت من الزعفران والمسك الأذفر، بلا تعـــب ولا نصـــب، فترى مجرى الدم منها كما ترى الخمرة فى الزجاجة البيضاء، قال لها بارئ النسم: كوني فكانت.

قـــال: فصــــاح الغلام: يا طبيب قتلتني، وبسهم المنايا رشقتني، ثم ضرب بيده إلى أقبيـــته فشقها، ورمى بسيفه ومنطقته، ووثب قائما على قدميه يرتعد كالسعفة في يوم ريح عاصف، ثم قال: يا قصر! عليك السلام قد هربني هذا الطبيب الشفيق الرفيق.

قـــال منصور: فصرخت نشوان صرخة من داخل القصر، وقالت: يا مولاي والله ما تنصـــفني، تهـــرب وتتركني، رويدا مكانك، فخرجت عليّ نشوان، وقد قصرت شعرها، ثم قالت: يا مولاي! من أراد السفر إلى بلد قفر هيأ الزاد، ومن أراد التوبة شمر لها.

قـــال منصور: ثم هربا جميعا، فخرجت إلى باب القصر، فإذا أنا بالقباب قد نزعت، وبالخـــيام قد رفعت، وبالحجب قد نحيت، فوقفت فناديت بأعلى صوتي: يا أيها الهارب إلى ربه، والآبق من ذنبه، لقد هربت إلى أكرم الأكرمين.

قـــال منصور: فلما كان بعد حولين كاملين حججت إلى بيت الله الحرام، فبينا أنا في الطواف إذ سمعت صوت محزون مكروب مغموم، وهو يقول: إلهي وسيدي! نحل جسمي ودق عظمي ورق جلدي وخرجت من مالي رجاء أن تريني وجهك الكريم الجميل، وتجمع بيني وبين نشوان في الجنان.

قـــال منصـــور: فدنوت منه فقلت: يا غلام ما أقل حياءك! بأي حق تطلب من ربك نشوان الجنان؟ فنظر إليّ وبكى وقال لي: رفقا يا طبيب! رفقا! هكذا تضرب بسوطك جسما عليلا، ثم لا تعرفه؟ أنا والله ملك البصرة وابن سيدها.

قال منصور: فوالله ما عرفته إلا بخال كان فى وجهه، وقد نحل وذاب جسمه، فقلت له: حبيبي ما فعلت نشوانك ؟ فبكى وقال: يا ابن عمار، والله لو رأيتها ما عرفتها، قد ذهب البكى ببصرها، ومحت الدموع محاسن وجهها.

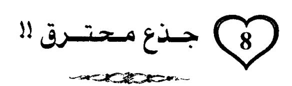


فقلت له: حبيبي! ما كان أحوجني إلى رؤيتها، فأخذ بيدي، فأوقفني إلى باب خيمة من الشعر، فقلت: أحبتي! بعد القصور صرتم إلى خيام الشعر، لقد أبلغتم في العبادة.

فخرجت نشوان من داخل الخيمة فقالت: بالله! أنت منصور بن عمار؟ فقلت لها: نعم! فقالت لي: يا منصور أترى ربي يسكنني الجنان ويريني نشوان الجنان؟ فقلت لها: جدي في الطلب، وأحسني المعاملة، تخدمك الولدان، وتسكني الجنان، وتري نشوان الجنان، وتزوري الله، عز وجل، الملك الديان.

قال منصور بن عمار: فشهقت شهقة خرت منها ميتة بإذن الله، قال: فبكى الغلام وقال: بأبي والله من كانت مساعدتي على الشدة والرخاء! ولم يتمالك الغلام أن شهق أيضا شهقة خر منها ميتا.

قال منصور: فأخذنا في جهازهما، وغسلناهما وكفناهما، وصلينا عليهما، ودفناهما، رحمهما الله.

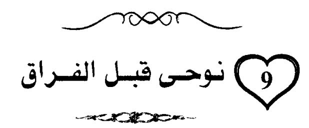


8 جذع محترق !!

حدثني محرز أبو القاسم الجلاب قال: حدثني سعدان قال:

أمر قوم امرأة ذات جمال بارع، أن تتعرض للربيع بن خيثم، فلعلها تفتنه، قال: وجعلوا لها، إن هي فعلت، ألف درهم، فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب، وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه، ثم تعرضت له حين خرج من مسجده، فنظر إليها في تلك الحال، فراعه أمرها وجمالها، ثم أقبلت عليه، وهي سافرة، فقال لها الربيع: كيف بك لو نزلت الحمى بجسمك فغيرت ما أرى من نورك وبهجتك؟ أم كيف بك لو نزل بك ملك الموت فقطع منك

حبل الوتين، أم كيف بك لو سألك منكر ونكير؟ فصرخت صرخة، وخرت مغشيا عليها، قال: فوالله لقد أفاقت وبلغت من عبادتها أنها يوم ماتت كانت كأنها جذع محترق.



9 نوحي قبل الفراق



سمعت ذا النون المصري يقول:

خرجت يوما بكرة إلى مقابر عبد الله بن مالك فرأيت شخصا مقنعا كلما رأى قبرا منخفسا وقف عليه، فإذا هو سعدون، فقلت: أي شئ تصنع ههنا؟ فقال: إنما يسأل عما أصنع من أنكر ما أصنع، فأما من عرف ما أصنع، فما يغني سؤاله، فقلت: يا سعدون تعال نبكي على هذه الأبدان قبل أن تبلى! فقال: البكى على القدوم على الله، عز وجل، أولى بنا من البكى على الأبدان، فإن يكن عندها خير، فخيرها عند ربها أكثر من بلاها، وإن يكن عندها شر، فشرها عند ربها شر من بلاها في القبور فليتها تركت تبلى فى القبور، ولم تبعث للحساب.

يا ذا النون إنك إن تدخل النار فلا ينفعك في النار دخول غيرك الجنة. وإن تدخل الجنة لا يضرك دخول غيرك النار.

ثم قال: يا ذا النون! وإذا الصحف نشرت، ثم صاح: وا غوثاه بالله، ماذا نقابله في الصحف؟ قال: فغشي علي غشية، فلما أفقت إذا هو يمسح وجهي بكمه، ويقول: يا ذا النون! من أشرف منك إن مت مكانك هذا؟

قال محمد بن الصباح: وقرأت على قميص سعدون:

عين فأبكي عليّ، قبل انطلاق، بدموع تملّ منها المآقي

وانظري مصرعي فقد قضي الأمر ونوحي علي قبل الفراق

10 مؤنس الأبرار في خلواتهم

قال ذو النون:

بينــا أنــا أسير على ساحل البحر، إذ بصرت بجارية عليها أطمار شعر، وإذا هي ناحلــة ذابلــة، فدنــوت منها لأسمع ما تقول، فرأيتها متصلة الأحزان بالأشجان، وعصفت الــرياح واضــطربت الأمواج، وظهرت الحيتان، فصرخت، ثم سقطت على الأرض، فلما أفاقــت نحبت، ثم قالت: سيدي! بك تقرب المتقربون في الخلوات، ولعظمتك سبحت النينان فــي الــبحار الزاخرات، ولجلال قدسك تصافقت الأمواج المتلاطمات. أنت الذي سجد لك ســواد الليل وبياض النهار والفلك الدوار والبحر الزخار والقمر النوار والنجم الزهار وكل شئ عندك بمقدار، لأنك الله العلي القهار:

يــا مــؤنــس الأبــرار في خلواتهم، ... يا خــير من حــطـت بــه النــزال

من ذاق حــبك لا يــزال مــتـيــما، ... قــرح الفــؤاد يعــوده بلــبال

مــن ذاق حــبك لا يــرى مــتبسما، ... فــي طــول حــزن للحشــا يغــتال

فقلت لها: من تريدين؟ فقالت: إليك عني، ثم رفعت طرفها نحو السماء فقالت:

أحــبك حبيــن، حــب الــوداد، ... وحــبا لأنــك أهــل لذاكــا [1]

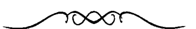
فأمــا الــذي هــو حــب الــوداد، ... فحــب شــغلت بــه عــن ســواكا

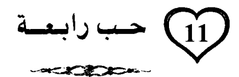
(1) هذه الأبيات لرابعة العدوية الصوفية المشهورة.

وأمــا الــذي أنــت أهــل لــه، فـكـشفك للـحـجـب حـتى أراكا

فـمـا الـحـمد في ذا ولا ذاك لـي، ولـكـن لك الـحـمد في ذا وذاكا

ثم شهقت شهقة، فإذا هي فارقت الدنيا، فبقيت أتعجب مما رأيت منها، فإذا أنا بنسوة قـد أقبلـن وعليهن مدارع العشر، فاحتملنها، فغيبنها عني فغسلنها، ثم أقبلن بها في أكفانها فقلن لي: تقدم فصل عليها، فتقدمت فصليت عليها، وهن خلفي. ثم احتملنها ومضين.





حب رابعة

حدثني أبو معمل صاحب عبد الوارث قال:

نظـرت رابعـة إلـى رياح القيسي، وهو يقبل صبيا من أهله، ويضمه إليه، فقالت: أتحـبه يا رياح؟ قال: نعم! قالت: ما كنت أحسب أن في قلبك موضعاً فارغا لمحبة غيري. قـال: فصاح رياح وسقط مغشيا عليه، ثم أفاق، وهو يمسح العرق عن وجهه، وهو يقول: رحمة منه، تعالى ذكره، ألقاها في قلوب العباد للأطفال.





12 دستور الصوفية

محمد بن الخضر التيمي قال:

كان أبو عمرو الضبابي من أحسن من رأيته وجها ممن يصحب الصوفية، وكان لا يرافق أحدا ولا يجالسه ولا يلابسه إلا في طريق، فأتاني ذات يوم، ونحن ببلاد الروم، فقال: هل لك في مرافقتي، فإني قد مللت الوحدة، وطالت علي الوحشة.

فقلت: على خلال ثلاث.

قال: وما هي؟

قلـــت: على ألا أراك ضاحكا إلى أحد من خلق الله، ولا مشتغلا بغير طاعة الله، عز وجل، ولا تعمل عملا حتى أقول لك. قال: قد فعلت.

وكان معي لا يفارقني فى حج ولا غزو، فكنت أرى منه أمورا أعلم أن الله سيرفعه بها في الدنيا والآخرة من حسن صلاته وكثرة صيامه وطول صمته وقلة كلامه، فقلت لـــه، ذات يوم، لأتبين معرفة عقله: ألا أشتري لك جارية؟

فقال: وما أصنع بها؟

قلت: ما يصنع الرجل بملك يمينه!

فقال: لو أردت هذا لم أترك أهلي وأشخص عن وطني وأخرج عن دنياي، ولكان لي منهم مقنع وفي المقام معهم متسع.

فقلت: ألق هذا الصوف عنك، فإنه قد أثر ببدنك، ونهك جسمك.

فقال: أتأمرني أن ألقي عني ثوبا أتقرب به إلى الله، عز وجل، بخشونته وريحه، وأنا أرجو منه حسن الثواب عليه عند منقلبي إليه.



قلت: فهل لك أن تفطر فإن الصيام قد أنحلك والظمأ قد غيرك؟

فقـال: سبحان الله، ما أعجب ما تأمرني به! هل الدنيا إلا يومان، يوم قد مضى على ويـوم أنا فيه لا أدري بما يختم لي من رحمة أو عذاب، فإن عذبني وأنا على حالة أتقرب إليه بها، فهو أجدر أن يعذبني إذا فعلت أمرا أنا فيه مقصر.

فقلت: فصم يوما وأفطر يوما.

فقـال: ذلك صوم الأبرار، ومن أمن النار، الذين علموا أن الله، عز وجل، متجاوز عـنهم، وقـابل منهم، فأما أنا فأنت تعلم أني غير عالم بما سبق علي في الكتاب من شقاء وسـعادة، والله لئـن عذبني الله على طاعته، أحب إلي من أن يغفر لي وأنا على معصيته، على أنه غير جائر على من خلقه ولا معذب له إلا بذنب.

قلت: أفلا أشتري لك وطاء تنام عليه؟

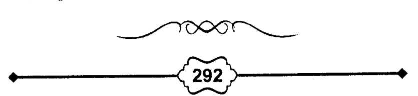
فقـال: وأي وطاء أوطأ من ظهر الأرض، وقد سماه الله، عز وجل، مهادا، والله لا أفترش فراشا ولا أتوسد وسادا، حتى ألحق بالله، عز وجل.

فقلت: فهل لك أن تريح نفسك في هذه الغزاة، وترجع؟

فقـال: واعجباه من قولك! أتأمرني أن أرجع عن الجنة، وقد فتح لي بابها، والله لا أزال أعـرض نفسي على الله لعله يقبلني، فإن رزقني وخصني بالشهادة، فهو الذي كنت أحاول وبه أطالب، فإن حرمني ذلك فبالذنوب التي سلفت، وأنا أسأل الله أن يتفضل علي بما سألته، ويجيبني في ما دعوته.

فغزا معنا، ونحن في خلق كثير مع محمد بن مصعب، فلقينا العدو، فكان أول من جرح، فوقفت عليه، فقلت: أبشر بثواب الله، عز وجل، فقد أعطاك الرضا، وفوق المزيد.

فقال بصوت ضعيف: الحمد لله على كل حال، لقد نظرت إلى كل ما تمنيت، وفوق ما اشـتهيت، وبلغت ما أحببت، وأدركت ما طلبت من حور وولدان وسلسبيل وريحان، وإياك والتقصير، لعل الله، عز وجل، أن يبلغك ما بلغني ويرزقك ما رزقني، ثم فاضت نفسه.

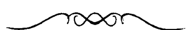


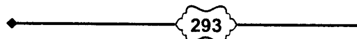
13 إجابة من داخل القبر !!

حدثني يحيي بن أيوب:

أن فتى كان يعجب به عمر بن الخطاب، رضي الله عنه ، فقال عمر: إن هذا الفتى ليعجبني، وإنــه انصـــرف لـــيلة مـــن صـــلاة العشاء، فمثلت لـــه امرأة بين يديه، فعرضت لـــه بنفســـها،ففتن بهـــا، ومضت فاتبعها حتى وقف على بابها، فلما وقف بالباب أبصر وجلي عـــنه، ومثلـــت له هذه الآية: إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون، فخر مغشيا عليه، فنظرت إليه المرأة فإذا هو كالميت، فلم تزل هي وجارية لها تتعاونان عليه حتى ألقتاه على باب داره.

وكـــان له أب شيخ كبير يقعد لانصرافه، كل ليلة، فخرج، فإذا هو ملقى على باب الدار لما به، فاحتمله فأدخله، فأفاق بعد ذلك، فسأله أبوه: ما الذي أصابك يا بني؟ قال: يا أبت لا تسألني، فلم يزل به حتى أخبره، وتلا الآية. وشهق شهقة خرج معها نفسه، فدفن، فـــبلغ ذلـــك عمر بن الخطاب، فقال: ألا آذنتموني بموته ؟ فذهب حتى وقف على قبره، فـــنادى: يا فلان، ولمن خاف مقام ربه جنتان، فأجابه الفتى من داخل القبر: قد أعطانيها ربي يا عمر.





14 مشغول عن .. الحب بالموت !!

حدثنــي أبــو محمد جعفر بن الفضل عن محمد بن المعافي عن عبد الواحد بن زياد الأفريقي، حدثني أبي قال:

سمعت شيخا من أهل العلم يقول: كان عندنا فتى متعبد، حسن السيرة، فأحبته جارية من قومه، وجعلت تكاتم أمرها مخافة العيب، فمكثت بذلك حينا، فلما بلغ الحب منها أرسلت إليه بكتاب وضمنته هذه الأبيات:

تطــاول كتمانــي الهــوى، فأبــادني فأصــبحت أشكو ما ألاقي من الــوجــد

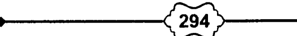
فأصـبحت أشكوغصـة من جوى الهوى، أقامــت، فمــا يعــدو إلــى أحــد بعدي

فهــا أنــا ذا حــرى مــن الوجــد صبة، كثـيرة دمــع العيــن، يجري على خدي

قال: فأقبلت به امرأة فقال: ما هذا؟ قالت: كتاب أرسلني به إليك إنسان. قال: سميه! قالــت: إذا قــرأته سميت لك صاحبه، فرمى به إليها، وأنكره إنكارا شديدا. فقالت لــه: ما يمــنعك من قراءته ؟ قال: هذا كتاب قد أنكره قلبي، فلم تزل به حتى قرأه، فرفع رأسه إليها فقــال: هذا الذي كنت أحذر وأخاف، ثم دفعه إليها. فقالت: أما له جواب؟ قال: بلى! قالت: ومــا هو؟ قال: تقولين لها: إنه يعلم السر وأخفى الله، لا إله إلا هو، لــه الأسماء الحسنى. قالت: لا غير؟ قال: في هذا كفاية.

فمضت إليها، فأخبرتها بما جرى بينهما، فكتبت إليه:

يــا فــارغ القلب من همي ومن فكري، مــاذا الجفــاء، فدتــك النفس يا وطري؟



إن كنـــت معتصـــما بـــالله تخدمـــه، فـــإن تحليلـــنا فـــي محكـــم الســـور

فلمـــا وصـــل إلـــيه الكتاب قال: ما هذا؟ قالت: تقرأه، فأبى، فلم تزل تلطف به حتى فـــتحه، فقرأه، ثم رمى به إليها. فقالت: ما له جواب؟ قال: بلىَ ! قالت: ما هو؟ قال: قولي لها: وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار.

فصارت إليها، فأخبرتها بما جرى بينهما، فكتبت إليه:

فـــرج عـــن القلـــب بعـــض الهم والكرب، وجـــد بوصـــلك، والهجـــران فاجتنـــب

إنـــا ســـألناك أمـــرا مـــا نـــريد بـــه إلا الصـــلاح، وأن نلقـــاك عـــن قـــرب

فـــإن أجـــبـــت إلى ما قد ســـألت، فـــقـــد نلـــت المـــنى، والهـــوى، يـــا منتهى أربي

وإن كـــرهـــت وصـــالي قـــلـــت: أكـــرهه، وإنني راجـــع عن ذاك من كـــثب

قال: فجاءت بالكتاب إليه، فأخذه، وقال لها: اجلسي، ففتحه، وقرأه عن آخره، وكتب إليها كتابا كان هذا الشعر آخره:

إنـــي جعلـــت همومـــي ثـــم أنفاســـي فـــي الصـــدر مني ولم يظهره قرطاسي

ولـــم أكـــن شـــاكيا مـــا بـــي إلـــى أحد إنـــي إذا لقلـــيل العلـــم بالـــناس

فاستعصـــمي الله، ممـــا قـــد بليـــت بـــه واستشـــعري الصـــبر،عما قلت، باليأس

إنـــي عـــن الحـــب فـــي شـــغل يؤرقني تذكـــار ظلمـــة قـــبر فـــيه أرماســـي

ففـــيه لـــي شـــغل لا زلـــت أذكـــره، مـــن الســـؤال ومن تفريق أحلاسي[1]

---

(1) الأحلاس: الواحد حلس: الكبير من الناس والشجاع، العهد والميثاق، الأحلاس أيضا : الأكفاء.

وليس ينفعني فيه سوى عملي هو المؤانس لي من بين أنّاسي[1]

فاستكثري من تقى الرحمن واعتصمي ولا تعودي فبي شغل عن الناس

فلما قرأت الكتاب أمسكت وقالت: إنه لقبيح بالحرة المسلمة العارفة مواضع الفتنة كثرة التعرض للفتن، ولم تعاوده.

15 ثلاث قصص نصرانية

أ- عيسى وكهف السبع

خرج عيسى بن مريم، عليه السلام ، في ليلة شاتية في سياحته فأخذته السماء بالمطر والريح، فأتى كهفا ليسكن فيه، فإذا هو بسبع قد خرج إليه يبصبص، فلما رآه عيسى رجع وقال: أنت أحق بموضعك، وجعل يقول: يا رب لكل ذى روح ملجأ يسكن إليه، وليس لعيسى مسكن، فأوحى الله، عز وجل، إليه: استبطأتني، وعزتي لأزوجنك، يوم القيامة، حوراء، ولأولمن عليك أربعة آلاف سنة.

* * * *

(1) أناسي: الوحد، أنيس: المؤانس.

ب - التطهر بالألم

مر رجل براهبة من أجمل النساء فافتتن بها، فتلطف في الصعود إليها، فأرادها على نفسها، فأبت عليه، وقالت: لا تغتر بما ترى، فليس وراءه شئ. فأبى حتى غلبها على نفسها، وكان إلى جانبها مجمرة لُبان، فوضعت يدها فيها، حتى احترقت، فقال لها بعد أن قضى حاجته منها: ما دعاك إلى ما صنعت؟ قالت: إنك لما قهرتني على نفسي خفت أن أشركك في اللذة، فأشاركك في المعصية، ففعلت ذاك لذلك. فقال الرجل: والله لا أعصي الله أبدا، وتاب مما كان عليه.

* * * *

ج - سجن الجسد

حدثنا عبد الله بن الفرج العابد قال:

كان بالموصل رجل نصراني يكنى أبا إسماعيل، قال: فمر ذات ليلة برجل، وهو يتهجد على سطحه، ويقرأ: وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها، وإليه ترجعون. قال: فصرخ أبو إسماعيل صرخة وغشي عليه، فلم يزل على حاله تلك، حتى أصبح، فلما أصبح أسلم، ثم أتى فتحا الموصلي فاستأذنه في صحبته، فكان يصحبه ويخدمه.

قال: وبكى أبو إسماعيل حتى ذهبت إحدى عينيه وغشي على الأخرى. فقلت له ذات يوم: حدثني ببعض أمر فتح.

قال: فبكى ثم قال: أخبرك عنه، كان والله كهيئة الروحانيين معلق القلب بما هناك، ليست له في الدنيا راحة.

قلت: على ذاك؟

قال: شهدت العيد ذات يوم بالموصل، ورجع بعدما تفرق الناس، ورجعت معه فنظر

إلى الدخان يفور من نواحي المدينة، فبكى ثم قال: قد قرب الناس قربانهم، فليت شعري ما فعلت في قرباني عندك أيها المحبوب! ثم سقط مغشيا عليه، فجئت بماء فمسحت به وجهه، فأفـــاق ثـــم مضى حتى دخل بعض أزقة المدينة، فرفع رأسه إلى السماء ثم قال: قد علمت طـــول غمـــي وحزني وترددي في أزقة الدنيا، فحتى متى تحبسني أيها المحبوب؟ ثم سقط مغشـــيا علـــيه، فجئت بماء، فمسحت على وجهه، فأفاق فما عاش بعد ذلك إلا أياما، حتى مات، رحمه الله.

16 ست قصص إسرائيلية

أ- عابدان من إسرائيل

عن أبي إدريس الأودي قال:

كان رجلان في بني إسرائيل عابدان وكانت جارية يقال لها سوسن[1]، عابدة، وكانوا يـــأتون بســـتانا فيـــتقربون فيه بقربان لهم، فهوى العابدان سوسن فكتم كل واحد منهما عن صاحبه، واختبأ كل واحد منهما خلف شجرة ينظران إليها، فبصر كل واحد منهما بصاحبه، فقـــال كـــل واحد منهما لصاحبه: ما يقيمك ههنا ؟ فأفشى كل واحد منهما إلى صاحبه حب سوســـن، فاتفقا على أن يراوداها عن نفسها، فلما جاءت لتقرب قالا لها: قد عرفت طواعية بنـــي إسرائيل لنا، فإن لم تؤاتينا قلنا، إذا أصبحنا: إنا أصبنا معك رجلا، وإن الرجل فاتنا، وإنـــا أخذناك، فقالت لهما: ما كنت لأطيعكما، فأخذاها، وأخرجاها، وقالا: أخذنا سوسن مع

(1) هي سوسنة المذكورة قصتها في نبوءة دانيال في التوراة.

رجل، وإن الرجل سبقنا وذهب، فأقاموا سوسن على المصطبة، فكانوا يقيمون المذنب ثلاثة أيام، فتنزل نار من السماء، فتأخذه، فأقاموا سوسن، فلما كان اليوم الثالث جاء دانيال، وهو ابـن ثـلاث عشـرة سـنة، فوضـعوا له كرسيا، فجلس عليه، وقال: قدموها إلي! فجاءا كالمسـتهزئين، فقـال: فرقوا بين الشاهدين! فقال: لأحدهما خلف أي شجرة رأيتها؟ فقال: وراء تفاحـة، وقـال للآخـر: خلـف أي شـجرة رأيتها؟ فاختلفا، فنزلت نار من السماء، فأحرقتهما، وأفلتت سوسن.

قال أبو بكر: وفي خبر آخر أنها وقفت لترجم فنزل الوحي على دانيال وهو ابن سبع سنين.

* * * *

ب - امـرأة من بني إسرائيـل

المعتمر بن سليمان عن أبى كعب الحريري عن الحسن

أن امرأة من بني إسرائيل كانت أعطيت من الجمال عجبا، قال: فبلغ من أمرها أنها كانـت لا تمكـن من نفسها إلا من أعطاها مائة دينار، فاتخذت سريرا من ذهب، فأبصرها رجـل من العابدين، فأعجبته، فانطلق فالتمس وابتغى، وتمحل، أو كما وصف، حتى جمع مائة دينار، فأتاها بها، فقال: إني رأيتك فأعجبتني، فانطلقت فتمحلت وابتغيت، حتى جمعت مائة دينار.

قالـت: فادفعهـا إلى الجهبذ[1] ينتقدها، ففعل، فقالت للجهبذ: انتقدها! قال: نعم! قال: فتهـيأت، كمـا كانت تتهيأ، وجلست على سريرها، فلما جلس منها مكان الرجل من امرأته ذكره الله تعالى برحمته، فانقبضت إليه نفسه، فقام عنها فقال: المائة دينار لك، افتحي الباب! فقالـت: وما رأيت؟ ألست زعمت أنك رأيتني فأعجبتك فتمحلت وابتغيت حتى جمعت مائة

(1) الجهبذ: الناقد العارف بجيد الدراهم من رديئها.

دينار، فما رأيت؟

قال: ليس في الأرض شئ أبغض إلي منك.

قالت: وما رأيت؟ قال: هذا شئ لم أفعله قط.

قالــت: مــا قال لي هذا أحد، لئن كنت صادقا فما أريد زوجا غيرك، فلي عليك أن تتزوجني.

قــال: نعــم، فقــنع رأسه ورجع، فلحق ببلده، وأقبلت تبيع متاعها، ثم ارتحلت إليه، فانتهــت إلــى البلد الذي هو فيه، فسألت عنه، فقيل لها: هو ذا في المسجد. فقيل له: جاءت ملكــة أرض كذا وكذا تسأل عنك، فأتته، فلما نظر إليها نظرة مال ميتا، فوجدت عليه وجدا شديدا، قالت: أما هذا فقد فاتني، ولكن هل له أخ أو قريب؟ قيل: إن له أخا ضعيفا.

قال معتمر: أي ليس في العبادة مثله، فتزوجت أخاه، فولدت له سبعة أنبياء.

* * * *

ج – لحَّــام بنــي إسرائيــل

كان لحام بني إسرائيل لا يتورع من شئ، فجهد أهل بيت من بني إسرائيل، فأرسلوا إليه جارية منهم تسأله، فمضت إليه، وقالت: يا لحام بني إسرائيل، أعطنا لحما! فقال: لا! أو تمكنينــي مــن نفســك. فرجعــت، فجهدوا جهدا شديدا، فرجعت إليه، فقالت: يا لحام بني إســرائيل.أعطنا! فقال: لا! أو تمكنيني من نفسك. فرجعت، فجهدوا جهدا شديدا، فأرسلوها إلــيه، فقالــت: يا لحام بني إسرائيل، أعطنا، فقال: لا! أو تمكنيني من نفسك. قالت: دونك. فلمــا خــلا بها جعلت تنتفض كما تنتفض السعفة[1] إذا خرجت من الماء، فقال لها: ما لك؟ قالــت: أخــاف الله! هذا شئ لم أصنعه قط. قال: فأنت تخافين الله ولم تصنعيه، وأفعله أنا؟ أعاهد الله أني لا أرجع إلى شئ مما كنت فيه.

(1) السعفة: جريدة النخل، ولعلها محرفة عن سمكة لأن السعفة لا تنتفض إذا خرجت من الماء.

قال: فأوحى الله، عز وجل، إلى نبي بني إسرائيل: أن كتاب لحام بني إسرائيل أصبح في كتاب أهل الجنة، فأتاه النبي، عليه السلام، فقال: يا لحام! أما علمت بأن كتابك أصبح في كتاب أهل الجنة؟

* * * *

د – يوسف وزليخا

لما خلت زليخا بيوسف، عليه السلام، ارتعد يوسف. فقالت زليجا: من أي شئ ترعد، إنما جئت بك لتأكل وتشرب وتشتم رائحتي، وأشتم رائحتك. قال: يا أمة الله، لست لي بحرمة. قالت: فمن أي شئ تفزع؟ قال: من سيدي. قالت: الساعة، إذا نزل من الركوب، وأخذت بيدي الكأس المذهب والإبريق المفضض، سقيته شربة من السم، وألقيت لحمه عن عظمه. قال لها: لا تفعلي، فلست ممن يقتل الملوك، وإنما أخاف من إله السماء. قالت له: فعندي من الذهب والفضة والجواهر والعقيق ما أفديك منه. قال: هو لا يقبل الرشا. قالت: دع عنك هذا! قم اسق أرضي. قال: لا أزرع أرض غيري. قالت: فارفع رأسك انظر إلي! قال: أخاف العمى في آخر عمري. قالت: فمازحني ترجع إلي نفسي. قال: يا أمة الله!! لست لي بحرمة فأمازحك. قالت: فلا صبر لي عن هذه الذؤابة التي بلغت إلى قدميك، ليتني وسمتها مرة واحدة. قال: أخشى أن تحشى من قطران جهنم، يا هذه، هو ذا الشيطان يعينك على فتنتي، لا تشوهي بخلقي ذا الحسن الجميل، فأدعى في الخلق زانيا، وفي الوحوش خائنا، وفي السماء عبداً كفوراً.

قال وهب: ولان من يوسف، عليه السلام، مقدار جناح بعوضة، فارتفعت الشهوة إلى وجهه، فاستنارت، وكان سرواله معقودا تسع عشرة عقدة، فحل أول عقدة، وإذا قائل يقول من زاوية البيت: إن الله كان عليكم رقيبا! ثم حل العقدة الثانية، فإذا قائل يقول: ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن. فأوحى الله، عز وجل، إلى جبريل: الحقه، فإنه المعصوم في ديوان الأنبياء! فانفرج السقف في أقل من اللمح فنزل جبريل، عليه السلام، فضرب صدره ضربة، فخرجت شهوته من أطراف أنامله فنقص منه ولد، فولد لكل رجل من أولاد يعقوب، عليه السلام، اثنا عشر ولدا، ما خلا يوسف، عليه السلام، فإنه ولد له أحد عشر. فقال:

يا رب ماذا خبري؟ لم ألحق بإخوتي في الولد، فأوحى الله، عز وجل، إليه: أن الشهوة التي خرجت من أناملك حاسبناك بها.

وبإسناده قال وهب: لما أراد الله بيوسف الخير قامت زليخا إلى طاق لها، فأرخت عليه ستراء، وكان لها في الطاق صنم من خشب تعبده، فقال لها يوسف، الطَّيْكِلاَ: ماذا صنعت؟ قالت: استحييت من الهي أن يراني أصنع الفاحشة. قال: فأنت تستحيين من إله من خشب لا يضر ولا ينفع ولا يخلق ولا يسمع ولا يبصر، فأنا استحيي ممن أكرم مثواي، وأحسن مأواي، واستبقا الباب. قالت زليخا: يا يوسف، بليت منك بخصلتين: ما رأيت بشرا أحسن منك، والثانية زوجي عنين. فلما تزوجها يوسف، عليه السلام، فأبصر بعينيها حولا قال: يا زليخا! أوحولاء؟ قالت له: ما علمت؟ قال: لا والله! قالت: ما استحللت أن أملأ عيني منك.

قال وهب بن منبه: وكانت زليخا ممنوعة من الشقاء، وكانت أجمل من بطشابع صاحبه داود، الطَّيْكِلاَ.

* * * *

هـ - حين ينوح داود

بلغنا أنه إذا كان يوم نوح داود، الطَّيْكِلاَ ، كان يمكث قبل ذلك لا يأكل الطعام، ولا يشرب، ولا يقرب النساء، فإذا كان قبل ذلك بيوم أخرج له منبرا إلى البرية، وأمر مناديا قبل ذلك بيوم ليستنفر في البلاد ومن حولها: ألا من أحب أن يسمع نوح داود فليأت، فتأتي الوحوش والسباع والهوام والطير والرهبان والعذارى من خدورهن، وبنو إسرائيل، كل صنف على حدته، فيصغون إليه. قال: وسليمان قائم على رأسه فيأخذ في الثناء على الله، عز وجل، فيضجون بالصراخ والبكاء، ثم يأخذ في ذكر الجنة، فتموت طائفة من الناس والوحوش والسباع والرهبان، وطائفة من العذارى، ثم يأخذ في ذكر النار، فتموت طائفة منهم، ثم يأخذ في أهوال القيامة والنوح على نفسه،فتموت طائفة من هؤلاء ومن كل صنف.

قال: فإذا رأى سليمان ما قد كثر من الموتى في كل فرقة، نادى يا أبتاه! قد مزقت المستمعين كل ممزق من بني إسرائيل والوحوش والهوام والسباع.



قال: فيقطع النوح، ويأخذ في الدعاء.

قـــال: فبيـــنما هم كذلك إذ ناداه بعض عباد بني إسرائيل: يا داود! عجلت على ربك تطلب الجزاء، فيخر داود مغشيا عليه، فإذا نظر إليه سليمان وما أصابه أتى بسرير، فحمله عليه، ثم أمر مناديا، فنادى: من كان لـــه مع داود حميم أو قريب، فليأت بسرير، فإن الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار.

قـــال: فكانت المرأة تأتي بسرير، فتقف على ابنها وأبيها وأخيها، وهم أموات، فينادي: وا بأبي! من قتله ذكر النار، وا بأبي من قتله ذكر الجنة، وا بأبي من قتله ذكر الخوف من الله تعالى، حتى إن الوحوش ليجتمعن على من مات منهن فيحملنه، وكذلك السباع والهوام. قال: ثم يتفرقون، فـــإذا أفاق داود من غشيته قال لسليمان : ما فعلت عباد بني إسرائيل؟ فيقول سليمان: يا أبتاه ماتوا عـــن آخـــرهم. قال: فيقوم داود فيضع يده على رأسه، ثم يدخل بيت عبادته، ويغلق عليه بابه ثم ينادي: يا إله داود! أغضبان أنت على داود أم كيف ذا، إذ قصرت من الموت خوفا منك.

* * * *

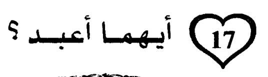
و– الملك .. وامـــرأة الأجيـــر

كـــان في بني إسرائيل امرأة ذات جمال، وكانت عند رجل يعمل بالمسحاة، فكان إذا جـــاء باللـــيل قدمت لـــه طعامه، وفرشت لـــه فراشه، فبلغ خبرها ملك ذلك العصر، فبعث إليها عجوزا من بني إسرائيل، فقالت لها: ما تصنعين بهذا الذي يعمل بالمسحاة[1]! لو كنت عند الملك لكساك الحرير، وفرشك الديباج، فلما وقع الكلام في مسامعها جاء زوجها بالليل، فلم تقدم لـــه طعامه، ولم تفرش لـــه فراشه، فقال لها: ما هذا الخلق يا هنتاه[2]! فقالت: هو مـــا ترى. فقال: أطلقك؟ قالت: نعم، فطلقها. فتزوجها ذلك الملك، فلما زفت إليه نظر إليها فعمـــي، ومـــد يده إليها فجفت. فرفع نبي ذلك العصر خبرهما إلى الله، عَجَلَّ ، فأوحى الله تعالى إليه: أعلمها أني غير غافر لهما، أما علما أن بعيني ما عملا بصاحب المسحاة ؟

(1) المسحاة: ما تسوى به الأرض (المجرفة أو الكريك).

(2) يا هذه ، أو يا فلانة.





أيـهمـا أعبــد ؟

أحمد بن سعيد العابد عن أبيه قال:

كـــان عـــندنا بالكوفـــة شاب يتعبد ملازما للمسجد الجامع، لا يكاد يخلو منه، وكان حسن الوجه، حسن القامة، حسن السمت، فنظرت إليه امرأة ذات جمال، وعقل، فشغفت به، وطال ذلك علـــيها، فلمـــا كان ذات يوم وقفت لـــه على طريقه، وهو يريد المسجد، فقالت لـــه: يا فتى اسمع مني كلمات أكلمك بها، ثم اعمل ما شئت. فمضى ولم يكلمها، ثم وقفت لـــه بعد ذلك على طريقه، وهو يريد منزله، فقالت لـــه: يا فتى اسمع كلمات أكلمك بها . فأطرق، فقال لها: هذا موقف تهمة، وأنا أكره أن أكون للتهمة موضعا. فقالت لـــه: والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بأمرك، ولكن معـــاذ الله أن يتشوف العباد إلى مثل هذا مني، والذي حملني على أن لقيتك في هذا الأمر بنفسي معرفتـــي أن القلـــيل مـــن هذا عند الناس كثير، وأنتم، معاشر العباد، في مثال القوارير أدنى شئ يعيبه، وجملة ما أكلمك به أن جوارحي كلها مشغولة بك، فالله الله في أمري وأمرك.

قال: فمضى الشاب إلى منزله، وأراد أن يصلي فلم يعقل كيف يصلي، فأخذ قرطاسا وكتب كتابا، ثم خرج من منزله. فإذا بالمرأة واقفة في موضعها، فألقى إليها الكتاب، ورجع إلـــى منزلـــه. وكان في الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم. اعلمي أيتها المرأة أن الله، تبارك وتعـــالى، إذا عصي حلم، فإذا عاود العبد المعصية ستر، فإذا لبس لها ملابسها غضب الله، عـــز وجل، لنفسه غضبة تضيق منها السموات والأرضون والجبال والشجر والدواب، فمن ذا الـــذي يطيق غضبه؟ فإن كان ما ذكرت باطلا، فإني أذكرك يوما تكون السماء كالمهل، وتصـــير الجـــبال كالعهن[1]، وتجثو الأمم لصولة الجبار العظيم، وإني والله قد ضعفت عن إصـــلاح نفسي، فكيف بصلاح غيري، وإن كان ما ذكرت حقا فإني أدلك على طبيب، هو ولـــي الكلـــوم الممرضة، والأوجاع المرمضة، ذلك الله رب العالمين، فاقصديه على صدق

---

(1) المهل: دردي الزيت الأسود أي عكره. العهن: الصوف. من آيات القرآن الكريم.



المســألة، فإني متشاغل عنك بقوله، عز وجل: وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظميــن، مــا للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع، يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور، والله يقضي بالحق، فأين المهرب من هذه الآية؟

ثم جاءت بعد أيام فوقفت له على طريقه، فلما رآها من بعيد أراد الرجوع إلى منزله لــئلا يــراها، فقالــت: يا فتى لا ترجع، فلا كان الملتقى بعد هذا أبدا إلا بين يدي الله، عز وجل، وبكت بكاء كثيرا، ثم قالت: أسأل الله، عز وجل، الذي بيده مفاتيح قلبك أن يسهل ما قــد عســر من أمرك . ثم تبعته فقالت: امنن علي بموعظة أحملها عنك، وأوصني بوصية أعمل عليها! فقال لها الفتى: أوصيك بحفظ نفسك من نفسك، وأذكرك قوله، عز وجل: وهو الذي يتوفاكم بالليل، ويعلم ما جرحتم بالنهار.

قــال: فأطرقت، وبكت بكاء أشد من بكائها الأول، ثم أفاقت، فقالت: والله ما حملت أنثى ولا وضعت إنسا كمثلك في مصري وأحيائي. وذكرت أبياتا آخرها.

لألبســـن لهـــذا الأمـــر مدرعـــة، ولا ركـنــت إلــى لــذات دنــيايا[1]

ثــم لزمــت بيتها فأخذت بالعبادة. قال: فكانت إذا أجهدها الأمر تدعو بكتابه فتضعه علــى عينــيها، فيقال لها: وهل يغني هذا شيئا؟ فتقول: وهل لي دواء غيره؟ وكان إذا جن عليها الليل قامت إلى محرابها، فإذا صلت قالت:

يــا وارث الأرض هــب لي منك مغفرة وحــل عنــي هـــوى ذا الهاجر الداني

وانظــر إلى خلتي، يا مشتكي حزني، بــنظرة مــنك تجـــلو كـل أحزاني[2]

فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمدا، وكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكي عليها، فــيقال لــه: مم بكاؤك، وأنت قد أيستها[3] ؟ فيقول: إني ذقت طعمها مني في أول أمرها

(1) المدرعة: جبة مشقوقة المقدم.
(2) الخلة : الحاجة والفقر.
(3) أيستها: جعلتها تيأس.

وجعلت قطعها ذخيرة لي عند الله، عز وجل، وإني لأستحي من الله، عز وجل، أن أسترد ذخيرة ذخرتها عنده.

قال لنا الشيخ أبو القاسم الأزجي، رحمه الله: ووجدت في نسخة زيادة مسموعة عن الزيني شيخنا، رحمه الله، قال: ثم إن الجارية لم تلبث أن بليت ببلية في جسمها، فكان الطبيب يقطع من لحمها أرطالا لأنه عرف حديثها مع الفتى، فكان إذا أراد أن يقطع لحمها يحدثها بحديث الفتى، فما كانت تجد لقطع لحمها ألما، ولا كانت تتأوه، فإذا سكت عن ذكره تأوهت. قال: فلم تزل كذلك حتى ماتت كمدا.



18 مبتلى بخيانة النساء



كان لقمان بن عاد بن عاديا، الذي عُمّرَ سبعة أنسر، مبتلى بالنساء، وكان يتزوج المرأة فتخونه، حتى تزوج جارية صغيرة لم تعرف الرجال، ثم نقر لها بيتا في صفح[1] جبل،وجعل له درجة بسلاسل ينزل بها ويصعد، فإذا خرج رفعت السلسلة، حتى عرض لها فتى من العماليق فوقعت في نفسه، فأتى بني أبيه، فقال: والله لأجنين عليكم حربا لا تقومون لها! قالوا: وما ذاك؟ قال: امرأة لقمان بن عاد هي أحب الناس إلي. قالوا: فكيف نحتال لها ؟ قال: اجمعوا سيوفكم ثم اجعلوني بينها، وشدوها حزمة عظيمة، ثم ائتوا لقمان، فقولوا: إنا أردنا أن نسافر، ونحن نستودعك سيوفنا حتى نرجع، وسموا له يوما! ففعلوا وأقبلوا بالسيوف فدفعوها إلى لقمان، فوضعها في ناحية بيته.

وخرج لقمان وتحرك الرجل فخلت الجارية عنه، فكان يأتيها، فإذا أحست بلقمان

(1) صفح: جانب.

جعلته بين السيوف حتى انقضت الأيام، ثم جاؤوا إلى لقمان فاسترجعوا سيوفهم، فرفع لقمان رأسه بعد ذلك فإذا نخامة تنوس[1] في سقف البيت، فقال لامرأته: من نخم هذه؟ قالت: أنا، قال: فتنخمي! ففعلت، فلم تصنع شيئا، فقال: يا ويلتاه! والسيوف دهتني، ثم رمى بها من ذروة الجبل فتقطعت قطعا، وانحدر مغضبا، فإذا ابنة له يقال لها صحر فقالت: يا أبتاه! ما شأنك؟ قال: وأنت أيضا من النساء، فضرب رأسها بصخرة فقتلها، فقالت العرب: ما أذنبت إلا ذنب صحر، فصارت مثلا[2].



19 ثلاثة على البرزخ

كان محمد بن الحسين الضبي وعبد العزيز بن الشاه التيمي كأنهما هلالان أو درتان من حسنهما وجمالهما، فسمعا كلام أبي عبد الله الديلمي، وكان من أحسن الناس كلاما وأظهرهم خشوعا وأكثرهم صلاة واجتهادا، فصحباه، وكانا معه لا يأمن عليهما أبواهما أحدا غيره، فكان يحج بهما كل عام، ويرابط معهما في السواحل سائر سنيه، حتى أخذا منه، ووعيا عنه، وتأسيا بأخلاقه، واحتذيا على طريقته، وكانا مقبلين على طلب الخير والجهاد، فخرج بهما فرآهما رجل من الجند، فرأى شيئا لم ير مثله، فأراد أخذهما منه، فحال بينه وبينهما، وأعانه الناس على ذلك، وكان مشهورا بالنسك والعفاف، فاغتاله الجندي فقتله، وقبض على الغلامين، فامتنعا عليه، واستغاثا بالناس، فجاؤوا فنظروا إلى أبي عبد الله الديلمي مقتولا، فأخذوا الجندي، وأتوا به السلطان فقتله.

قال أبي: فحدثني هذا الرجل قال: كنت حاضرا لهما، وقد دفناه ورجعا عن قبره،

---

(1) النخامة: ما يدفعه الإنسان من صدره أو أنفه   تنوس: تتحرك.

(2) أي جوزيت ولم تذنب.

يعـرف الحزن عليهما، والكآبة فيهما، فسمعت أحدهما يقول لصاحبه: ما ترى ياأخي؟ قال: أرى أن نكون على عزيمتنا أو نمضي على ما عقدناه من نيتنا حتى نقضي رباطنا، ونرجع إلـى بلادنا، فقال لـه الآخر: لست أرى رأيك ولا ما أشرت به، ولكن مصيبتنا بهذا الرجل ليسـت بصـغيرة ولا حقه علينا بيسير، لـه علينا حق الوالد بالشفقة، وحق التعليم وطول الصـحبة، وطهـارة العشرة، وحسن المرافقة، قال: فما ترى؟ قال أرى أن نقيم على قبره مقدار رباطنا نستغفر له، ثم ننصرف، فإن عزمت أن نرابط بعد ذلك فعلنا، وإن أحببت أن نـرجع صدرنا. قال: قد قلت قولا لن أخالفك عليه، فسألاني الإسعاد لهما على ذلك، فأقمت معهما نيفا على عشرين يوما، فاعتل محمد بن الحسن، فاشتدت علته، فقلق عبد العزيز قلقا شديدا، وجزع جزعا لم أره من أحد قط، فقلت: ما هذا الجزع يا أخي؟

قال: أفلا يحق لي أن أجزع على أخ شقيق وحبيب شفيق؟

فسـمعنا محمد فقال: يا عبد العزيز لا تجزع فإن الجزع لا يغني عني شيئا مما نزل بي من الموت، واعلم يا أخي أنك أرفع عند الله، عز وجل، درجة مني.

فقال: وبم ذاك؟

قال: بمصابك بي، فبكى عبد العزيز حتى ألصق خده بالأرض وأبكى من حضر من النساك وغيرهم، فقال له محمد: يا أخي لا تبك فإني في أمر عظيم، وعلى خطر جسيم هو أكـبر عندي وأجل في قلبي من بكائك، وقد شغلني الفكر فيك وفي وحدتك بعدي عن بعض مـا أنـا فـيه مـن ألم العلة، وقد تزايدت علتي لما أراه في وجهك من الحزن والغم، فإن اسـتطعت أن تحتسبني عند الله، عز وجل، فافعلن، ولا تطلقن علي عبرة ولا تذرين بعدي دمعـة، فإني منقول إلى رحمة وصائر إلى نعمة، ولو كان أحد أحق بالبكاء من أحد لكنت أحق به لما نزل بي من الموت وشدة كربه وحياء مما حضرني من ملائكة ربي.

فصـعق عـبد العزيز، وخر مغشيا عليه، فدنوت من محمد بن الحسن، فقلت: ألك حاجة أو أمر توصيني به؟

فقال: أوصيك بإيثار تقوى الله، عز وجل، على جميع الأمور، وحاجتي أن تحفظني

في أخي هذا، فإنه من أهم من أترك بعدي.

فقال له أبو المغلس الصوفي، وكان يشبه خشوعه بخشوع أبي عبد الله الديلمي: يا أبا عبد الله! قد عشتما مصطحبين منذ كنتما صغيرين، لا نعرف لأحد منكما خزية ولا نحفظ عليكما زلة، فنشأتما على أمر واحد لم تتهاجرا، ولم تختصما، ولم تتفرقا، وقد تكلم بعض الناس فيكما بكلام قد رفع الله أقداركما عنه لما بين الله تعلى اليوم من أموركما، ونشر من حسن طويتكما، فالحمد لله على ما أولاكما من ذلك. وقد تذكر أن أعلام الموت إليك قد أقبلت، والملائكة منك قد اقتربت، وإني أثق بفهمك، لما أعلم من حسن عقلك، فهل ترى أحدا منهم؟

فقال: إني أرى صورا تقبل ولا أثبتها على حقيقة النظر.

قال: فما تجد؟

قال: أجد ألما لو قسم على جميع الخلائق لكانوا في مثل حالي.

قال: صفه لي.

قال: وما عسى أن أصف لك منه؟ أجد نفسي كأنها بين جبلين قد اصطكا علي، وكأن أسنة توخز في بدني، وكأن نارا توقد في عيني، وأجد لهاتي قد يبست، فما أجد فيها شيئا من ريقي.

فقال له أبو المغلس: إني قرأت في بعض الأخبار، وما روي في الآثار: حتى يرى مقعده من النار، أو الجنة. فهل رأيت شيئا من ذلك؟

قال: أما في وقتي هذا فلا.

فلما اشتد عليه الأمر وكاد أن يغلبه الكرب أومأ بيده إلى أبي المغلس، فأصغى بأذنه إليه، فقال: إنك سألتني عن مقعدي، وهذه الروح قد خرجت من بعض جسدي، وارتفعت إلى حقوي، وقد رأيت مقعدي.

قال: وأين رأيته؟ قال: رأيته في جنة عدن.

قال: فهل رأيت أبا عبد الله الديلمي؟

قـــال: إن روحــــه لترفرف علي، وقد رأيت مقعده أفضل من مقعدي، ودرجته أفضل من درجتـــي، ولا أحسب أنه قال إلا بالعلم الذي سبق إليه قبلي،أو بالشهادة التي اختصه الله تعالى بها دونـــي، وهذه روحه تبشر روحي بما أعده الله تعالى لي مما لم يبلغه عملي، ولا أحاط به فهمي، ولا استحققته بفعلي مما يعجز عن صفته قول، ثم مد يده وغمض عينيه، وقضى، رحمة الله عليه.

ثـــم إن عـــبد العزيز أفاق بعد طويل فحضر غسله وجهازه، ودفنه، ورجع، ورجعنا معه، فمكث أياما لا يطعم ولا يتكلم، وحضرت صلاة الغداة، فقام إلى جانبي في الصف، فسمعته يدعو بعدمـــا فـــرغ مـــن الصلاة، وهو يقول: اللهم لا تجمع علي كرب الدنيا وعذاب الآخرة، وعجل خروجي عن الدنيا سالما منها إلى رضاك ومغفرتك، وارحم غربتي، وأجب دعوتي، وأجمع بيني وبين من أحبني فيك، وأحببته لك، ولا تفرق بيني وبينه، واجعل اجتماعنا في محل الفائزين.

ثـــم قال: أقسمت عليك ألا فعلت. ثم خر ساجدا فظننت أنه قد سجد وأطال السجود، فدنـــوت مـــنه، فحركـــته، فإذا هو قد قضى، فدفنته إلى جانب صاحبه، فكنا حينا من الدهر نـــتحدث بحديـــثهم، وبمـــا وهب الله، عز وجل، لهم من الاجتماع في الدنيا والآخرة، وبما أفضوا إليه من الكرامة والرحمة.

قال: فمكثت سنين أتمنى أن أرى واحدا منهم في منام، فرأيت عبد العزيز بن الشاه، وعليه ثياب خضر، وهو يطير بين السماء والأرض، فناديته، فوقف، فقلت: ما فعل الله بك؟

قال: غفر لي.

قلت: بماذا غفر لك؟

قال: بقول الناس في ما لا يعلمون وبرميهم إياي بالإفك والظنون.

قلت: فما فعل محمد بن الحسن؟

قال: جمع الله بيني وبينه، وأنا وهو في درجة واحدة.

قلت فما فعل أبو عبد الله الديلمي؟

قال: هيهات! ذاك رجل أبيح له الجنة، فهو يسرح فيها، ويحل منها حيث يشاء.

قلت: وبم ذاك؟

قـــال: بما سبق لـــه من السعادة، وبفضل أجر الشهادة، وبحفظه لفرجه عن الحرام، وطرفه ولسانه عن الآثام.

فقلت: كيف وجدت الموت؟

قال: هونه الله علي لما علم من ضعفي وطول حزني.

قلت: هل رأيت جهنم ؟

قـــال: وهل الصراط إلا عليها، والورود إلا إليها؟ نعم قد رأيتها ووردتها، فما آلمني حرها، ولا أفزعني زفيرها.

قلت: فكيف كان ممرك على الصراط؟

قال: كما يجري الفرس الجواد على الأرض البسيطة التي ليس فيها حجر يخاف أن يعثر به.

قلت: هل رأيت منكدرا الشعراني؟

قال: رأيته وسلمت عليه، وما أقرب درجته من درجة عبد الله الديلمي.

قلت: وبم أعطى ذلك؟

قال: بغضه لطرفه وحفظه لفرجه.

قلت: فهل رأيت مغلسا الصوفي؟

قال: نعم رأيته على فرس من ياقوت أحمر، يطير به في الجنة.

فقلت له: أين تريد؟

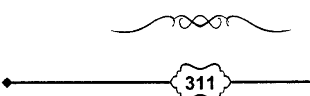
فقال: أريد أن أستقبل أرواح قوم قتلوا في البحر.

قلت: وكيف أعطي ذلك؟

قال: بفضل رحمة الله.

قلت: قد علمت أنه إنما نال ذلك بفضل الله تعالى وبرحمته.

قال: بكثرة البكاء وملازمة الدعاء وطول الظماء وصبره على البلاء.



الفهرس